



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الغواية وعلاجها في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد الطالب

حسن مرزوق حسن سمور

إشراف الدكتور

محمود هاشم محمود عنبر

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1433هـ - 2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

(الحجر: ٣٩ - ٤٢)

الإهداء

إلى من أرسله ربي رحمة للعالمين، فرفع الظلم عن المظلومين رسول الله -ﷺ-.
إلى الذين بذلوا عمرهم وجهدهم ومالهما في سبيل تعليمي وتربيتي أبي وأمي
الحبيبين..

لله درهما..... وعند الله جزاؤهما..... رب ارحمهما كما ربياني صغيراً وعلماي
كبيراً.

إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله ورعاهم.

إلى جامعتي الإسلامية وأساتذتي الكرام، الذين أثمر جهدهم مثل هذا البحث، وأخص
بالذكر فضيلة الدكتور محمود هاشم عنبر الذي أعطاني من وقته الكثير، وبذل الجهد
الكبير.

إلى إذاعة صوت الأقصى، والعاملين فيها، ممن يتطلعون لفجر مشرق تبزغ فيه شمس
الإسلام من جديد، وفي مقدمتهم مدير الإذاعة الأستاذ: إبراهيم ظاهر.

إلى المجاهدين الأبطال الذين بذلوا أرواحهم حتى باتت لا تعرف شيئاً إلا طريقها إلى
الجنة، وسالت دماؤهم لتروي الأرض في طمأنينة وسكينة.

إلى رفاق دربي وأحبتي طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن.

إلى أسرانا الأبطال الذين يقبعون في مقابر الأحياء وأسأل الله أن يمن عليهم بالفرج
والتحريير من أيدي الطغاة المجرمين.

إلى أمتنا أسأل الله أن يكتب لها التمكين.

إلى الأقصى أسأل الله -تعالى- أن يحرره من أيدي الغاصبين.

إلى غزة العزة أسأل الله أن يفك حصارها، وأن يكتب الثبات والنصر لأهلها.

إليهم جميعاً..... أهدي رسالتي

شكر وتقدير

أَتَوَجَّهُ بِقَلْبِي لِأَحْمَدِ اللَّهِ -عَزَّوَجَلَّ- صَاحِبِ الْفَضْلِ كُلِّهِ عَلَى رِعَايَتِهِ وَهُدَايَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ لِي هَذَا الطَّرِيقَ الْمُبَارَكِ، طَرِيقَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ امْتِثَالاً لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر والدَيَّ الكريمين الحبيبين الدَّين شجعاني على طلب العلم، فأسأل الله -تعالى- أن يبارك في عمرهما، وأن يتقبل طاعتهما، وأن يختم لهما بخاتمة السعادة. وأشكر المشرف الكريم، الدكتور محمود هاشم عنبر -جزاه الله عنِّي خيراً لما قدَّمه من عون ومساندةٍ ومتابعةٍ وتشجيعٍ بصبرٍ وخلقٍ نادرين، أثابه الله على ما بذله من جهودٍ وجعل كلَّ ما قدَّمه من دعمٍ علميٍّ ومعنويٍّ في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذيَّ الكريمين، عضوي لجنة المناقشة، فضيلة الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي - حفظه الله - والدكتور: رياض محمود قاسم -حفظه الله-، حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، لإثرائها بعلمهما الغزير، وتصويب ما فيها من زلل أو تقصير.

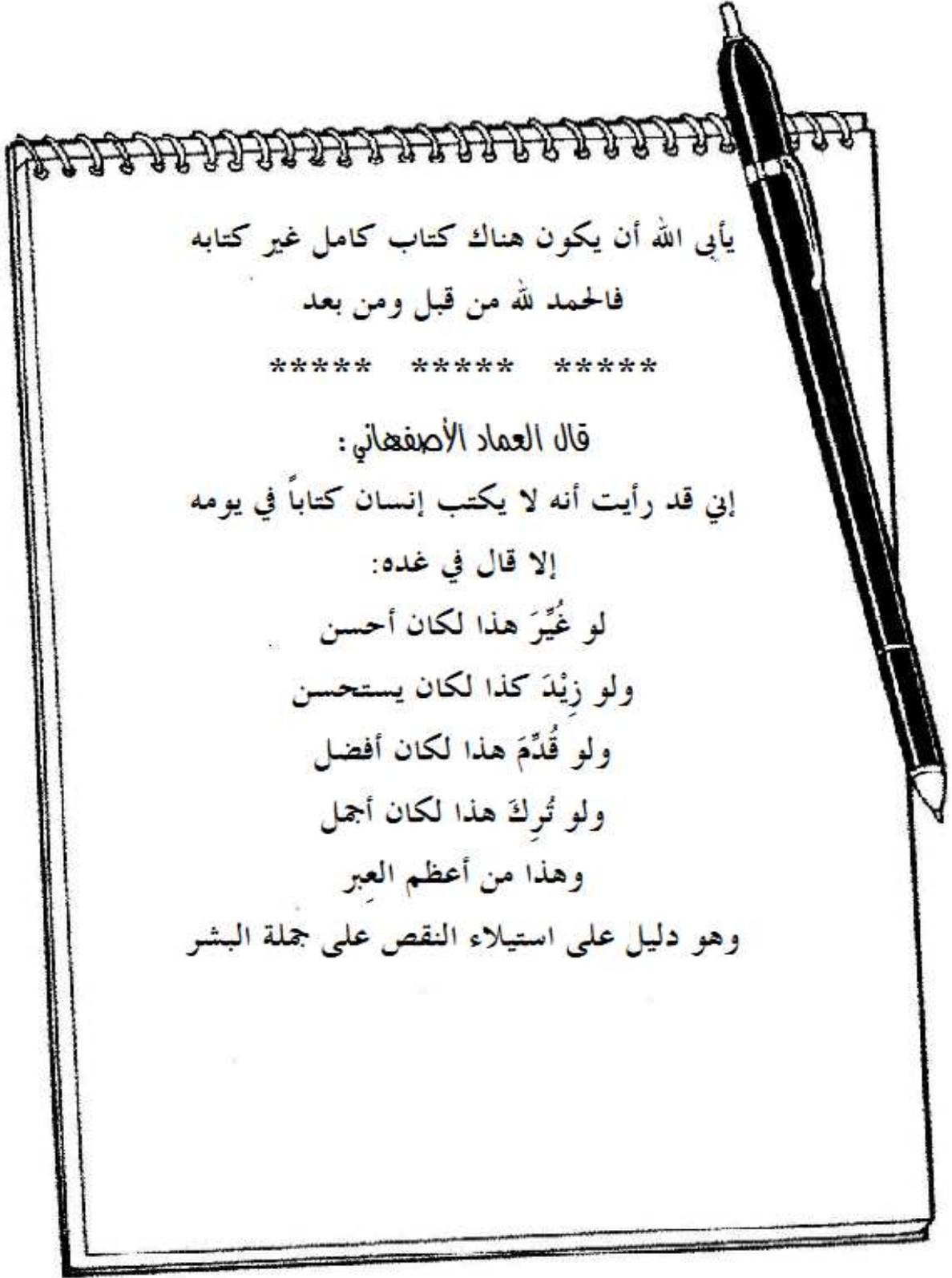
وأُسجِّلُ شكري وتقديري للذين قدموا لي الدعم والمساندة لتتري هذه الرسالة النور، وأخص بالذكر: إذاعة صوت الأقصى، هذه الإذاعة العزيزة على قلبي، متمثلة بمديرتها: الأستاذة إبراهيم ظاهر - حفظه الله-، ورئيس دائرة الإنتاج، الأستاذ حسام حجاج، الذين وقفوا إلى جانبي وساندوني أثناء فترة الدراسة والكتابة، فلهم جميعاً خالص الشكر، ووافر المحبة والاحترام.

ولا أنسى هنا شكري وتقديري وامتناني لزوجتي، وشريكة حياتي، ورفيقة دربي " أم صهيب" التي سهرت الليالي، واحتملت أياماً صعبة، وكان لمعاناتها الكبيرة، ولصبرها الجميل بالغ الأثر عليَّ لإتمام هذا العمل.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى جامعتي الغراء، والقائمين عليها وأثنى جهودهم العظيمة للمحافظة على هذا الصرح الشامخ، وأخص بالذكر كلية أصول الدين والعاملين فيها متمثلة بعميدها فضيلة الدكتور: محمد بخيت - حفظه الله - وكذلك أساتذتي الكرام الذين يؤدون أسمى رسالة في الوجود.

وأخيراً أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من دعا لي في ظهر الغيب أو كانت له يدٌ في تقديم نصحٍ أو مساعدةٍ أو مساندةٍ أو تشجيعٍ أو توفيرٍ وقتٍ أو جهدٍ للعمل في الرسالة.

أسأل المولى -عزَّ وجلَّ- الخير والهدى والتوفيق لنفسي وللجميع وأن يجعلنا من عباده المخلصين إنه سميع مجيب الدعاء.



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد ...

فقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم هداية للبشرية كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
(المائدة: ١٥ - ١٦)

فهدى الله - عز وجل - به البشرية للذي هو أقوم ونجاهم من الغواية والضلالة وهداية القرآن الكريم لا تكمن في وجهه من الوجوه، أو تتحصر في جانب من الجوانب، بل هي الهداية عامة بين الله - عز وجل - كل أنواع الخير وطرقه، ودعا إليها، وحذر سبحانه من كل أنواع الشر، وخطواته، ونهي عنها .

ومن أخطر ما يحيق بالإنسان في هذه الحياة ما يحيط به من أسباب الغواية والضلال .. ولذلك حذر القرآن الكريم من الغواية وطرقها ، وبين صفات الغاوين، ومصيرهم ، ولكي يتجنب الإنسان الغواية ويحذرها ، رأيت أن أكتب بحثي بعنوان : الغواية وعلاجها في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

الدراسات السابقة:

لقد بذلت وسعي وطاقتي للوقوف على ما كتب من أبحاث حول الموضوع ، فلم أجد فيما اطلعت عليه بحثاً يستوفي الأهداف التي من أجلها سأكتب البحث، ولقد بدأت البحث بمكتبة الجامعة، ثم في بعض المكتبات العربية، كمكتبة الملك فهد بالرياض، وذلك عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، وانتهيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ولم أعثر علي أي بحث يتناول موضوع الغواية .

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- خطورة الغواية على الإنسان في الدنيا والآخرة.
- ٢- بيان فضل الله تعالى ومنته على العباد المتمثل في حمايتهم من الغواية وأسبابها.
- ٣- وقوع كثير من الناس في الغواية.
- ٤- تشجيع أستاذي فضيلة الدكتور/ محمود عنبر للبحث في هذا الموضوع ، والخوض في غماره.

أهداف البحث:

- لهذا البحث أهداف عديدة سامية أذكر أهمها .
- ١- ابتغاء مرضاه الله -عزَّوجلَّ- ، فهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث .
- ٢- إظهار المفهوم الحقيقي للغواية .
- ٣- رسم معالم الغواية وطرق النجاة منها.
- ٤- إبراز وإيضاح الوسائل التي يتبعها أعداء الأمة في إيقاع المسلمين في الغواية والضلالة وإظهار السبل التي يتبعونها في إبعاد المسلمين عن طريق الحق.
- ٥- بيان أسباب الغواية وآثارها وسبل النجاة منها.

منهجي في البحث :

منهجي في البحث : سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الموضوعي وذلك ضمن الخطوات التالية:

- ١- جمع الآيات التي تحدثت عن الغواية، وتصنيفها وتقسيمها وكتابتها بالرسم العثماني .
- ٢- عزَّو الآيات إلى سورها وتوثيقها في المتن تجنباً لإتقال الحواشي .
- ٣- تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة والحديثة .
- ٤- تخريج الأحاديث، ونقل حكم العلماء عليها ، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما.
- ٥- التعريف بالأعلام المغمورين.
- ٦- توضيح معاني المفردات الغريبة من معاجم اللغة العربية وقواميسها.
- ٧- عمل الفهارس اللازمة للبحث :
 - فهرس الآيات القرآنية .
 - فهرس الأحاديث .
 - فهرس الأعلام المترجم لهم.
 - فهرس المصادر والمراجع .
 - فهرس الموضوعات.

هيكلية الدراسة.

قسَّم الباحث الدراسة إلى مقدمة ، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة. المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف الدراسة، ومنهجية الدراسة وهيكلها.

الفصل التمهيدي (مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الغواية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغواية لغة.

المطلب الثاني: تعريف الغواية اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: الغواية مشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نظائر الغواية في القرآن الكريم.

الفصل الأول

مبادئ الغواية وأسبابها كما يصورها القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مبادئ الغواية كما يصورها القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الغواية في العقيدة.

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في المعاملات.

المطلب الرابع: الغواية في الأخلاق.

المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الثالث: حب المال والسلطان.

المطلب الرابع: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: انتكاس الفطرة.

المطلب السادس: موالاة اليهود والنصارى.

المطلب السابع: التبرج وكشف العورات.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني .

الفصل الثاني

الشیطان وأبرز أساليبه في الغواية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أبرز أساليب الشيطان مع الكافرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتتاك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزر.

المبحث الثاني: أبرز أساليب الشيطان مع المؤمنين.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزغ.

المطلب الثالث: استنزلال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: الإيقاع بين المسلمين.

المطلب الثامن: التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

الفصل الثالث

نماذج قرآنية للساقطين في الغواية، والناجين منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجنيتين .

المطلب العاشر: أصحاب الجنة .

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون .

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنيتين.

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

الفصل الرابع

نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: نتائج الغواية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم.

المطلب الثالث: الخسران والندم.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين.

المطلب السادس: الهداية إلي السعير.

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله.

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار.

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله.

المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالى.

المطلب السادس: الحياء والحشمة.

المطلب السابع: الزواج.

المطلب الثامن: التوكل على الله.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

المطلب العاشر: الدعاء.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المغمورين.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

(مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الغواية

تعريف الغواية لغة

تعريف الغواية اصطلاحاً

العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

المبحث الثاني: الغواية مشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم

نظائر الغواية في القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم الغواية

تعريف الغواية لغة

تعريف الغواية اصطلاحاً

العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

المبحث الأول

مفهوم الغواية

خلق الله الخلق، وقدّر لهم العيش في الحياة الدنيا، وجعلها دار عملٍ واختبار، لتكون طريقاً إلى الآخرة، فأما نعيم مقيم، وأما عذاب أليم، وقد بين الله تعالى للناس طريق الخير من طريق الشر فقال سبحانه ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠) فإذا سلك الإنسان غير طريق الرشد، فإنه يصبح من أتباع الشيطان، وحينها ينضم إلي طائفة الغاوين، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢). (والغاوون) هم: المتبعون لإبليس والزائغون عن طريق الحق والواقعون في الضلال^(١)، وقد نزه سبحانه وتعالى - نبيه - ﷺ - عن الوقوع في الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه، فقال - سبحانه -: ﴿ مَا صَلَ صَاغِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (النجم: ٢) ، والإنسان إذا سلك طريق الهداية، زادة الله سبحانه وتعالى هدى، وإذا سلك طريق الغواية، فتحت له أبواب الغواية، وقد قال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَافَقَى ﴾ ﴿ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ فَسَيَّرَهُ لِلْإِسْرِى ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ حِيلَ وَاسْتَفْتَى ﴾ ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ فَسَيَّرَهُ لِلْمُغْرَى ﴾ (الليل: ٥ - ١٠)، وجاء في حديث العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قوله - ﷺ -: (... أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنُّوَاجِذِ) ^(٢) فوصفهم بالرشد الذي هو خلاف الغي وبالهدى الذي هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعاً ويصير الإنسان عالماً عادلاً لا جاهلاً ولا ظالماً^(٣) والمؤمن إن لم يكن في حصن من الله، معتصماً به، فهو لا شك هالك، لذلك رأى الباحث أن يبدأ بحثه بهذه المقدمة قبل الحديث عن معنى الغواية لغةً واصطلاحاً.

(1) انظر: (فتح القدير) الشوكاني (١٨٨/٣)

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: كتاب العلم عن رسول الله - ﷺ - ، باب: بَابَ مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسَّنَةِ واجتتاب البدع، رقم الحديث (٢٦٧٦)، ص (٦٠٣) صححه الشيخ الألباني.

(3) انظر: (مجموع الفتاوى): ابن تيمية (٢٤٢/١٥).

المطلب الأول: الغواية لغة.

الغواية من (غوى)، قال ابن فارس^(١): "الغين والواو والحرف المعتلّ بعدهما أصلان: أحدهما يدلُّ على خلاف الرُّشد وإِظلام الأمر، والآخر على فساد في شيء. فمن الأول: الغي، وهو خلاف الرشد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل، يقال غَوَى يَغْوِي غِيًّا"^(٢).

(وغوى الرجل يغوي) غيا وغية وغواية، فهو غاو: إذا عدل عن طريق الصواب، وترك الرشد، وفعل فعل الجهال، ومنه قوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)، وكقوله تعالى ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥)، وكقول الشاعر دريد بن الصِّمِّه^(٣). وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد وقال الجوهري^(٤): "والغِي: الضلال والخيبة، يُقَالُ: قد غَوَى (بالفتح) يغوي غيا وغوي غواية، فهو غاوٍ وغوي، وأغواه غيره فهو غَوِيٌّ، على وزن (فعليل). والتغاوي: التجمع والتعاون على الشر من الغواية أو الغي، ومن ذلك قول من قال تغاؤوا على عثمان -رضي الله عنه - فقتلوه"^(٥). وفي القاموس: يقال: غوى يغوي غيا، وغوى غواية فهو غاو وغوي وغيان: أي ضل وغواه غيره وأغواه وغواه"^(٦).

(1) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف عديدة منها (مقاييس اللغة) و(جامع التأويل في تفسير القرآن) توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١٩٣/١).

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٣٢١/٤)

(3) دريد بن الصمة: هو الجشمي البكري: من هوازن: شجاع، من الأبطال، الشعراء.. كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، انظر الأعلام للزركلي (٣٣٩/٢)

(4) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلًا. (الأعلام للزركلي (٣١٣/١)

(5) الصحاح (٢٤٥٠/٦)

(6) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٧٠١/١).

وذهب ابن منظور إلى أن الغواية تستعمل في أكثر من معنى فهي بمعنى الضلال، و بمعنى الخيبة، واستدل بما جاء في قول الله -عز وجل-: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)، أي فسد عليه عيشة^(١)

ومن خلال الأقوال السابقة يتبين للباحث أن الغواية في معناها اللغوي مختلفة تبعاً للسياق التي ترد فيه، والمعاني التي تأتي عليها الغواية هي:

- ١- الجهل والانهماك في الباطل. ٢- الضلال. ٣- فساد العيش.
- ٤- الخيبة. ٥- التجمع على الشر. ٦- بمعنى القتل.

المطلب الثاني: الغواية اصطلاحاً.

اختلفت آراء العلماء والمفسرين حول تحديد المعنى الاصطلاحي للغواية وذلك كما يلي:

أولاً: التعريفات الاصطلاحية عند العلماء:

- ١- قال الراغب^(٢): "الغي جهل من اعتقاد فاسد"^(٣).
- ٢- قال ابن الأثير^(٤): "الغيّ" هو الضلال والانهماك في الباطل"^(٥).
- ٣- قال التهانوي^(٦) الغواية: "هي سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، وقيل هي حالة تحصل للسالك في سلوكه وهي كونه فاقداً لما يوصله إلى المطلوب مخطئاً فيه، فإنها بمعنى الضلالة وهي مقابلة للهدى بمعنى الاهتداء"^(٧).

(1) انظر: (لسان العرب): (١٤٠/١٥).

(2) الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن ببغداد، واشتهر، حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء) و (المفردات في غريب القرآن)، توفي سنة ٥٠٢هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٢/٢٥٥).

(3) المفردات في غريب القرآن (٣٦٩).

(4) ابن الأثير: هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بمجد الدين، له مصنفات عديدة، منها (جامع الأصول في أحاديث الرسول) و (النهاية في غريب الحديث) ولد في جزيرة ابني عمر سنة ٥٤٤هـ، ونشأ ثم انتقل إلى الموصل، وله شعرٌ يسير، توفي بالموصل سنة ٦٠٦هـ، انظر: (وفيات الأعيان): ابن خلكان (٤/١٤١).

(5) النهاية (٣/٣٩٧).

(6) التهانوي: هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي، له (كشاف اصطلاحات الفنون) مجلدان، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ و (سبق الغايات في نسق الآيات)، (الأعلام للزركلي ٦/٢٩٥).

(7) كشاف اصطلاح الفنون (٣/١١٠١).

ثانياً: تعريف المفسرين للغواية:

- ١- قال الإمام الطبري في تفسيره للغوي "وذلك إذا عدا الحق وتجاوزه" (١).
- ٢- قال ابن كثير: "الغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره" (٢).
- ٣- قال البقاعي: "الغواية هي الميل عن المقصود مما يسوء" (٣).
- ٤- وقال النيسابوري عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (النجم: ٢) الظاهر أن الضلال أعم، وهو أن لا يجد السالك مقصده طريقاً أصلاً، والغواية: أن لا يكون المقصد طريقاً. فكأنه سبحانه نفى الأعم أولاً، ثم نفى عنه الأخص، ليفيد أنه على الجادة، غير منحرف أصلاً. (٤)
- ٥- وقد عرف ابن عاشور الغواية بأنها "فساد الرأي وتعلقه بالباطل" (٥).
من خلال الأقوال السابقة خلص الباحث إلى تعريف الغواية اصطلاحاً:
"هي عمل فاسد واعتقاد باطل يطرأ على النفس الإنسانية بتزيين شياطين الإنس والجن الشيء الفاسد فيحسن عندها وتتصرف تبعاً لذلك" ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَاكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢).

المطلب الثالث: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

بعد أن بيّن الباحث كلاً من المعاني اللغوية والاصطلاحية للغواية، لا بد من حصر لتلك المعاني لبيان هل من علاقة بينها.
أولاً: المعاني اللغوية:

- دلت المعاني اللغوية للغواية على عدة معانٍ وهي:
- ١- أن الغواية خلاف الرشد، وهي بمعنى فساد الأمر.
 - ٢- أنها بمعنى الجهل والانهماك في الباطل.
 - ٣- أن الغواية بمعنى الضلال والخيبة.
 - ٤- وبمعنى التجمع على الشر.
- ثانياً: المعاني الاصطلاحية للغواية، وقد جاءت عن العلماء والمفسرين بعدة معاني:
- ١- أنها عبارة عن اعتقاد فاسد.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٥ / ٤١٦).

(2) تفسير القرآن العظيم (٧ / ٤٤٣).

(3) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٨ / ٢٣٦).

(4) تفسير النيسابوري (٧ / ٧٣).

(5) التحرير والتنوير (٩٢/٢٧).

٢- الضلال والانهماك في الباطل.

٣-العدول عن الحق وتجاوزه.

٤- الميل عن المقصود مما يسوء.

٥- فساد الرأي وتعلقه بالباطل.

فمن خلال حصر المعاني اللغوية والاصطلاحية للغواية يتبيّن للباحث أن بينهما توافق تام وكامل فكلاهما تغيير في سلوك الإنسان وبعدّ عن الخير والصلاح في اتجاه الشر والفساد.

المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الغواية ونظائرها في القرآن الكريم

المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم.

أولاً: مشتقات الغواية في الآيات المكية:

وردت لفظة الغواية ومشتقاتها في الآيات المكية في واحد وعشرين موضعاً موزعةً على

عشر سور مكية وذلك على النحو التالي:

م	المادة	الآية	رقم الآية	السورة
١	أَعْوَيْتَنِي	﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	١٦	الأعراف
٢	الْفَيِّ	﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾	١٤٦	الأعراف
٣	الْفَاوِينِ	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِينِ ﴾	١٧٥	الأعراف
٤	الْفَيِّ	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمُ فِي الْفَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	٢٠٢	الأعراف
٥	يُعْوِيكُمْ	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤	هود
٦	أَعْوَيْتَنِي	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩	الحجر
٧	وَأَعْوِيَنَّهُمْ	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩	الحجر
٨	الْفَاوِينِ	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاوِينِ ﴾	٤٢	الحجر
٩	لَأُعْوِيَنَّهُمْ	﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	الحجر

مریم	٥٩	﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّمْهَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾	١٠	غِيًّا
طه	١٢١	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ مُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾	١١	فَغَوَى
الشعراء	٩١	﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾	١٢	لِلْغَاوِينَ
الشعراء	٩٤	﴿ فَكَبَّجُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ ﴾	١٣	وَالْغَاوُونَ
الشعراء	٢٢٤	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾	١٤	الْغَاوُونَ
القصص	١٨	﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾	١٥	لَغَوِيٌّ
القصص	٦٣	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَتُّؤَلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	١٦	أَغْوَيْنَا
القصص	٦٣	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَتُّؤَلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	١٧	أَغْوَيْنَهُمْ
القصص	٦٣	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَتُّؤَلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	١٨	غَوَيْنَا
ص	٨٢	﴿ قَالَ فَبِعْرَنِكَ لَا أَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	١٩	لَأَغْوَيْنَهُمْ
الصفات	٣٢	﴿ فَأَغْوَيْنَكُمْ إِيَّا كُنَّا غَوِينَ ﴾	٢٠	فَأَغْوَيْنَكُمْ
الصفات	٣٢	﴿ فَأَغْوَيْنَكُمْ إِيَّا كُنَّا غَوِينَ ﴾	٢١	غَوِينَ

ثانياً: الغواية ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظ الغواية ومشتقاتها في الآيات المدنية في سورة واحدة وفي موضع واحد وهو:

١	الغِي	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥٦	البقرة
---	-------	---	-----	--------

دراسة وتحليل حول ورود مادة الغواية ومشتقاتها في السور المكية والمدنية:

يتبين للباحث من خلال مواضع مادة الغواية في السور المكية والمدنية ما يلي:

١- أن غالب الآيات المكية جاءت في باب الإخبار، مثال ذلك: ﴿ فَأَكَلَا مِنَّا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رُّوقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ طه (١٢١)، ومن المؤكد أن ذلك يأتي إخباراً من الله سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام لما عصى أمر ربه قبل أن يكون في عالم التكليف وإثبات العصيان لآدم دليل على أنه لم يكن يومئذ نبياً، ولعل في ذلك إشارة لأهل مكة بأن حالة الكفر والعصيان والغواية التي تسيطر على عقولهم وتعشعش في قلوبهم ما هي إلا نتيجة لغواية إبليس لهم والذي سبق أن أغوى أباهم آدم عليه السلام وسبب له ولذريته الطرد من الجنة.

٢- أيضاً قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ النجم (٢)، فلقد أخبرت الآية الكريمة أنه صلى الله عليه وسلم على هدىً مستقيماً، ونفت عنه كل معالم الزيغ: ﴿ فَلَا يَسْتَنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَكَلِمٌ هَدَىٰ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الحج: (٦٧)، وهكذا يتضح أن الموضوع الذي تعالجه هذه الآيات هو العقيدة بموضوعاتها الرئيسية: الوحي والوحدانية والآخرة خاصة إذا عرفنا أن هذه الآيات تتجه إلي بيان صدق الوحي بهذه العقيدة، ووهن عقيدة الشرك، كما أن هذا الدفاع القرآني عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس غريباً على الآيات المكية التي أثبتت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ونفت عنه كل تهمة حاول الأعداء إلصاقها به وخاصة الضلال والغواية وهذا هو منهج القرآن الكريم في الدفاع عن أنبياء الله ورسوله.

٣- أما المواضع في سورة مريم والشعراء فقد جاءت لبيان جزاء الغي وعاقبته كقوله تعالى ﴿ خَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (مريم: ٩٥).

وهذه الآيات المكية ترسل رسائل قوية لأهل مكة تبين لهم مصير الغاوين في الآخرة وهو أنهم سوف يلقون غياً وعذاب جهنم، كما لا تغفل هذه الآيات المكية جانب الترغيب للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع جانب الترهيب في قوله تعالى ﴿ وَأَزَلَفْتَهُ الْجَنَّةَ لِلْمَنْعِينِ ﴿٩٠﴾ وَوَزَّيْتَهُ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٠ - ٩١).

٤- باقي المواضع المكية جاءت في باب التحذير من اتباع إغواء الشيطان بعد أن عزم على إغواء بني آدم بكل الطرق والوسائل، مثال ذلك ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩)، ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢)، فلقد قرر الله-تعالى- أنه ليس للشيطان سلطان على عباده المخلصين، إنما سلطانه على الذين يدينون له ولا يدينون لله تعالى، وفي هذا تحذير للمؤمنين والكافرين في العهد المكي، فللمؤمنين حتى يثبتوا على إيمانهم ويحذروا غي الشيطان، وللكافرين حتى يعلموا أن ما هم فيه من غواية هو دليل على سلطان الشيطان عليهم.

٥- أما الموضع المدني، فقد جاء لإيضاح طريق المؤمنين الذين يحملون التصور الإيماني ويقومون بهذه الدعوة، وأن الإسلام هو منهج الرشد، وغيره طريق الضلال، قال تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهذا الخطاب القرآني الهادئ في أسلوبه الواضح في دلالاته يتناسب مع أجواء الدعوة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ويتناغم مع الأجواء الإيمانية السائدة فهو يظهر وضوح الرؤية للجميع، فالرشد واضح والغى واضح ولا إكراه في الدين بعد سيادة الدين وظهور الحق من الباطل.

الاستعمال البياني لمادة غوى في القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم حملاً ذو وجوه فالآية الواحدة قد يكون لها أكثر من معنى وتحمل أكثر من وجه، وقد استعمل القرآن الكريم مادة (غوى) بعدة معاني هي على النحو التالي:

الأول: الغي بمعنى الإهلاك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩) قال القرطبي: غياً أي هلاكاً. (١)

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧٤/٧)، قال الفيروز آبادي: "الغى هنا العذاب، وقيل المعنى: أضر الغي، وهذه المعاني متقاربة"، (انظر: بصائر ذوي التمييز) (١٥٦/٤).

الثاني: بمعنى الإضلال والإبعاد، قاله ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الأعراف: ١٦) وأيضا قول الله -عز وجل- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أُغْوِيَنِي لِأَرْضِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩)^(١).

الثالث: الغي بمعنى الجهل والاعتقاد الفاسد، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي أَغْيَىٰ تَمْ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٢). ومنه أيضا قوله -سبحانه-: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾

(النجم: ٢)، والمعنى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ أي: "ما عدل محمد -ﷺ- عن طريق الهداية المستقيم"،

﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي: "ما وقع في الغي: وهو الجهل مع الاعتقاد الفاسد، وهو الجهل المركب"^(٢).

الرابع: الغي بمعنى الفساد ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (طه: ١٢١) أي فسد عيشه في الجنة^(٣).

الخامس: الغي واد في جهنم، بينه ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩)، قال القرطبي: "والأظهر أنّ الغي اسم للوادي سمي به لأنّ الغاوين يصيرون إليه"^(٤).

السادس: الغي هو الشرّ والخسران، نقل ذلك ابن كثير عن ابن عباس وقتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩)^(٥).

السابع: الإغواء بمعنى إيقاع الغي في القلب، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الأعراف: ١٦)، قال القرطبي: "المعنى بما أوقعت في قلبي من الغي"^(٦).

المطلب الثاني: نظائر الغواية.

النظائر: " جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال "^(٧)

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧٤/٧)

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبه الزحيلي (٩٦/٢٧).

(3) بصائر ذوي التمييز (٤/١٥٦).

(4) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٥).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣/١٣٥).

(6) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٧٤).

(7) لسان العرب: ابن منظور (٥/٢١٩).

والمراد هنا: الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، والتي تشبه في المعنى لفظة الغواية، وهي: الضلال، والخوض في الباطل، الطغيان، والردى.

١- الضلال: جاء الضلال بمعنى الغواية في قوله -عز وجل- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٢)، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْجَسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

٢- الخوض في الباطل ومنه قوله تعالى ﴿مَأْسَاكُمُ فِي سَفَرٍ﴾ (٤٣) ﴿قَالُوا لَرُبُّكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَرُبُّكَ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاطِيضِينَ﴾ (المدثر: ٤٢ - ٤٥).

٣- الطغيان، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٢٧) أي يقول شيطانه وما أغويته^(١).

٤- الإرداء، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرِينَ﴾ (الصافات: ٥٦)، قال مقاتل: "والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنسانا فقد أهلكه"^(٢)، وقال الثعالبي: أي لثهلكني بإغوائك، وفسر الإرداء بالهلاك بسبب الإغواء^(٣).

(1) إيجاز البيان عن معاني القرآن: النيسابوري (٢/٧٦٠).

(2) معالم التنزيل: البغوي (٦/٣٧٨).

(3) انظر: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (٣/٢٨١).

الفصل الأول

مبادئ الغواية وأسبابها كما يصورها القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مبادئ الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الغواية في العقائد.

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق.

المطلب الرابع: الغواية في المعاملات.

المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الثالث: حب المال والسلطان.

المطلب الرابع: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: انتكاس الفطرة.

المطلب السادس: موالاتة اليهود والنصارى.

المطلب السابع: التبرج وكشف العورات.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني

المبحث الأول

مبادئ الغواية كما يصورها القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الغواية في العقيدة.

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق.

المطلب الرابع: الغواية في المعاملات.

المطلب الأول: الغواية في العقيدة

لا شك أن العقيدة السماوية التي نزلت على رسل الله -عز وجل- وأنبيائه واحدة، كما أن المبادئ العامة للشرائع وأصول الأخلاق واحدة، مع فوارق في التشريعات والجزئيات المفصلة لأصولها العامة حتى تكون مناسبة لحال الأمم باختلاف الأزمان والأحوال، قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣). فالعقيدة الصحيحة لها الأثر، والأهمية البالغة على سير الأفراد والمجتمعات، وتبين تلك الأهمية من خلال التعرف على أهمية العقيدة على الفرد وعلى المجتمعات.

أولاً: أهمية العقيدة على الفرد

تعد العقيدة ركناً أساسياً مهماً في حياة البشرية، سواء على مستوى الأفراد، أو المجتمعات والدول، فلقد خلق الله تعالى الإنسان وركز في فطرته معرفة الله وتوحيده، إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، والقرآن الكريم والسنة النبوية مصدران صريحان في إثبات ذلك، فمن النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَأَقْرَجْكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَدِيمَ وَلَكِن كَرِهَ الْنَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

ومن الأحاديث النبوية الصريحة في أن الله فطر البشرية كلها على معرفته وتوحيده، قوله -ﷺ-: (ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة واقروا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠) ^(١).

ولقد بعث الله رسله تنري، وأنزل معهم الكتاب بالقسط، ليعبدوه وحده لا شريك له، وحدد الله أهداف دعوتهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٢٦٥٨)، ص (١٠٢٤).

ثانيًا: أهمية العقيدة على مستوى المجتمع.

إن العامل العقدي له دور حاسم في تكوين المجتمعات والدول وسيرها وضبط حركتها عبر التاريخ وتوجيه مؤسساتها ونظمها.

والقرآن الكريم ركز على العامل العقدي لكونه عاملاً حاسماً بإمكانه أن يغير مجرى الأحداث ويبدل سير الدول والمجتمعات على رغم توافر الإمكانيات المادية.

ولقد ذكر الله - تعالى - كثيراً من الأمم والشعوب كانت لها القوة والمنعة وكانت في مركز الثقل، ومع ذلك لم تكن أبداً استثناءً من سنة الله - تعالى - فانحرفت وغوت في عقيدتها فكانت عاقبتها

الخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (غافر: ٢١).

ولقد سجل القرآن الكريم هذه العلاقة المتلازمة القائمة بين العامل العقائدي وتطور المجتمعات سلباً وإيجاباً^(١)، وتاريخ المجتمعات الإسلامية بالذات خير شاهد على ذلك كما أبرز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم " (٢).

حيث وجد ابن تيمية أن هناك علاقة طردية بين صفاء العقيدة وتقدم المجتمعات وبالعكس، فكما كانت العقيدة صافية كلما تحقق وساد الاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي وازداد المجتمع قوة وتفوقاً، ويقدر ما تضطرب العقيدة بقدر ما تسير المجتمعات نحو الاضطراب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

ولو تتبعنا صور الغواية في العقيدة لطلنا بنا المقام ولكن سيكتفي الباحث بذكر بعض نماذجها، وهي:

١ - عبادة غير الله - عزَّوجلَّ - عبادة كاملة: فمن أعرض عن الله - عزَّوجلَّ - بالكلية وجعل عبادته لغير الله، من الجماد، أو الجن، أو الإنس، كالصلاة، والصوم لهم فهذا أعظم الكفر، وأشد أنواع الشرك، وهكذا من ينكر وجود الله تعالى بالكلية، كالشيوعيين والملاحدة^(٣)، قال -تعالى-:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٥)

قال الزحيلي: "يخبر الله - تعالى - عن ضلال المشركين عن عبادة الله وجهلهم وكفرهم بربهم فيقول وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ أي ويعبد المشركون آلهة من غير الله لا

(1) انظر: (سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها): محمد هيشور (٢٢٥).

(2) فتاوى ابن تيمية، رسالة الفرقان بين الحق والباطل (١٣ / ١٧٧).

(3) انظر: (بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا): ابن باز (٩٢).

تنفعهم عبادتها، ولا يضرهم هجرها وتركها، ولا دليل لهم على ذلك إلا مجرد الهوى والتشهي، ويتركون عبادة من أنعم عليهم بالنعم، وكان الكافر على ربه معصية ربه معينا للشيطان بالعداوة والشرك" (١).

٢- التزلف إلى الله بعبادة الأصنام:

والتزلف هو التقرب إلى الله تعالى بعبادة الأصنام، واتخاذها قربي، وشفيعا لهم عند الله تعالى، وقد بين سبحانه وتعالى هذه الصورة من الغواية في حق المشركين الذين أشركوا مع الله - عز وجل - آلهة أخرى بدعوى أنهم يتقربون بها إليه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣). فهؤلاء المشركين اتخذوا معبودات باطلة ليعبدوها من دون الله - عز وجل -، وعبدوا سواه، وهي الأصنام أو الكواكب أو الملائكة أو بعض البشر، فكانوا يقولون لمن ينهاهم عن ذلك: إننا لا نعبد هذه المعبودات إلا من أجل أن نتوسل بها، لكي تقربنا إلى الله قربي، ولتكون شفيعا لنا عنده (٢).

٣- التجرؤ بادعاء الألوهية:

ومثال ذلك: ادعاء فرعون للربوبية والألوهية على حد سواء، فقال سبحانه وتعالى في حقه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، وقوله - تعالى - على لسانه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤).

ففرعون نفى إلهية غيره، وادعى إلهية نفسه مستدلاً ببعض الأدلة، كما سجل القرآن ذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، وقوله - تعالى -: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٣ - ٢٤). واتهم إله موسى - عليه السلام - كما في قوله - تعالى -: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥٢).

وقد وصل فرعون إلى أقصى درجات الغي والطغيان والإفساد التي أودت به إلى الهلاك.

٤- المغالاة في طاعة الأحرار والرهبان:

ويعني الباحث في هذه الصورة الطاعة العمياء للأحرار والرهبان وغيرهم، واتخاذهم مشرعين من دون الله - عز وجل -، وهذا الذي أوقعهم في الضلال والانحراف العقائدي، كما أخبر سبحانه وتعالى في

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٩٢/١٩)

(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (١/١٥٧).

قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

قال السعدي: " (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) وهم علماءهم (وَرُهْبَانَهُمْ) أي: العبَّاد المتجربين للعبادة. (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّونَهُ، وَيَحْرَمُونَ لَهُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيَحْرَمُونَهُ، وَيَشْرَعُونَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَقْوَالِ الْمَنَافِيَةِ لِذَيْنِ الرِّسْلِ فَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَيْهَا. وَكَانُوا أَيْضًا يَغْلُونَ فِي مَشَائِخِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَيَعْظَمُونَهُمْ، وَيَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَقْصِدُ بِالذَّبَائِحِ، وَالِدَعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ" (١).

ويدخل في هذه الصورة كل من يطيع غير الله تعالى في معصيته، ويؤكد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (٢).

٥- الإلحاد في أسماء الله تعالى:

الإلحاد لغة: " مصدر قولهم: الحد يلحد، وهو مأخوذ من مادّة (ل ح د) الّتي تدلّ على ميل عن الاستقامة، يقال ألد الرجل: إذا مال عن طريقة الحقّ والإيمان، وسُمي اللحد لحدًا لأنّه مائل في أحد جنبي الحدّ (القبر)" (٣).

الإلحاد اصطلاحاً: هو " الميل عن الحقّ والعدول عنه فيما يتعلّق بأسماء الله تعالى أو بيته الحرام أو بآياته الكرام في دلالتها أو فيمن تنزّلت عليه" (٤).

والإلحاد في أسماء الله تعالى: هو نفيها، أو جحد معانيها، أو تحريفها عن الصواب، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، وإخراجها عن الحق المراد بالتأويلات الباطلة، أو تعطيل صفات الله - سبحانه وتعالى - عن صفات كماله، ونعوت جلاله؛ الثابتة في الكتاب والسنة، وهذا يعد مظهرًا من مظاهر

الكفر، قال -تعالى-: ﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وجعلها مظهرًا من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته -تعالى-

بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له، فحق بأن يُسمى إلحادًا؛ لأنه عدول عن الحق بقصد المكابرة والحسد (٥).

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٣٤/١)

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٢٦/٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٠/١).

(3) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٢٣٦/٥).

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ-: صالح بن عبد الله بن حميد (٣٩٨٢/٩).

(5) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٣/٦).

٦- الإنكار والشك في البعث:

إن استبعاد الكفار لأمر البعث بعد الموت هو السبب الرئيس في ضلالهم وانحرافهم، إذ إن إنكار البعث يترتب عليه إنكار اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وقد حاججهم الله سبحانه وتعالى بكافة الأساليب المعنوية والحسية الدالة على إثباته، وفي بيان إنكار الكفار لذلك اليوم يقول تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧)، وفي استبعادهم له يقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٦٦).

فبين الله -عزَّوجلَّ- من خلال الآيات الكريمة استبعاد الكفار لأمر البعث لأن هؤلاء لا يتصورون كيف يبعث الله الخلق من لدن آدم عليه السلام حتى تقوم الساعة^(١)، وهذا الإنكار والاستبعاد أوقعهم في الضلال والهلاك، حيث اعتقدوا أنهم لن يبعثوا ولن يحاسبوا على أعمالهم، فتشبثوا بما وجدوا عليه آباءهم.

٧- التحريف والتبديل في الكتب السماوية.

يعد التحريف في الكتب السماوية مظهرًا من مظاهر الغواية، والتحريف يشمل الزيادة أو النقصان أو التبديل أو الكتمان لما فيها من أحكام، وخير مثال على ذلك تحريف أهل الكتاب لكتبهم، حيث بينت كثير من الآيات هذا التحريف، يقول تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة: ٤١)، ويقول تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّوْهُ مِنْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠١)، والله -عزَّوجلَّ- قد توعد الذين يتجرعون على كتبه بالعذاب الشديد في الآخرة فقال تعالى: ﴿ قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٩)، فلقد توعد الله أحبار السوء من اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، وجاءوا بأقوال من عندهم ونسبوها إلى الله ليأخذوا في مقابل هذا عرض الدنيا، فلهم عقوبة مهلكة بسبب كتابتهم هذا الباطل بأيديهم، ولهم عقوبة مهلكة بسبب ما يأخذونه في المقابل من المال الحرام، كالرشوة وغيرها^(٢).

(1) انظر تفسير الشعراوي (٤٩٠١).

(2) انظر المصدر السابق (٢٤٧٢).

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

خلق الله سبحانه وتعالى الناس ليعرفوه ويعبدوه، قياماً بحق ربوبيته، وألوهيته، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وهي الغاية التي من أجلها أرسل الله - عز وجل - رسله كما قال سبحانه: ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، بل وألزم بها رسوله - ﷺ - حتى يأتيه اليقين كما قال - سبحانه -: ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

لهذا جعل الإسلام التعبد لله تعالى، هو أول ما يطالب به المسلم، وكانت أركان الإسلام، ومبانيه العظام، تتمثل في عبادات الله تعالى، هي - بعد الشهادتين - إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.

أولاً: العبادة لغة:

مصدر عبد يعبد عبادة أي أطاع وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدلّ على معنيين: الأول لين وذلّ، والآخر شدة وغلظة^(١).

ثانياً: العبادة اصطلاحاً:

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. وقيل: عبادة الله: طاعته بفعل المأمور وترك المحذور^(٢).

الهدف من العبادات:

ما شرع الله - عز وجل - العبادات إلا ليربي في الإنسان ملكة التقوى، وليعوده على الخضوع، والعبودية، والإذعان لأوامر الله العلي القدير. كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

أنواع العبادات في الإسلام

العبادة في الإسلام لها أنواع كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات

(1) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٤/ ٢٠٦) و(لسان العرب): ابن منظور (٣/ ٢٧٥).

(2) العبودية: ابن تيمية (٥).

المؤمن؛ إذا نوى بها القرية أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوى على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء وطلب الرزق والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصيرُ عبادات؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.^(١) ولكن الباحث سيسلط الضوء على أركان الإسلام وهي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث سأل النبي عن الإسلام فقال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)^(٢).

وجاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي -ﷺ-: (بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)^(٣).

ولا بد قبل الخوض في غمار الغواية في أركان الإسلام الخمسة أن نوضح أن العبادة لا بد لها عند قبولها من توفر شرطين اثنين؛ أحدهما: إخلاص النية لله، والثاني: تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، فلا يُشركُ مع الله غيره، ولا يُصرفُ من أنواع العبادة شيء لغير الله سبحانه وتعالى، و لا بد من تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمرنا المولى سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

فالآية الكريمة بينت لنا أن علامة المحبة الصادقة لله ولرسوله -ﷺ- هي اتباعه فالذي يخالفه ويدعي حبه فهو حتمًا كاذب، إذ لو كان محبًا له لأطاعه، فالمحبة تستجلبُ الطاعة حتمًا^(٤)

- (1) انظر: (عقيدة التوحيد): صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (٣٦/١).
- (2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم...، رقم الحديث (٥٠)، ص(٢٥)، و الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم الحديث (١)، ص(٢٧).
- (3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، رقم الحديث (٨)، ص (١٧).
- (4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي(١/١٩٩).

وقد حذر المولى سبحانه وتعالى من مخالفة أمره، ومخالفة رسوله ﷺ - وتوعد بالعقاب الشديد عليها في الدنيا والآخرة فقال سبحانه ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣) (١).

فلا يُعبد الله سبحانه وتعالى بالبدع والمحدثات والمنكرات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، فإذا اختل أحد هذين الشرطين بأن فقد الإخلاص، أو فقدت المتابعة، أو فقدًا معًا فإن العمل مردودٌ على صاحبه، ولا يقبل عند الله عز وجل.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تروية عائشة رضي الله عنها (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌ) وفي رواية أخرى (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ) (٢).

من صور الغواية في أركان الإسلام

إن الأصل في العبادات التوقيف حتى يأتي الدليل على أنها مشروعة وإلا كانت كما قال الله -تعالى- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ٢١).

١ - نقض الشهادتين.

إن الشهادتين هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والإلزام بالقيام بما تقتضيان؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا اختل بهذا الإلزام فقد نقض العهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين.

ومثال الغواية في نقض الشهادتين: الشرك بالله -تعالى-.

الشرك لغة: الشَّرْكُ اسم من قولهم: أشرك به يشرك إشراكاً، وهو مأخوذ من مادّة (ش ر ك) التي تدلّ على مقارنة وخلاف انفراد (٣).

الشرك اصطلاحاً: قال المناوي: الشَّرْكُ إمّا أكبر، وهو إثبات الشَّرِيكِ لله تعالى، أو أصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور (٤).

والوقوع في الشرك تحقيقاً لأمنية الشيطان التي من أجلها استخدم كافة الأساليب لإغواء الإنسان

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣٢٣/١٢).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم الحديث (٢٦٩٧)، ص (٤٩٢)، و الإمام مسلم، كتاب: الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، رقم الحديث (١٧١٨)، ص (٦٨٢).

(3) مقاييس اللغة: ابن فارس (٣/ ٢٥٢).

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٣٠٣).

وإيقاعه في الكفر والشرك، وهي العقبة الأولى من سبع عقبات بيّنها ابن القيم رحمه الله، والتي ينتقل الشيطان من خلالها ليقوع الإنسان في الضلال والكفر^(١)

وقد توعد الله -عزّوجلّ- الذين يقعون في غواية الشرك بالضلال والخسران، فقال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦).

قال الطبري: "ومن يجعل الله في عبادته شريكاً، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل، ذهاباً بعيداً وزوالاً شديداً، وذلك أنه بإشراكه بالله في عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه، وترك طاعة الله ومنهاج دينه، فذاك هو الضلال البعيد والخسران المبين"^(٢). وسيكتفي الباحث بذكر بعض مظاهر الشرك دون تفصيل وذلك لورودها في المطلب السابق.

ومن مظاهر الشرك المهلكات:

- ١- الاستغاثة والتوسل بغير الله -تعالى-.
 - ٢- الذبح والنذر لغير الله -تعالى-.
 - ٣- الحلف بغير الله -عزّوجلّ-.
 - ٤- اتخاذ القبور مزارات يشد إليها الرجال.
 - ٥- اتخاذ مشرّعين غير الله -عزّوجلّ-.
 - ٦- دفن الأولياء والصالحين في المساجد.
 - ٧- الحكم بغير ما أنزل الله.
 - ٨- طاعة الحكام أو العلماء أو المشايخ في أمر يخالف نص القرآن أو صحيح السنة.
- هذه بعض مظاهر الشرك بالله تعالى والتي تعد سبباً رئيساً في الغواية التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والعياذ بالله.

وقد حذر سبحانه وتعالى المسلمين من الوقوع في هذه الغواية الخطيرة التي لا يقبل معها أي طاعة كما قال سبحانه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

٢- ترك الصلاة جحوداً وتهاوناً.

إن الصلاة هي عمود الدين وهي أوكد العبادات بعد الشهادتين ومن تركها فقد كفر وقد قال الله تعالى ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ (مريم: ٥٩).

(1) انظر: (مدارج السالكين) (١/٢٤٤).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن (٩/٢٠٧).

أي: خلف من بعدهم خلف، خالفوا سيره آبائهم الصالحين، فابتعدوا عن الله تعالى، وتركوا وجدوا الصلاة، واستغرقوا في شهواتهم، فهؤلاء سيقفون غيباً، والغيب الشرود والضلال، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك^(١).

وقال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ (الماعون: ٤ - ٧).

الويل: هو الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين لا يصلون، ولا يريدون الله - عزَّوجلَّ - بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوها، ولاهون غافلون عنها، ويصلون مرأئين الناس بصلاتهم، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وقيل أن الويل هو واد في جهنم للذين يقصرون في صلاتهم^(٢).

٣- منع إخراج الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله - عزَّوجلَّ -.

وهذا المنع لم يكن لولا وعيد الشيطان بالفقر لأصحاب الأموال وقد قال الله - تعالى -: ﴿الشَّيْطَانُ يُدْكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدْكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

قال الشعراوي: "إن الشيطان قد يوسوس لكم بأن الإنفاق إفقار لكم، ويحاول أن يصرفكم عن الإنفاق في وجوه الخير، ويغريكم بالمعاصي والفحشاء، فالعني حين يقبض يده عن المحتاج فإنه يُدخِل في قلب المحتاج الحقد، وأي مجتمع يدخل في قلبه الحقد نجد كل المنكرات تنتشر فيه"^(٣)، وقد أثبت الله - عزَّوجلَّ - في الآية السابقة إغواء الشياطين لبني آدم، ولما لها من تأثير على بني آدم إقداماً أو إجماماً؛ أما الإقدام: فيأمره بالزنا مثلاً، ويزين له حتى يقدم عليه؛ وأما الإجمام: فيأمره بالبخل، ويعدده الفقر لو أنفق؛ وحينئذ يحجم عن الإنفاق^(٤).

والله - عزَّوجلَّ - عالج هذه المسائل بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ وَمَتَاعٌ يُؤْتِيهِمْ لَوَاقِحَهُمْ وَلَا يَسْئَلُهُمْ أُجُورَهُمْ وَلَا يَسْئَلُهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ (محمد: ٣٦).

وقد مدح الله - عزَّوجلَّ - المؤمنين وأثنى عليهم وجعل الإنفاق صفة من صفاتهم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٤).

(1) انظر: (في ظلال القرآن) سيد قطب (١٠٢/٥)

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٣٣/٢٤)

(3) تفسير الشعراوي (٧٤٤/١).

(4) انظر: (تفسير ابن عثيمين): الشيخ ابن عثيمين (٢٧٥/٥).

وقد حذر سبحانه وتعالى الذين يقعون في مثل هذه الغواية الخطيرة بقوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ إِيمَانَهُمْ أَنَّهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بِلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ (آل عمران: ١٨٠). و جعل الإمساك عن الإنفاق في سبيله والبخل سبباً من أسباب التهلكة فقال -تعالى-: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ (البقرة: ١٩٥).

وقد توعد سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم الذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله، حيث قال - سبحانه-: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ (التوبة: ٣٤).

٤- الوقوع في مبطلات الصيام.

فرض الله تعالى على عباده صيام شهر رمضان، وسن نبيه صلى الله عليه وسلم أياماً طوال العام، وقد وقت بدء الصوم بطلوع الفجر ونهايته بغروب الشمس، وبين لنا مبطلات الصيام كالأكل والشرب والجماع، فمن أتى أحدها وأغواه الشيطان فقد بطل صومه، وقد قال تعالى: ﴿.....فَالَّذِينَ بَشِرُوا بِشَرِّهِمْ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۗ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۗ لَهُمْ ۝﴾ (البقرة: ١٨٧).

٥- ارتكاب أحد محاذير الحج.

ومثال ذلك: الرفث والفسوق والجدال في الحج^(١).

فالرفث وإن أبيض في غير الحج فهو محرم في الحج، أما الفسوق فهو محرم في الحج وفي غير الحج، فكأن الله ينبه إلى أنه وإن جاز أن يحدث من المسلم فسوق في غير الحج، فليس من الرفث والفسوق والجدال في الحج، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك فقال ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۗ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْتَبِ ۝﴾ (البقرة: ١٩٧).

فليس من الأدب أن يكون المسلم في بيت الله ويحدث ذلك الفسوق منه، إنَّ الفسوق محرم في كل وقت^(٢).

(1) الرفث: اسم للفحش من القول، وقيل هو الجماع، وأما الفسوق: فهو المعصية، وفسر بالخروج عن الاستقامة،

انظر: (المنهاج شرح صحيح مسلم) (١١٩/٩).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥١٩).

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥).
وقد بشرَّ النبي -ﷺ- من يصون نفسه من الوقوع في هذه المحذورات التي تُؤدي بأجر الفريضة بالكلية، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه) (١).

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق:

الأخلاق لغة: هي السجية أو الطبع (٢).

الأخلاق اصطلاحاً: قال الجرجاني: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً" (٣).

وهي أيضاً: "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان، أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه" (٤).

والأخلاق: هي جوهر الدين وروحه تسيير وفق نظام من العمل، غايته تحقيق الحياة الخيرة الطيبة، ونمط من السلوك مع النفس والغير، والتزام الإنسان بالواجبات نحو الله، ونحو نفسه، وغيره من المخلوقات (٥).

ويتبين مما سبق أن الخلق هو: هيئة راسخة في النفس يصدر عنها السلوك ببسر وسهولة دون تكلف.

أهمية الأخلاق في الإسلام:

اعتنى القرآن الكريم في مجال الأخلاق ، حيث كثرت الآيات التي تتحدث عن موضوع الأخلاق، وهذا يدل على أهميته، فهي صفة الأنبياء والصدّيقين، وقد أثنى الله -عزَّ وجلَّ- على نبيِّه الكريم

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المُحصَر، باب: قول الله تعالى: (فلا رفث) البقرة: ١٩٧، رقم الحديث (١٨١٩)، ص (٣٣٠)، وأخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: فضل الحج والعمرة ويوم عرفه، رقم الحديث (١٣٥٠)، ص (٥٠٤).

(2) لسان العرب: ابن منظور (١٤٠/٥).

(3) التعريفات (٣٣/١).

(4) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان (٧٦).

(5) انظر: (أخلاق العلماء): أبو بكر الأجرّي (١٨).

محمد بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القم: ٤)، وقالت عائشة- رضي الله عنها-: (كان رسول الله خُلُقُهُ القرآن)^(١).

وكذلك السنة النبوية اعتنت بالأخلاق، ووردت أحاديث كثيرة عن رسول الله- ﷺ- توضح مكانة الأخلاق، والحث عليها، فقد قال -ﷺ-: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)^(٢)، فالأخلاق في الإسلام تحتل مكانة ومنزلة سامية، جدير بالمسلمين التحلي بها.

علاقة الأخلاق ببناء الأفراد والمجتمعات:

أولاً: على المستوى الفردي نجد أن الأخلاق تزرع في نفس الفرد الأمانة، والاستقامة والحياء والعفة والتواضع والإخلاص، وغير ذلك من القيم والفضائل السامية. يقول الإمام الغزالي: " فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة.... " ^(٣).

فالأخلاق أساس الفلاح والنجاح كما قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾

(الأعلى: ١٤-١٥)، وقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ (الشمس: ٩-١٠).

أثر الأخلاق الإسلامية على الفرد.

تنعكس الأخلاق على سلوك الفرد قولاً وعملاً، كما ينعكس أثر الالتزام بهذه الأخلاق على ذات الفرد ونفسه؛ محققة نوعاً من الكمال النفسي والصفاء فهي:

١- تعمل على إصلاح الفرد نفسياً، وتوجهه نحو الخير وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن له حياة نظيفة في الدنيا وسعادة دائمة في الآخرة.

٢- تعمل على ضبط الفرد لشهواته، ومطامعه، فلا تتغلب على فكره ووجدانه.

٣- تُبعد الإنسان عن النقص البشري الذي يجعل الحياة جحيماً لا يطاق وذلك جزاء صفاتٍ أبرزها:

الجبن، والخوف، والاستهتار، واللامبالاة.. إلى غير ذلك من صفات يجب أن يتجنبها الإنسان.

وعلى هذا يمكن القول إن الأخلاق هي صمام الأمان لضبط سلوكيات الفرد نتيجة التزامه بمعايير

وأحكام أهمها إرضاء الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإنه يتصرف على ضوئها وعلى هديها.

(1) مسند أحمد بن حنبل رقم (٢٤٦٤٥)، (٩١/٦)، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(2) سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: حسن الخلق، رقم الحديث (٢٠٠٢)، ص (٣٦٢/٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(3) إحياء علوم الدين (٣ / ٥٩).

ثانياً: على مستوى المجتمع نجد أن الأخلاق أساس لبناء المجتمعات الإنسانية، وهذا ما تشهد به الآيات الكريمة من سورة العصر قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر ١-٣)، فالعمل الصالح المبني على الإيمان، المدعم بالتواصي بالحق أمرًا بمرعوف ونهيًا عن منكر، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والخطوب، من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا لا تتال منه عوامل التردّي والسقوط، وليس بلاء الحضارات قديمها وحديثها كامنًا في ضعف إمكاناتها أو منجزاتها العلمية، وإنما في قيمها الأخلاقية التي تسودها وتحكم عليها، والأخلاق السامية تسهم في بناء مجتمع واحد بعيد عن التمزق تسوده روح المحبة والتسامح والتكافل^(١).

ومن الآثار الظاهرة للأخلاق الإسلامية على المجتمع.

- ١- المحافظة على المجتمع وتماسكه، فتحدد له أهداف حياته ومثله العليا.
- ٢- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه.
- ٣- تربط ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة.
- ٤- تقي المجتمع من النزعات، والأهواء والشهوات الطائشة، وتصل بالمجتمع إلى بر الأمان.
- ٥- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم، وتحدد له أهداف ومبررات وجوده^(٢).

أقسام الأخلاق:

قسّم ابن القيم الأخلاق إلى قسمين وعرّف كل قسم بمثال:

الأول: الأخلاق المذمومة.

الثاني: الأخلاق الفاضلة.

وأرجع كلا القسمين إلى أصوله فقال: أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة^(٣)، ثم أشار - رحمه الله تعالى - إلى أن للأخلاق حدودًا، متى جاوزتها صارت عدوانًا، ومتى قصرت عنها كانت نقصًا ومهانة^(٤).

والأخلاق المذمومة: هي تلك الأخلاق التي نهى الله - تعالى - عنها في كتابه، ونهى عنها رسولنا الكريم ﷺ - كالكذب والخيانة والكبر وغيرها.

(1) انظر: (الأخلاق الإسلامية وأسسها): عبد الرحمن الميداني (٣٣/١).

(2) انظر: (المصدر السابق) (٣٥/١).

(3) الفوائد: ابن القيم (١٩٧).

(4) المصدر السابق: (١٩٢).

وقد قال الإمام الغزالي: "الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدافعة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة"^(١). أما الأخلاق الفاضلة: "هي تلك الأخلاق التي دعا القرآن الكريم إليها، والتي تحلى بها رسولنا محمد -ﷺ- ودعا المسلمين إلى التحلي بها كالصدق، والأمانة، والعدل، والإخلاص والتواضع وغيرها"^(٢).

لقد حدد النبي -ﷺ- الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته وهي إتمام مكارم الأخلاق، والشيطان حدد أيضًا وجهته بعد معصيته لله -عزَّ وجلَّ- بالسجود فقال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا

أَعُوذُ بِكَ لَأَزِيدَنِّي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

أي: بسبب كوني غاويًا لأزيدن لهم (أي بني آدم) والتزيين: بمعنى التحسين والتجميل بأن يصير الشيء زينًا، أي حسنًا حتى ترغب النفوس فيه وتقبل عليه^(٣).

فكما أن الإسلام يدعوا الناس إلى الأخلاق الفاضلة والبعد عن الأخلاق الذميمة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠) فإن الشيطان يحبب الناس ويدعوهم إلى الأخلاق الذميمة والمنكرة، وهذا

ما بيَّنه -تعالى- على لسانه، قال -تعالى-: ﴿... وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ... ﴾ (النور: ٢١)، "لأن الشيطان يسعى، هو وجنده في الدعوة إليها وتحسينها"^(٤).

وصور الغواية في الأخلاق لا حصر لها، ذلك أن الشيطان قد عزم على إفساد أخلاق بني آدم وسنقتصر على خمسة أمثلة لهذه الغواية وهي:

١- الكذب ٢- الخيانة ٣- الكبر ٤- عقوق الوالدين ٥- الغيبة والنميمة.

أولاً: الكذب:

الكذب لغة: كذب يكذب، وهو مأخوذ من مادة (ك ذ ب) التي تدلّ على خلاف الصدق^(٥).

(1) إحياء علوم الدين (٣/٥٤).

(2) منهاج المسلم أبو بكر الجزائري (١٩٣-١٩٤).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣/٣٠٩).

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي (٥٣٩).

(5) مقاييس اللغة: ابن منظور (٥-١٦٨).

الكذب اصطلاحًا: قال الجرجاني: كذب الخبر عدم مطابقته للواقع، وقيل هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه^(١).

حكم الكذب:

الكذب رذيلة محضة تُنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر وإنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة^(٢).

وقد حذر سبحانه وتعالى من هذه الآفة الخطيرة التي تهدي صاحبها إلى النار والعياذ بالله.

حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٥).

قال الرازي: "في هذه الآية دلالة قوية على أن الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش والدليل عليه أن كلمة «إنما» للحصر، والمعنى: أن الكذب والفرية لا يقدم عليهما إلا من كان غير مؤمن بآيات الله تعالى"^(٣).

وقد بيّن النبي ﷺ - مفاصد غواية الكذب وما يترتب عليها، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، عن النبي ﷺ - قال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)^(٤).

وأشنع أنواع الكذب: الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من أشد

أنواع الكذب لأنه افتراء في الدين، وتلاعب بشرائع الله لعباده، وتجروء عظيم على النار، قال

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام: ٢١).

قال السعدي: أي: "لا أعظم ظلماً وعتاداً، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا،

افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم

لا يفلح أبداً"^(٥).

(1) التعريفات: الجرجاني (٢٣٥).

(2) انظر: (خلق المسلم): محمد الغزالي (٣٦).

(3) مفاتيح الغيب: الرازي (٤٦٩/٩).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى يأبها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين، ما ينهي عن الكذب رقم الحديث (٦٠٩٤) ص (١١١٩).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٥٣).

وقد عدَّ الإمام ابن حجر الكذب (الذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أنَّ الكذب على الرسول -ﷺ- كفر، قال ابن حجر: ولا ريب أنَّ تعمّد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنّما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك^(١).

ثانياً: الخيانة:

الخيانة لغة: مصدر قولهم: خان يخون، وهو مأخوذ من مادة (خ ون) التي تدلّ على التَّنْقِص^(٢). والنقص: "أصل الخَوْن: النقص؛ لأن الخائن ينقص المخون شيئاً مما خانه فيه"^(٣) الخيانة اصطلاحاً: قال المناوي: "الخيانة: هي التَّقْرِيط في الأمانة"^(٤)، وهذا يشمل كل أمانه، فالتقريط في أمانة الدين والتكاليف الشرعية هو: خيانة لله تعالى.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

أنواع الخيانة:

للخيانة صورٌ متعددة نهى وحذر منها الشارع الحكيم.

من هذه الصور:

١- خيانة الدين ٢- خيانة الأمة والوطن ٣- خيانة العرض ٤- خيانة النفس والجوارح
وكل هذه الصور اشتملت عليها الآية الكريمة حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

ولا شك أن خيانة الله تعالى، وخيانة رسوله صلى الله عليه وسلم، وخيانة الأمانات، هي معصية وذنب، وقد أورد الطبري معنى الخيانة الواردة في الآية الكريمة فقال: " وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله -ﷺ- والمؤمنين الإيمان الظاهر والنصيحة، وهو يسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم، وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية^(٥)، ولم يثبت بعد البحث صحة الأخبار الواردة في سبب نزولها.

(1) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيتمي (٢٤٨/١).

(2) لسان العرب: ابن منظور (١٤٤/١٣).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٤٨٥/١٣).

(4) التوقيف على مهام التعاريف: المناوي (١١١).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن (٤٨٣/١٣).

قال ابن كثير: "والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار، اللازمة والمتعدية"^(١)، ففي هذه الآية "سمى الله المعصية بالخيانة"^(٢).

حكم الخيانة:

خيانة الأمانة حرام لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان "^(٣).

وقد عدَّ الإمام الذهبي^(٤) - رحمه الله - الخيانة من الكبائر في الكبيرة الرابعة والثلاثين، ثم قال: "والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظام"^(٥).

ثالثاً: الكبر:

الكبر لغة: الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتجبر، وقيل: الرفعة في الشرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات ولا يوصف بها إلا الله تعالى^(٦).
الكبر اصطلاحاً: قال الكفوي: التكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التزین بأكثر مما عنده^(٧).

فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، ولما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٨) وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين

(1) تفسير القرآن العظيم (٣٠٢/٢).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (٩١/٥).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث (٣٣٩)، ص (٢٢)، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم الحديث (٥٩)، ص (٤٦).

(4) الإمام الذهبي: هو الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين، قدوة الحفاظ والقراء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز المعروف بالذهبي، شافعي، ولد سنة ٦٧٣هـ بدمشق، صنّف الكتب المفيدة ومنها (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) توفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ، انظر: (ذيل تذكرة الحفاظ): أبو المحاسن الدمشقي (٢٢/١).

(5) كتاب الكبائر (١٤٩) الكبيرة الرابعة والثلاثون.

(6) لسان العرب: ابن منظور (١٢٥/٥).

(7) الكليات (٢٨).

(8) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه رقم الحديث (٩١)، ص (٥٤).

أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه- وفيه شيء من الكبر-، فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه، فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الدّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له^(١).

أنواع الكبر:

للکبر أنواع ثلاثة:

الأول: الكبر على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر، وذلك مثل تكبر فرعون ونمرود حيث استكفأ أن يكونا عبيدين له.

الثاني: الكبر على رسول الله -ﷺ- بأن يمتنع المنكبر من الانقياد له تكبرا وجهلا وعنادا كما فعل كفار مكة.

الثالث: الكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدرية فيتأبى عن الانقياد له ويترفع عليه.. وهذا وإن كان دون الأولين إلّا أنّه عظيم إثمه أيضا؛ لأنّ الكبرياء والعظمة إنّما يليقان بالله تعالى وحده^(٢).

حكم الكبر:

ذكر الإمام الذهبي أنّ الكبر من الكبائر واستدلّ بآيات وأحاديث عديدة، ثمّ قال: وأشرّ الكبر من يتكبر على العباد بعلمه فإنّ هذا لم ينفعه علمه.. ومن طلب العلم للفخر والرئاسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال نرّة من كبر^(٣)، وقد عدّه الإمام ابن حجر^(٤) أيضا من الكبائر وجعل معه العجب والخيلاء^(٥).

وهذه الصورة من صور الغواية في الأخلاق طردت إبليس من ملكوت السموات إلى دركات الأرض قال- تعالى-: ﴿ قَالَ فَأَهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣).

(1) انظر: (إحياء علوم الدين): الغزالي(٣/٣٤٤).

(2) انظر: (الزواجر عن اقتراف الكبائر): ابن حجر الهيتمي (١/١٨١).

(3) الكبائر (٧٦-٧٨).

(4) ابن حجر الهيتمي: هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، فقيه مصري، له تصانيف كثيرة منها (شرح الأربعين النووية) و(الزواجر عن اقتراف الكبائر) توفي سنة ٩٧٤هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١/٢٣٤).

(5) الزواجر (٩٠).

أي: اهبط منها يعني الجنة، فليس لك أن تستكبر فيها عن طاعاتي وأمري: فإن قال قائل: هل لأحد أن يتكبر في الجنة؟ قيل: إن معنى ذلك: فاهبط من الجنة فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها كالدنيا فقد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته^(١).

رابعاً: عقوق الوالدين:

العقوق لغة: قطيعة الوالدين، وكلّ ذي رحم. يقال: عَقَّ أباه فهو يعقّه عَقًّا وَعُقُوقًا^(٢).
العقوق اصطلاحاً: قال ابن الصّلاح- رحمه الله-: العقوق المحرّم كلّ فعل يتأدّى به الوالد أو نحوه تأدياً ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة^(٣).

حكم العقوق

أجمع العلماء على أنّ عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، وقد ذكر الإمامان: الذّهبي وابن حجر أدلّة عديدة على ذلك من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله- تعالى-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ۖ وَإِن يَبْغُضَا إِلَيْكَ أَوْ يَوَدُّوا أُولَٰئِكَ فَلَآتُ لَكُم مِّنْهُمَا وَلَا تَنهَرهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

وقد جاء في الحديث الصحيح أنّ العقوق ليس فقط كبيرة فحسب، ولكنّه من أكبر الكبائر فعن أبي بكر- رضي الله عنه-^(٤) قال: قال رسول الله- ﷺ-: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: ثلاثا: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)، وكان متكئا فجلس. فقال: (ألا وقول الزور، وشهادة الزور. ألا وقول الزور، وشهادة الزور). فما زال يقولها حتّى قلت: لا يسكت^(٥)، وقال الذّهبي معقبا على هذا الحديث: "انظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البرّ بهما والإحسان إليهما بالإشراك"^(٦).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٣٢٩/١٢).

(2) مقاييس اللغة: ابن فارس (٤/٤).

(3) أدب المفتي والمستفتي (٢٠١/١).

(4) أبو بكره هو: نفي بن الحارث، كان من فضلاء الصحابة، وسمي بذلك لأنه تدلى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكره وهو مشهور بكنيته وقد توفي السنة الواحدة والخمسون للهجرة. انظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ابن عبد البر (١٥٣٠/٤).

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم الحديث

(٥٩٧٦)، ص(١١٠٢)، والإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها رقم الحديث (٨٧)، ص(٥٣).

(6) الكبائر (٤٠).

خامساً: الغيبة:

الغيبة لغة: يقول ابن فارس (الغين والياء والباء) أصل صحيح يدلّ على تستر الشيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلا الله^(١).

الغيبة اصطلاحاً: قال الجرجاني: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه^(٢).

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الذي دلّت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنّها كبيرة^(٣).

فلا عجب إذا صورها القرآن في صورة منفرة تتفرز منها النفوس، وتنبو عنها الأدواق ﴿..... وَلَا يَنْتَبِ بِمَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ^٥﴾ (الحجرات:

١٢)، والإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان، فكيف إذا كان لحم أخيه؟ وكيف إذا كان ميتاً؟! يقول الزمخشري: " (أحب أحدكم) تمثيل وتصوير لما يناله من اغتاب من عرض المغتاب على أقطع وجه وأفحشه. وفيه مبالغات شتى: منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يجب ذلك، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أخصاً، ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً^(٤).

فبيّن سبحانه وتعالى للمؤمنين من خلال الآية الكريمة ﴿..... وَلَا يَنْتَبِ بِمَعْضُكُم بَعْضًا.....﴾

بقوله هل تحبون أن يأكل أحدكم لحم أخيه بعد مماته ميتاً، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذا لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حياً، كما كرهتم لحمه ميتاً، فإن الله حرم غيبته حياً، كما حرم أكل لحمه ميتاً^(٥).

(1) مقاييس اللغة: بن فارس(٤/٣٢٤).

(2) التعريفات (٥٢).

(3) الزواجر (٢/٥٥٥).

(4) الكشف (٦/٣٨٠).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢٢/٣٠٨).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره)، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتك، وإن لم يكن فيه، فقد بهته)^(١). وهكذا يتبين لنا من هذه الصورة من صور الغواية في الأخلاق خطر الغيبة وما يترتب عليها من هدم للمجتمع وتقطيع لأواصر المحبة بين المسلمين.

المطلب الثالث: الغواية في المعاملات:

معلوم أن الإنسان كائن اجتماعي، وهو مدني بأصل فطرته التي فطره الله عليها، بل هذه إحدى خصائصه الأساسية، ومن ضرورات هذا الاجتماع الإنساني وجود (معاملات) ما بين أفراد وجماعاته، ولا يمكن أن تؤدي هذه المعاملات وظيفتها في خدمة المجتمع البشري إلا إذا سارت على وجه واضح مستقر، ومتفق عليه من المجتمع، حتى لا تفضي المعاملات إلى نزاع دائم، وشقاق بعيد في شؤون الحياة، وما استبدل مجتمع من المجتمعات الأحكام الشرعية الخاصة بهذه المعاملات إلا دَبَّ فيها النزاع والشقاق الذي يفضي إلى التمزق والتفوق، وسنتعرف في هذا المطلب على بعض صور الغواية في هذه المعاملات.

معنى المعاملات:

المعاملات لغة: جمع معاملة وهي مفاعله من العمل بمعنى الحرفة أو الصناعة، أو مطلق الفعل، وصيغة مفاعله تقتضي مشاركة بين طرفين فأكثر في الفعل الذي هو موضوع التعامل كالبيع والهبة ونحوها^(٢).

المعاملات اصطلاحاً: بعد الرجوع إلى كتب التفسير والمفسرين لم أجد تعريفاً للمعاملات، وإنما وجدت تعريفاً عند الفقهاء.

قال التَّهَانَوِيُّ: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخارج "أي النَّاتِج عنها"^(٣).

وتطلق أيضاً على الأحكام الشرعية المتعلقة بتصرفات الناس في شؤونهم الدنيوية، وذلك كأحكام البيع والرهن، والتجارة والمزارعة، والصناعة والإجارة، والشركة والمضاربة، والنكاح والرضاع،

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، رقم الحديث (٢٥٨٨)، ص(١٠٠٢).

(2) المفردات: الراغب (ص ٣٤٨).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٥٧٣).

والطلاق والعدة، والهبات والهدايا، والمواريث والوصايا، والحرب والصلح، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس في معاشهم، وحفظ دينهم، وأبدانهم، وأموالهم، وأعراضهم، ودمائهم، وعقولهم...⁽¹⁾

أقسام المعاملة:

ويمكن تقسيم المعاملة إلى:

دنيويّة: وهي ما كان في موقع العقود أو نيتها من بيع وشراء وسلم، ومساقاة ومزارعة وقروض ورهن وغير ذلك.

وأخرويّة: وهي ما يبذله المسلم من جهد أو مال أو زمن من غير عوض دنيويّ ابتغاء الأجر والثواب من الله، وهو مفتقر إلى النية.

وقد ينطبق هذا على المعاملات الدنيويّة إذا قصد بها منفعة المسلمين بما يرضي الله عزّ وجلّ وتيسير مصالحهم.

صور المعاملات في الإسلام:

صور المعاملات لا متناهية، إذ من الممكن أن توجد في كل عصر معاملات جديدة، والقاعدة أن كل معاملة لا تتناقض مع أحكام الشريعة ومقاصدها ومبادئها، تكون مقبولة بنظر الدين، وعلى هذا فإنّ صور المعاملات في الإسلام غير متناهية لذلك سنتطرق إلى الغواية في بعض هذه الصور.

وليس من قصدنا هنا التوسع في الجانب الفقهي المحض للمعاملات، وإنما الجانب التفسيري لبعض صور الغواية فيها، وذلك لأن أبواب (المعاملات الإسلامية) كثيرة، ويمكن إرجاعها إلى جوانب جامعة بيئها الدكتور عبد الستار سعيد وهي كالتالي:

١- الجانب الإنساني:

(ويدخل فيه من أبواب المعاملات ما يتعلق بحياة الإنسان الفردية والاجتماعية، كالنكاح، والرضاع، والحضانة، وتعدد الزوجات، والطلاق، والعدة.. الخ..).

٢. الجانب الاقتصادي:

(ويدخل فيه البيع، والشركة، والصرف، والسلم، والرّبا، والميراث.. الخ..).

٣. الجانب الجزائي:

(ويدخل فيه أبواب الحدود، والقصاص، والتعزير).

٤- الجانب التنفيذي:

(1) انظر: (دائرة معارف القرن العشرين): محمد فريد وجدي (٧/٧٤٨).

الذي يقوم على تطبيق الدين كله، وإنفاذه بين الناس خاصة في ميدان التعامل، الذي يكثر فيه التنازع^(١)

وسنقتصر في كل جانب من هذه الجوانب على بعض المعاملات، ولو تتبعنا الغواية في كل أبواب المعاملات لطلال بنا المقام.

والأبواب التي سنهتم بها هي كالتالي:

١- النكاح ٢- البيع ٣- الميراث ٤- القصاص

أولاً: الغواية في النكاح:

إن عدم إحصان المسلم لنفسه واتباعه لخطوات الشيطان الذي يزين له المعصية، يوقعه في الضلال الذي يؤدي به إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

فمن صور الغواية في النكاح:

١- النكاح بعقد شرعي باطل كنكاح المتعة.

إن النكاح في الشرع "يطلق على عقد التزويج"^(٢)، وهو وطء المرأة بعقد شرعي يجيز للرجل وطأها، فلو وطأها بدون عقد شرعي فقد زنى.

وقد حذر -سبحانه وتعالى- من الزنا فقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، قال السعدي: "والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه"^(٣).

فمن وقع في الزنا فقد وقع في الغواية التي حذر منها الرسول -ﷺ-.

٢- عدم العدل في النكاح من اليتامى.

والمقصود: عدم إعطاء اليتيمة حقها الكامل عند الزواج منها كغيرها من النساء، وهذه الصورة من صور الغواية حذر منها سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ مَثْنًا وَثُلَاثًا وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدَقُّ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (النساء: ٣)

قال الطبري: معنى ذلك: "وإن خفتهم، يا معشر أولياء اليتامى، أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن، فلا تتكوهن، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي

(1) انظر: (المعاملات في الإسلام) (٢٠).

(2) انظر: (أحكام النكاح والزفاف): الشيخ مصطفى العدوى (٦).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٥٧).

أحلّهن الله لكم وطيبهن، من واحدة إلى أربع، وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا، فانكحوا منهن واحدة، أو ما ملكت أيما نكحكم^(١).

٣- الغواية في التعامل مع الإمام بإجبارهن على البغاء.

وهذه الصورة أشار إليها القرآن الكريم، في قوله-تعالى-: ﴿... وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ مَخْصَنًا لِنَبْتِنَا عَنْ عُرْوَةِ الدُّنْيَا﴾ (النور: ٣٣).

والمعنى: أي لا تكرهوا إماءكم على الزنا، إذا أردن تحصناً وتعففاً وليس معناه الشرط؛ لأنه لا يجوز إجراهن على الزنا وإن لم يردن تحصناً، والتحصن: التعفف، لتطلبوا من أموال الدنيا، يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني للمكرهات، والوزر على المكره^(٢).

٤- عدم العدل بين الزوجات.

إن الله-تعالى- لم يترك الزوج، وخاصة المعدد- حبله على غاربه، بل أوجب عليه واجبات لإصلاح نفسه وبيته، في القسمة على الدوام في المبيت والنفقة والكسوة والسكن؛ فإن تركها ولم يعمل بها، فقد وقع في صورة من صور الغواية، وقد قال الله-تعالى-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُمْلِئُوا فَوَاحِشًا أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣)

ثانياً: الغواية في البيع:

أباح الإسلام كل شيء يجلب الخير والبركة والنفعة المباح، وحرّم بعض البيوع والأصناف؛ لما في بعضها من الجهالة والغرر، أو الإضرار بأهل السوق، أو إيغار الصدور، أو الغش والكذب، أو ضرر على البدن والعقل ونحوها فهذه صور متعددة للغواية في البيع والتي تسبب الأحقاد والتشاحن والتناحر والأضرار.

وسنكتفي بذكر مثالين اثنين للغواية في البيع وهما تطفيف الميزان والربا.

١- تطفيف الميزان:

التطفيف لغة: مصدر قولهم: طَفَّفَ الكيل يطفِّفه، وهو مأخوذ من مادّة (ط ف ف) التي تدور حول معنى القلّة، يقول ابن فارس: الطّاء والفاء (المضغفة) يدلّ على قلّة الشّيء، ومن ذلك قولهم: هذا شيء طفيف (قليل)، والتطفيف: نقص الكيل والميزان^(٣).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٥٣١/٧).

(2) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٤١٤/٣).

(3) انظر: (مقاييس اللغة) (٣١٥/٣).

التطيف اصطلاحاً: قال الراغب: "هو الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن، والإنفاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم" (١).

وقد حذر سبحانه وتعالى وتوعد الذين يطفون في الميزان، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (المطففين ١ - ٦).

قال القرطبي: تقليل الحق بنقصانه في كيل أو وزن، وقيل: نقص المكيال، وهو ألا تملأه إلى أصباره (أي جوانبه) (٢).

وقد فسر التطيف في الآية التي تليها في قوله تعالى: ﴿...الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

والتقديم في افتتاحية هذه السورة بالويل للمطففين، يبين خطر هذا العمل، لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، فإذا اختلَّ أحدث خللاً في اقتصاده، وبالتالي اختلال في التعامل وهو فساد كبير (٣) وهذه الغواية في تطيف الميزان ما كانت لتكون لولا الطمع الذي ينزع النفس إلى الشيء شهوة له (٤).

حكم التطيف:

عدّ ابن حجر التطيف من الكبائر وجعله شاملاً لبخس نحو الكيل أو الوزن أو الدرّع، وذلك لأنه من أكل أموال الناس بالباطل؛ ولهذا اشتدّ الوعيد عليه من الله تعالى، وأيضا فإنما سمّي مطقفاً لأنه لا يكاد يأخذ إلا الشيء الطّيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلية، ومن ثمّ عوقب بالويل الذي هو شدة العذاب، أو الوادي في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حرّه، نعوذ بالله منه، وأيضا فقد شدّد الله تعالى عقوبة قوم شعيب - على نبينا وعليه الصلّاة والسلام - على بخسهم المكيال والميزان (٥)، فقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام ﴿وَيَقُولُوا أَزُوقُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٥).

(1) المفردات (٣١٤).

(2) الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٣٨٣).

(3) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي (٤٥٤/٨).

(4) المفردات: الراغب (٢٠٧).

(5) انظر: (الزواجر): ابن حجر (١٤٦/٢).

٢- الربا:

الربا لغة: مصدر قولهم: ربا يربو، إذا زاد، وهو مأخوذ من مادة (ر ب و) التي تدلّ على الزيادة والنماء والعلو^(١).

الربا اصطلاحاً: قال الراغب: "الربا في الشرع خصّ بالزيادة على وجه دون وجه"^(٢). وقال الجرجاني: "الربا شرعا هو فضل خال عن عوض شرط لأحد العاقدين"^(٣).

حكم الربا:

الربا حرام بالإجماع بنصّ القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وفي هذه الآية تصريح من الله تعالى بحرمة الربا، وصرح بأن المتعامل بالربا محارب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُءُوسُ ءَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩).

وصرح بأن أكل الربا لا يقوم أي: من قبره يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس^(٤) بقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

والله تعالى حرّم الربا لما فيه من ضرر المحتاجين، وأكل المال بالباطل، وهو موجود في المعاملات الربويّة.

والذي يتعامل بالربا قد جعله الله تعالى من زمرة إبليس لأنه لم يتبّع ما جاء به الحقّ جلّ وعلا، وما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢).

فالمرابون هم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحق، الواقعين في الضلال وهذا بالطبع موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله: لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، فمن

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٢/ ٤٠١).

(2) المفردات (١٨٧).

(3) التعريفات (٣٥/١).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (١/ ١٦٠).

أخلص لله -عزَّوجلَّ- وابتعد عن الريا فقد نجا من إغواء إبليس ونجا من غواية الريا والأكل الحرام^(١).

ثالثاً: الغواية في الميراث:

أعطى الإسلام الميراث اهتماماً كبيراً، و عمل على تحديد الورثة، أو من لهم الحق في تركة الميت، ليبطل بذلك ما كان يفعله العرب في الجاهلية قبل الإسلام من توريث الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار، فجاء الإسلام ليبطل ذلك لما فيه من ظلم و جور، وحدد لكل مستحق في التركة حقه، فقال سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ قَوْلٌ...﴾ (النساء: ١١).

فأحكام الميراث التي جاء بها الإسلام، جاءت ناصعة البياض كالشمس في رابعة النهار، فأبطلت أحكام الجاهلية التي ملئت بالجور والظلم وأكل الحقوق عنوة من أصحابها. ولكن الناس تغافلوا عن أداء هذه الحقوق من الميراث التي حددها سبحانه وتعالى للناس فأسقطوا هذه الحقوق من مفاهيمهم الدنيوية لا لشيء إلا لأجل إشباع نهمهم من الدنيا على حساب غيرهم، حتى ولو أدى بهم هذا النهم إلى الظلم وقطع الأرحام وغيره، وسيسلط الباحث الضوء على ثلاثة أمثلة للغواية في الميراث.

من صور الغواية في الميراث:

١- حرمان المرأة من الميراث.

لقد عامل الإسلام المرأة معاملة كريمة وأنصفها بما لا تجد مثيلاً في القديم والحديث؛ حيث حدد لها نصيباً في الميراث سواء قل أو كثر، حسب درجة قرابتها للميت، فالأم والزوجة والابنة، والأخوات الشقيقات والأخوات لأب وبنات الابن والجدة، لهن نصيب مفروض من التركة، وقد بيَّنه تعالى فقال ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

والإسلام أعطى النساء حقوقهن كما أعطى الرجال، ولا يحابي جنساً على حساب

جنس آخر حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل كما في قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ (النساء: ١١).

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (١٨٨/٣)

وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنوة إلا إذا كان الأبناء ذكوراً، أما النساء فلا ميراث لهن، لأنهم كانوا يقولون إنما يرث أموالنا من طاعن بالرمح، وضرب بالسيف^(١)

وقد جاء التحذير من الله -عز وجل- لمن يقع في هذه الغواية الشنيعة فقال سبحانه وتعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْصَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢).

٢- التفرقة في العطفة بين الأبناء.

لقد حذر الإسلام كافة الآباء من عدم إقامة العدل بين الأبناء في توزيع الميراث، فعدم العدل بين الأبناء في العطفة يولد الحقد والعداوة والشحناء بينهم، وقد أمر سبحانه وتعالى بالقسط والعدل فقال -تعالى-: ﴿ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة: ٨).

قال السعدي: "أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى"^(٢).

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم عدم العدل بين الأبناء صورة من صور الظلم والجور، وحذر المسلمين من ارتكاب هذا النوع من الظلم وهذا ما جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله -ﷺ- فقال: إني نحلته ابني هذا غلاماً (أي وهبته عبداً كان عندي) فقال رسول الله -ﷺ-: (أكلٌ ولدك نحلته مثله)؟ فقال لا، فقال رسول الله -ﷺ-: (فأرجعه)، وفي رواية فقال رسول الله -ﷺ-: (فاتقوا الله واعدوا بين أولادكم)، قال فرجع فرد عطيته، وفي رواية (فلا تشهدني إذا فاني لا أشهد على جور)^(٣).

٣- أكل مال اليتيم.

حرص الإسلام على الاهتمام باليتيم وبأمواله وحقوقه، وحذر من قهره وأخذ أمواله وظلمه، وجاء هذا النهي والتحذير من الله -عز وجل- فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (الأنعام: ١٥٢). وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤)، ففي الآيتين الكريمتين تأكيد واضح وصريح على حرمة مال اليتيم، ولما كان ولي اليتيم قد يطمع في ماله أو شيء منه؛ إذ هو المستولي عليه المتصرف به، ولا رقيب عليه سوى الله عز وجل جاءت الشريعة بالتحذير من

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٤٨/٤).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٢٤).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: الإسهاد في الهبة، وباب: الهبة للولد، رقم الحديث (٢٥٨٦-٢٥٨٧)، ص (٤٦٩)، وكتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، رقم الحديث (٢٦٥٠)، ص (٤٨١).

الاعتداء على أموالهم، وظلمهم فيها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

وأكد الوعد في أكل مال اليتيم ظلماً، وقد كثر الوعيد في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يفعل ذلك كقوله ﴿وَمَا أَتُوا أَلْيَسَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢)، وكقوله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، ثم ذكر بعدها هذه الآية مفردة في وعيد من يأكل أموالهم، وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله؛ لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى (١).

رابعاً: الغواية في القصاص:

١ - القصاص لغة واصطلاحاً:

القصاص لغة: اسم بمعنى القود مأخوذ من مادة (ق ص ص) التي تدلّ على تتبّع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبّعته (٢).

القصاص اصطلاحاً: قال الجرجاني: أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل (٣).

٢ - أثر عدم تطبيق القصاص على المجتمع .

قال الشنقيطي: "ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص، فإن الإنسان إذا غضب وهم بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي يريد قتله، وحيي هو لأنه لم يقتل فيقتل قصاصاً، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أنظار الدنيا قديماً وحديثاً قلّة وقوع القتل في البلاد التي تحكم بكتاب الله، لأنّ القصاص ردع عن جريمة القتل، كما ذكره الله في الآية المذكورة آنفاً (٤).

فعندما لا يطبق القصاص في حياة الناس ويفلت القاتل منه يستشري القتل في المجتمع وحينها يفقد المجتمع تماسكه وتكون العاقبة التفكك والتمزق.

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٧٤/٥).

(2) الصحاح: الجوهري (٣/ ١٠٥١ - ١٠٥٢).

(3) التعريفات (١٧٣).

(4) أضواء البيان (٣/ ٣١).

٣- حماية المجتمع تكمن في تطبيق القصاص.

إن من حق المجتمع أن يحمي نفسه ممن لا يأبه بحرمة الله دون استثناء لأي اعتبار كان، ولذلك كان النبي -ﷺ- يقيم حدود الله دون مجاملة، وقد رفض -ﷺ- الشفاعة فيها من أعز أحبائه أسامه بن زيد -رضي الله عنه- ، وقال له: (أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها)^(١).

وقد أمر الله المسلمين بتطبيق حدوده دون محاباة من أحد، ودون أن تأخذهم رأفة في المقتص منهم، كما بين سبحانه وتعالى ذلك: ﴿... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ (النور: ٢).

قال الألوسي: أي في طاعته وإقامة حده الذي شرعه، والمراد النهي عن التخفيف في الجلد، بأن يجلدوهما جلدا غير مؤلم، أو بأن يكون أقل من مائة جلدة، أو بإسقاط الحد بشفاعة أو نحوها^(٢).

"لذا ينبغي من ولاة المسلمين الحزم في إنزال العقاب والمساواة بين الناس في إقامة الحدود، فلا يفرق بين الشريف والوضيع والقوي والضعيف، فإن المحاباة في إنزال العقوبات الشرعية سبب لهلاك الأمة"^(٣)، وقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يكونوا قوامين بالقسط عند تطبيقهم للأحكام الشرعية ولا يقعوا في هذه الغواية التي تولد الضغائن والأحقاد في قلوب المجتمع، وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرْهُاً فَوَافِقِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النساء: ١٣٥).

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم الحديث (٣٤٧٥)، ص(٦٤٠).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣١٩/١٣).

(3) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: د محمد يوسف (٤٥٧).

المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم.
وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: موالاة اليهود والنصارى.

المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الرابع: حب المال والسلطان.

المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات.

المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: انتكاس الفطرة.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني.

المبحث الثاني

أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

تعريف الخطوات لغة واصطلاحاً.

الخطوات لغة: (خطواً): "الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء، والذهاب عنه، يقال: خطوت أخطو خطوة، الخطوة: ما بين الرجلين، والخطوة: المرة الواحدة، والخطأ من هذا، لأنه مجاوزة حد الصواب، يقال أخطأ إذا تعدى الصواب، وخطئ يخطأ: إذا أذنب...." (١).

وعلى أساس هذا التعريف فسّر أهل اللغة خطوات الشيطان على حسب ما فهموا من هذا التعريف.

قال ابن السكيت (٢) في قوله تعالى ﴿...لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور: ٢١)، أي في

الشر، وقال الرّجّاج (٣) : خطوات الشيطان: طرقة وآثاره، وقال الفراء (٤) : معناه لا تتبعوا أثره فإن اتباعه معصية، وقال الليث (٥) : معناه لا تقتدوا به (٦).

نلاحظ من خلال استعراض الأقوال السابقة لأهل اللغة أن هذه الأقوال تركزت على مفهومي اثنين هما "الأثر والطريقة".

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١٩٨/٢).

(2) هو: يعقوب بن إسحق أبو يوسف بن السكيت، إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس، توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: (الأعلام): للزركلي (١٩٥/٨).

(3) الرّجّاج: هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد السري بن سهل الرّجّاج النحوي، صاحب التفسير، كان من أهل العلم بالأدب والدين، له كتاب (الأمانى) و (الاشتقاق) وغيرها، كان يخرط الرّجّاج ثم تركه، واشتغل بالأدب، توفي سنة ٣١٠هـ، ببغداد، وقد أناف على ثمانين سنة، انظر: (وفيات الأعلام): (٤٩/١).

(4) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي الكوفي، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، له مصنفات عديدة منها (المقصود والممدود) و (المعاني) و (اللغات)، توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١٤٥/٨).

(5) الليث بن سعد: هو عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، كان كبير الديار المصرية، ورئيسها، وأمير من بها في عصره، أصله من خراسان، قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ١٧٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٢٤٨/٥).

(6) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٢٣٢/١٤).

الخطوات اصطلاحاً:

١- لقد نقل الطبري بسنده عن بعض الصحابة والتابعين من المفسرين ما أثر عنهم في تعريف خطوات الشيطان": فعن ابن عباس قال: خطواته: أي عمله، مجاهد: خطيئته، قتادة: خطاياها، الضحاك^(١): خطايا الشيطان التي يأمر بها.

السُدِّي^(٢): طاعته، ثم يعلق على هذه الأقوال ذاكراً ما يرجحه في معنى الخطوات فيقول: "وهذه الأقوال التي ذكرناها فيمن ذكرناها عنه في تأويل قوله "خطوات الشيطان" قريب بعضها من بعض، لأن لكل قائل منهم قول في ذلك، فإنه أشار إلى النهي عن اتباع الشيطان في آثاره وعمله غير أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بُيِّنَت من أنها بُعِدَ ما بين قدميه، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه"^(٣).

٢- ويبيِّن ابن عطية "خطوات الشيطان": بأنها كل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان"^(٤).

٣- ويقول أبو السعود: "أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى"^(٥).

٤- ويسهب الألويسي في بيان معنى الخطوات فيقول: "أي آثاره كما حكى عن الخليل، أو أعماله كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، أو خطاياها كما نقل عن مجاهد، وحاصل المعنى لا تعتقدوا به وتستنتوا بسنته فاحرموا الحلال وتحلوا الحرام، وعن الصادق من خطوات الشيطان الحلف بالطرق والندور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى..."^(٦).

٥- يقول المراغي في تفسيره: لا تتبعوا خطوات الشيطان: "أي لا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء، فهو عدو لكم بين العداوة، إذ هو منشئ الخواطر الرديئة المحرصة على ارتكاب الجرائم والآثام وقد قال تعالى: ﴿...شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ

(1) الضحاك هو: ابن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم، مفسر، كان يؤدب الأطفال، له كتاب في التفسير، توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٣/٢١٤).

(2) السُدِّي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُدِّي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، قيل عنه إنه صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، كان يجلس في سُدة باب الجامع بالكوفة، فسُمي السُدِّي، وهو السُدِّي الكبير، توفي سنة ١٢٩هـ، انظر: (تقريب التهذيب): ابن حجر (١٠٨)، (الأعلام): الزركلي (٣١٧/١).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (٣/٣٠١).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٢٣٧).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٨٧).

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/٩٤).

أَقُولُ عَزَّوَجَلَّ مَا .. ﴿ (الأنعام: ١١٢)، فهذا نهى عن اتباع وحى الباطل والشر لأنه من إغواء الشيطان....^(١).

٦- ونختم ببيان الشيخ الشعراوي لمعنى خطوات الشيطان فيقول: " لا تتبعوا خطوات الشيطان " أي لا تسيروا وراء الشيطان، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي، أي بين النقلة والنقلة، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم؛ لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة، ويجب أن تحتاطوا بسوء الظن فيه؛ فهو الذي عصى ربه؛ ولا يصح أن يطاع في أي أمر"^(٢).

نظرة في الأقوال السابقة:

وبعد النظر في الأقوال السابقة يدرك الباحث أن جميع أقوال المفسرين تدور حول معنيين رئيسيين، هما ذاتهما اللذان دارت عليهما أقوال أهل اللغة في بيان معنى الخطوات، فعمله وخطيئته وخطايه وآثاره والإقتداء به والسير وراءه كلها تصب في معنيين هما: الآثام أو الموصل إلى تلك الآثام.

ولقد ذهب كثير من علماء السلف والخلف من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أن خطوات الشيطان هي آثاره، والله عزَّوجلَّ حذر الناس من اتباع تلك الآثار بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨)، أي لا تعملوا بأعماله وتقتدوا بأفعاله فتقعوا في الآثام.

وغاية الشيطان من خلال تلك الخطوات هي: إيقاع الإنسان في الغواية، إذ إن الخطوات سبب من أسباب الغواية التي توقع الإنسان في الزلل، وقد بين الله -عزَّوجلَّ- من خلال السياق القرآني أن تلك الخطوات إنما هي أوامر سوء وفحش وتقول على الله -عزَّوجلَّ- ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٩)، وهذه كلها محاذير شرعية ناتجة عن تلك الخطوات واتباعها.

وقد ذكر ابن القيم المراحل التي يسعى الشيطان من خلالها لإيقاع الناس في الغواية، فيبدأ مع الإنسان بالتدرج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى هدفه، وهو يدخل على كل نوعية من الناس بالطريقة التي تناسبها.

المرحلة الأولى: يسعى الشيطان لأن يكفر الإنسان أو يشرك، فإذا كان هذا الإنسان من المسلمين نزل إلى المرحلة الأخرى.

(1) تفسير المراغي (٤٣/٢).

(2) تفسير الشعراوي (٤١٨).

المرحلة الثانية: وهي مرحلة البدعة، وهي أن يجعل الإنسان يبتدع، ويطبق البدعة، فإذا كان ذلك الرجل من أهل السنة، بدأ معه في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكبائر، مرحلة المعاصي الكبيرة، فإذا كان ذلك الرجل قد عصمه الله من تلك الأمور، فإن الشيطان لا ييأس.

المرحلة الرابعة: مرحلة الصغائر، فإذا عصم منها أيضًا فإنه يبدأ مرحلة جديدة.

المرحلة الخامسة: وهي أن يشغل الشيطان الإنسان بالمباحات بحيث ينشغل الإنسان، فيضيع وقته في أمر مباح، فلا ينشغل بالأمور الجادة.

المرحلة السادسة: وهي أن يشغل الإنسان بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، كأن ينشغل مثلاً بسنة عن فريضة.^(١)

والشيطان لا يسأم من خلال خطواته في إغواء بني آدم، فهو حريص في دعوته، يتدرج في المضمون، ولا ييأس فيتدرج بالإنسان خطوة خطوة حتى يقع في الغواية

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: ١٤٢).

المطلب الثاني: موالة اليهود والنصارى.

أولاً- تعريف الولاء لغة واصطلاحاً:

١- الولاء لغة: "مصدر والى يوالي وهو مأخوذ من مادة (ول ي) التي تدلّ على القرب، يقال تباعد بعد ولي أي قرب، وجلس ممّا يليني أي يقاريني"^(٢).

والموالة ضد المعادة، يقال: (والى بينهما ولاء) أي: تابع بينهما متابعة، وافعل هذه الأشياء على (الولاء) أي المتابعة^(٣).

٢- الولاء اصطلاحاً: "هي التقرب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتّخذه الإنسان ولياً، فإن كان هذا التقرب والودّ مقصوداً به الله ورسوله والمؤمنون، فهي الموالة الشرعية الواجبة على كلّ مسلم، وإن كان المقصود هم الكفار والمنافقين، على اختلاف أجناسهم، فهي موالة كفر وردة عن الإسلام"^(٤).

(1) انظر: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين): ابن القيم (٢٢٢/١).

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١٤١ / ٦).

(3) انظر: (مختار الصحاح): محمد بن أبي بكر الرازي (٧٣٦).

(4) الموالة والمعادة في الشريعة الإسلامية: لمحماس الجلعود (٢٨)، و(كتاب الإيمان): للدكتور محمد نعيم ياسين (١٦٠).

ثانيًا - موالاتة اليهود والنصارى من خلال السياق القرآني.

قال شيخ الإسلام: "أصل الموالاتة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة البغض، فإن التحابّ يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف، وقد قيل: المولى من الولي: وهو القرب، وهو يلي هذا، أي: هو يقرب منه^(١).

صور الولاء كما يصورها القرآن الكريم

١- ولاء المؤمنين:

لقد أمر الإسلام المسلمين بتحقيق الموالاتة فيما بينهم لتصبح واقعًا عمليًا في حياتهم، قال -تعالى-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ مِّمَّا كَفَرُوا...﴾ (التوبة: ٧١).

وهذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر صفات المنافقين الذميمة، عطفت بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي -ﷺ- قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٢).

٢- ولاء المنافقين:

قال -تعالى- عن المؤمنين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ بينما قال في المنافقين ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٦٧)، للإشعار بأن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم وتراحمهم مدفوعون بدافع العقيدة الدينية التي ألقت بين قلوبهم، وجعلتهم أشبه ما يكون بالجسد الواحد، أما المنافقون فلا توجد بينهم هذه الروابط السامية، وإنما الذي يوجد بينهم هو التقليد واتباع الهوى، والسير وراء العصبية الممقوتة، فهم لا ولاية بينهم، وإنما الذي بينهم هو التقليد وكرهية ما أنزل الله على رسول الله -ﷺ- (٣).

٣- موالاتة أهل الكتاب:

جاء التحذير الصارخ والبلاغ العظيم للجماعة المؤمنة بعدم موالاتة اليهود والنصارى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

(1) قاعدة في المحبة: ابن تيمية (١٩٨).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم الحديث (٦٠٢٦)، ص (١١٠٩)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٥)، ص (١٠٠١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٤١٢/٦).

ولذلك قال الإمام الطبري في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَبَرِّئْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي: "ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه راض، وإذا رضي دينه، فقد عادى من خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه" (١).

وقال الفخر الرازي: قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَبَرِّئْنَا مِنْهُمْ ﴾، قال: قال ابن عباس: يريد كأنه مثلهم، وهذا تغليب من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين (٢).
والولاية لليهود والنصارى إن كانت على سبيل الرضا بدینهم، والطعن في دين الإسلام، كانت كفرًا وخروجًا عن دين الإسلام (٣).

وجاء ختام الآية بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ليتبين لنا أن عموم القوم الظالمين شمل اليهود والنصارى، وموقع الجملة التذليلية يقتضي أن اليهود والنصارى من القوم الظالمين.
وقد ختم الله سبحانه وتعالى الآية الأولى في سورة الممتحنة التي تنهى عن موالاة أعداء الدين بقوله: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة: ١)، ليتضح بهذا سوء عاقبة موالاة أعداء الدين (في الدنيا والآخرة).

آثار ولاية أهل الكتاب:

إن موالاة اليهود والنصارى سبب من أسباب الضلال والغواية وقد حذر سبحانه وتعالى المسلمين من الوقوع فيها لما يترتب عليها من خسران في الدنيا والآخرة وبراءة من الله وبراءة الله ممن وقع فيها بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ (آل عمران: ٢٨).

المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله:

إنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ وَسَبَبِ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿... وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، فذكر الله هو أفضل ما يشغل به الإنسان نفسه، وقد بيّن النبي -ﷺ- فضل ذكر الله -عز وجل-، فقال: (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا بلى يا رسول الله! (قال: ذكر الله -

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/٤٠٠).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (٦/٧٧).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٤/١٩٠).

تعالى-) (١)، ووصف الله المؤمنين بأنهم يذكرون الله قيامًا وقيودًا وعلى جنوبهم، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هو المداومة على الذكر في غالب الأحوال لأن الإنسان قل أن يخلوا من إحدى الحالات الثلاث وهي القيام والقعود وكونه نائمًا على جنبه، والإعراض عن ذكر الله عز وجل يعد سببًا رئيسًا من أسباب الغفلة والغواية والضلال التي تؤدي بالإنسان إلى المعيشة الضنكى. وقد عدَّ الإمام ابن القيم أكثر من مائة فائدة لذكر الله عز وجل (٢). وسنتعرف على ماهية الإعراض ومعناه وعاقبته في الدنيا والآخرة.

مفهوم الإعراض لغة واصطلاحًا:

أولاً- الإعراض لغة: قال الراغب في مفرداته: "أعرض: أظهر عرضه أي ناحيته، فإذا قيل: أعرض لي كذا أي: بدأ عرضه وإذا قيل: أعرض عني فمعناه ولى مبدئياً عرضه" (٣)، قال تعالى: ﴿...ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا...﴾ (السجدة: ٢٢).

ثانياً- الإعراض اصطلاحاً: قال المناوي: الإعراض: "الإضراب عن الشيء بأن تأخذ عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه" (٤).

وأما المقصود بذكر الله.

الذكر هو: التخلُّص من الغفلة والنسيان (٥)، ويقول الراغب: "الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقنتيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان" (٦).

وفي معنى الإعراض عن ذكر الله عز وجل يوجد أقوال للمفسرين، وخاصة في معنى قول الله - تعالى-: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ (طه: ١٢٤).

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الذكر، رقم الحديث (٣٣٧٧)، ص (٧٦٦)، وصححه الألباني.

(2) انظر: (الوابل الصيب من الكلم الطيب): ابن القيم (٤٣-٥٨).

(3) المفردات في غريب القرآن (٣٣٠).

(4) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٦).

(5) مدارج السالكين (٢/ ٤٥١).

(6) المفردات (١٧٩).

يقول القرطبي: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ " أي ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه، وقيل: عما أنزلت من الدلائل، ويحتمل أن يحمل الذكر على الرسول -ﷺ-؛ لأنه كان منه الذكر" (١).
أما الطبري فقال: أي "الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينجزر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه" (٢).

وقال الإمام الرازي: "والذكر يقع على القرآن وعلى سائر كتب الله تعالى..... ويحتمل أن يراد به الأدلة" (٣).

وقال ابن كثير: " أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه" (٤).

وقال الآلوسي: "أن المقصود بالذكر في الآية هو: القرآن" (٥).

وبعد التأمل في آراء وأقوال المفسرين في معنى ذكر الله يجد الباحث أن هذه الأقوال تدور حول مفهوم واحد وهو: القرآن الكريم وسائر كتب الله تعالى ويحتمل أن يراد به الأدلة كما بين ذلك الإمام الرازي رحمه الله.

والإعراض عن دين الله تعالى قسمان:

القسم الأول: إعراض مكفر: وهو أن يترك المرء دين الله ويتولى عنه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو يتركه بجوارحه مع تصديقه بقلبه ونطقه بالشهادتين (٦)، وهذا الذي عبر عنه رب العزة في الآية الكريمة: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُذَكَّرًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء: ٥)، وقد ذكر ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ضمن نواقض الإسلام، فقال: "الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَمُونَ ﴾ (السجدة: ٢٢)"، فالإمام كما يبدو من كلامه يعد جهل أصول الدين والإعراض عن تعلمه مع القدرة كفر أكبر وكذلك ترك العمل بعد ما يعلم.

القسم الثاني: إعراض غير مكفر: وهو أن يترك المسلم بعض الواجبات الشرعية غير الصلاة (٧).

(1) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١١).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٩٠/١٨).

(3) مفاتيح الغيب (٤٨٣/١٠).

(4) تفسير القرآن العظيم (٣٢٣/٥).

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٩٤/١٢).

(6) نواقض الإسلام: محمد بن عبد الوهاب (٣٦).

(7) الكفر الأكبر: للشيخ عبدالله بن جبرين (١١٣).

وإن المتأمل لأحوال المعرضين عن الله تعالى يجدهم على أنواع:

١- فمنهم من يعرض بلسانه وقلبه عن معرفه الله تعالى وعبوديته، والنظر في آياته الكونية أو سماع آياته الشرعية، وهو حال أغلب الكفار من شتى الملل، وقليل منهم من يعلم آيات الله تعالى فيعرض مع علمه بها، وهذا هو الجحود الذي وقع فيه فرعون فأخبر الله تعالى عنه بقوله:

﴿وَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وظُلُومًا﴾ (النمل: ١٤).

٢- ومنهم من يُظهِرُ القبول لدين الله تعالى بلسانه لكنه يعترض عليه بقلبه، ويعرف ذلك في تصرفاته ولحن قوله، وهذا حال المنافقين قديماً وحديثاً، وكلما كثر اعتراض الشخص على أحكام الشريعة وردّها وتأويلها كان ذلك دليلاً على مرض قلبه بالنفاق؛ كما أخبر الله تعالى عن المنافقين في العهد النبوي وميزهم بكثرة اعتراضهم على أحكامه سبحانه وأحكام رسوله ﷺ، وهذا واضح وجلي في سورة التوبة.

٣- ومن الناس من يذعن بقلبه ولسانه للشريعة؛ لكنه يعترض على بعضها إما جهلاً، أو هوىً في نفسه، أو تقليدًا لأهل الجهل والهوى، وهذا على خطر عظيم أن يصاب بفتنة أو عذاب عاجل، لقوله تعالى: ﴿... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم﴾ (النور: ٦٣).

٤- ومن الناس من يعرض عن المواعظ والتذكير، ويشمئز منها، ولا يحب الاستماع إليها، وهذا في قلبه نوع من الاعتراض على ذكر الله تعالى، وفيه شبهة بالمشركين والمنافقين، ويخشى عليه من سوء العاقبة، وشؤم الخاتمة، وقد وصف الله تعالى المشركين بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٥).

وأخبر سبحانه أنهم يفرون من المواعظ فرار الحمر الوحشية من رماتها أو من الأسد لئلا تفترسها ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَذِرُوا مَعْزِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر: ٤٩ - ٥١).

والإعراض عن المواعظ والتذكير بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ - سبب لإعراض الله -تعالى- عن العبد وهذا ما بينه حديث أبي واقد الليثي^(١) -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوْقًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا

(1) أبو واقد الليثي: هو صحابي جليل، شهد الفتح، سماه البخاري وغيره الحارث بن عوف، سكن بمكة وله أحاديث عدة، ومات بها دفن في مقبرة المهاجرين سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل: ابن خمس وثمانين سنة. انظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر) (٧١/٢).

الثَّالِثُ فَأُدْبِرَ دَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) .

عاقبة الإعراض عن ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة:

إن الإعراض عن ذكر الله عزَّوجلَّ وعن أوامره ونواهيه واتباع الشيطان وهوى النفس، من الأمور الموجبة للعقاب من الله تعالى لمن ارتكبها، لذا فقد جعل الله -عزَّوجلَّ- جزاء الذين يعرضون عن ذكره عذاباً في الدنيا تتمثل في المعيشة الضنكة وفي الآخرة بحشره أعمى، وهذا ما تعرضت له أكثر من آية في كتاب الله العزيز وهذا ما سنوضحه على شكل نقاط.

١- أولها في قوله-تعالى-: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِعِبَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَابِدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥١).

لقد وصف الله تعالى الكافرين أهل النار بأنهم استحقوا النار لاتخاذهم الدين لعباً ولهواً، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها، عما أمروا به من العمل للآخرة وهؤلاء اغتروا في حياتهم الدنيوية بالشهوات والزخارف والزينة واللذات من الحلال والحرام، وسخروا بالدين وأهله، وأعرضوا عن هدي الله في قرآنه، فكان جزاؤهم أن يعاملوا معاملة المنسي من الخير لأن الله -تعالى- لا يخرج شيء عن علمه ولا ينساه، ويتركوا في نار جهنم، كما تناسوا لقاء الله ولم يعملوا له، وأنكروا ما جاءت به الرسل وآيات الله، وإن الله يتركهم في عذاب النار، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة^(٢).

٢- في قوله-تعالى-: ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ (طه: ١٠٠)، أي من أعرض عن القرآن الكريم، ويشمل هذا الإعراض كل من بلغه هذا الكتاب، من العرب والعجم من أهل الكتاب وغيرهم من الوثنيين والماديين، وأصحاب النحل والملل، والمذاهب الفاسدة، والعقائد الباطلة.

وجزاء هذا المعرض عن كتاب الله تعالى المكث على الدوام في الجزاء الأخروي، وهو النار، ويؤس الحمل الذي حملوه من الأوزار والأثقال، جزاء إعراضهم عن اتباع هذا الكتاب العزيز^(٣)، كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ (هود: ١٧).

(1) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، رقم الحديث (٦٦)، ص(٣٠).

(2) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبه الزحيلي (٢٢٤/٨).

(3) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٥٤٧/٢).

٣- وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٤).

قال السعدي في تفسيره لقوله تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ...) أي كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له والكفر به (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) أي: فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة مشقه، ولا يكون ذلك إلا عذابًا، وفسرت المعيشة الضنكة بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء الإعراض عن ذكر ربه، و(وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ...) أي: هذا المعرض عن ذكر ربه يوم القيامة أعمى البصر على الصحيح^(١)، وهذا ما نقله ابن القيم عن بعض المفسرين: "قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن عباس"^(٢).

٤- وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٦ - ٣٧).

أي: ومن يتعام عن ذكر الرحمن، ويعرض عن قرآنه، ويتجاهل هدى الرسول -ﷺ- (نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا) أي: نهى ونسب له شيطانًا رجيماً يستولي عليه، ويستحوذ على قلبه وعقله، (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) أي: فذلك الشيطان يكون ملازمًا ومصاحبًا لهذا الإنسان الذي أعرض عن القرآن، ملازمة القرين لقرينه^(٣).

٥- وفي قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩).

أي: "ومن يشغله حبه لماله وأولاده عن ذكر الله، وعن أداء ما كلفه - سبحانه - به، فأولئك هم البالغون أقصى درجات الخسران والغفلة، لأنهم خالفوا ما أمرهم به ربهم، وآثروا ما ينفعهم في عاجلتهم الفانية، على ما ينفعهم في آجلتهم الباقية"^(٤).

٦- وفي قوله -تعالى-: ﴿ ... وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٧)، أي: ومن يعرض عن كتاب ربه؛ فإن الله تعالى يدخله في العذاب الشاق العسير المتواصل الذي لا يطيقه، ولا يجد فيه الراحة^(١).

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥١٥).

(2) الفوائد ص (١٨٥).

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (٨٠/١٣).

(4) المرجع السابق (٤١٤/٤).

المطلب الرابع: حب المال والجاه:

أولاً: نظرة الإسلام إلى المال:

إن المال ضرورة من الضروريات الخمس التي جاء بها الإسلام، وحافظ عليها، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فالعبد يحتاج إلى المال في كافة شؤون حياته، وبه يجلب الناس مصالحهم ويستدفعون به الضرر عن أنفسهم، وتقام به العبادات والمعاملات، وبه يتعفف الناس عن ذل السؤال، والناس مجبولون على حبه ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، وسمى الله -عز وجل- المال خيراً، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨). فكثرة حب المرء للمال، وكسبه من مختلف الوجوه بدون تفرقه بين الحلال والحرام، وشدة الإكثار منه يؤدي إلى البخل به على من يستحقه^(٢).

وقد قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (ص: ٣٢)، قال السعدي: "أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموماً"^(٣).

ولهذا اعتبر القرآن الكريم المال (قياماً) أو (قواماً) لحياة الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا....﴾ (النساء: ٥).

والمال في حد ذاته خيرٌ وليس بشر، ولكن الذي يجعل المال شراً هم الناس أنفسهم، بابتعادهم عن منهج الله الذي رسمه للعباد كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (المائدة: ٤٨).

والمال لا يطلب لذاته في هذه الدنيا، وإنما يطلب عادة لما يضمنه من مصالح العباد، ولما يحققه من منافع، فهو وسيلة، والوسيلة تحمد أو تعاب، بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أو سيئة. وقد حذر- سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين من الحرص على المال؛ لأن الله-تعالى- يعلم مواطن الضعف في النفس البشرية ويعلم طبيعتها وكيف أنها فطرت على حب المال، فالتحذير القرآني لا يهدف إلى قتل هذه الفطرة، أو طمسها من أجر عظيم باق خالد؛ ذلك لأن المسلم إذا ركن بالكلية إلى المال فإنه حتماً سيشغله عن ذكر الله-تعالى-، ويجره إلى الغواية، وحينها تكون الخسارة المحققة التي تنتظره، لذلك نجد القرآن يحذرنا من هذا السبب الذي يؤدي إلى الغواية، حيث يقول

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبي السعود(٦/٣٩٣).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤/٥٥٧).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي (٧١٢).

سبحانه وتعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَوْلُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩).

قوله -تعالى- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَوْلُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: لا تشغلكم عن أدائكم لصلاتكم، كما شغلت المنافقين ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي: ومن يشغله ماله وولده عن ذكر الله فأولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة؛ لأنهم آثروا الفانية على الباقية^(١).

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (القيامة: ٢٠)، تبين هذه الآية أن عبودية المسلم لربه تعالى تأتي أن يحرص على تحصيل هذه الزينة والشهرة على حساب الدين، لأن التماذي في حب المال والجاه مفسدة تؤدي للغواية .

ثانياً: نظرة الإسلام إلى الشرف:

لا شك أن الحرص على الجاه والشرف مفسدة عظيمة ليس بأقل من مفسدة المال، بل ربما أعظم وأشد هلاكاً من الحرص على المال؛ لأن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها أضر بالعبد من طلب المال^(٢).

والحرص على الشرف على قسمين:

القسم الأول: طلب الحرص على الشرف والجاه بالولاية والسلطان والمال، وهذا النوع خطير جداً؛ لأنه يحرم صاحبه من الآخرة ونعيمها، وقد قال الله -تعالى-: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

أي: أن تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً على الخلق، ولا فساداً وتجبراً، وظلماً للناس بغير حق؛ وإنما لأصحاب الإيمان والصلاح^(٣).

وإن صاحب هذا النوع ممن يحرص على الجاه لا يوفق بل يُوكَل إلى نفسه، وهذا ما بيّنه النبي ﷺ - من حديث عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال -ﷺ-: (يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِنَ

(1) انظر: (الباب التأويل في معاني التنزيل): الخازن (١٠٢/٧).

(2) انظر: (ذم المال والجاه): ابن رجب (١٤).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٣٧/١٩).

سَمْرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا^(١).

وفيه أيضاً عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ أَمْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَهُ فَقَالَ ﷺ: (إِنَّا لَا نُؤَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ)^(٢).

القسم الثاني: طلب الجاه والعلو على الناس بالأمور الأخروية كالعلم والعمل والزهد.

وهذا القسم أفسح من الأول بل أقبح وأشد فساداً منه وخطراً؛ لأن العلم والعمل والزهد وغيره من الأعمال الأخروية؛ إنما يطلب بها رضا الله - تعالى - وثوابه المقيم.

لذا فقد جاء التحذير الرباني الشديد لمن يقع في هذا القسم فقد ضرب الله لنا مثلاً في

القرآن الكريم، قال - تعالى -: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (١٧٥- ١٧٦).

وجاء التحذير النبوي كذلك، لمن طلب المال والجاه بالأمور الأخروية، قال - ﷺ -: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا)^(٣).

أنواع المحبة في المال والجاه:

أولاً: محبة طبيعية: كحب المال والأهل والولد والجاه، وهي مباحة ما لم تشغل عن طاعة الله عز وجل، وقد بين سبحانه وتعالى هذه المحبة في قوله: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (آل عمران: ١٤)، ويقول تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (القيامة: ٢٠)، ويقول

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله، رقم الحديث (٧١٤٦)، ص (١٢٩٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله، رقم الحديث (٧١٤٩)، ص (١٢٩٤).

(3) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله، رقم الحديث (٣٦٦٤)، ص (٨٢/١٠)، صححه الألباني.

تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حُبَّائِمًا﴾ (الفجر: ٢٠)، وغيرها من الآيات التي تبين تلك الفطرة التي أودعها الله تعالى في الإنسان.

وقد أباح الله لعباده الطيبات من الرزق، وحرّم عليهم الخبائث، وكل ما يؤدي بهم إلى الهلاك.

ثانياً: محبة شركية: وهي محبة الأنداد مع الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وسواء كانت هذه الأنداد عبارة عن أصنام أو رؤساء أو أموال أو غيرها، فكل محبتها تعتبر محبة شركية، إذا ذكرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟^(١) وهذه المحبة التي يقصدها الباحث في هذا المطلب؛ لأنها تؤدي بصاحبها إلى الهلاك في الدارين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

ذم الحرص على المال:

لقد ذم الله -عز وجل- من يحرص على المال والثراء، ومعنى الحرص هنا: "طلب الشيء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد"^(٢)، معرضاً بذلك عن أوامر الله تعالى ومقصرراً في حقوقه وواجباته، وقد قسم ابن رجب الحنبلي الحرص على المال إلى نوعين:

أحدهما: شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه، والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة^(٣)، كما قال سبحانه: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ (الفجر: ٢١)، وقد جاء في الحديث عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"^(٤).

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (١/١٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب: الرازي (٩/١٢٥).

(٣) انظر ذم المال والجاه: ص(٦).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: (٤٣)، رقم الحديث (٢٣٧٦)، ص(٥٣٥) قال الألباني

حسن صحيح.

فهذا مثل عظيم ضربه النبي ﷺ - لفساد دين المؤمن بالحرص على المال والشرف على حساب الدين، وأن فساد الدين بذلك ليس بأقل من فساد الذئبين في الغنم اللاتي غاب عنها رعاتها، فهما يأكلان ويفسدان فيها.

فتضمن هذا المثل العظيم التحذير الشديد من النبي ﷺ من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا الذي يؤدي إلى فساد الدين.

ثانيهما: طلبه من وجوهه المباحة مع منع الحقوق الواجبة وهذا النوع من أنواع الحرص جعله ابن رجب من الشح المذموم الذي حذر منه القرآن أيما تحذير فقد قال الله - عزَّوجلَّ -: ﴿... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩) (١).

وقد أضاف سبحانه وتعالى الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها مقتضيه للحرص على المنع الذي هو البخل، ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها للشح في جميع ما أمر به؛ لأن العبد إذا وقى شح نفسه، سمحت له نفسه بأوامر الله ورسوله، فيفعلها ويطبقها وهو طائع منقاد، منشرح بها صدره، وأيضاً سمحت له نفسه بترك كل ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً إلى النفس، وسمحت له نفسه أيضاً أن يبذل الأموال في سبيل الله - تعالى -، وبذلك يحصل على الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته (٢).

وقد ورد التحذير الشديد من النبي ﷺ - في الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله - ﷺ - عن النبي ﷺ - قال: (اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) (٣).

عظم خطورة حب المال والجاه:

إن حب المال والجاه متى تمكن من القلب أفسده وحمله على طلب المال من غير وجه، وأخرجه إلى البخل، وخوفه من الفقر، لذلك فقد حذر الله - عزَّوجلَّ - من هذه الفتنة والمفسدة الخطيرة التي لا ينجوا منها إلا القليل، فقد قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩).

(1) انظر ذم المال والجاه: ص (٦)

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٢٢٩/٨) و (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٨٥٠).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٧٨)، ص (١٠٠٠).

وقد قال -ﷺ-: (فَوَ اللَّهُ مَا الْفَقْرُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بَسُطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيكُمْ كَمَا أَلْهَيْتُمْ)^(١) .

ولكنَّ سبيلَ الحصولِ عليه يختلف من إنسانٍ إلى آخر، فالمؤمن الذي يتقي الله ويخاف الله ويرجو ثوابَ الله يسلك في سبيل الحصول على الرزق المسالكَ الطيبة والأسبابَ المأذون فيها شرعاً، حتى يكون تناوله لهذا المال بالطريق الذي أذن الله له فيه، هكذا يكون المؤمنُ حقاً، لا يخدعه المالُ، ولا تغره الدنيا بزخارفها، فيوقع نفسه في الحرام، وإنما لديه إيمانٌ يردعه وورعٌ يحميه، إيمانٌ قويٌّ في قلبه لا يمكن أن ترزعزه زخارف الدنيا ولذاتها، ولكن يقف موقفَ المؤمنِ التقى عند أيِّ مكسبٍ يريده، فإن تكن تلك المكاسب طيبة مكاسبَ أذن الله فيها سلكها وسار عليها، وإن تكن مكاسبَ خبيثة ابتعد عنها وتركها، كما قال -تعالى-: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٠) .

فهو لا يغترّ بالمكاسب الخبيثة ولو كان وراءها الأرباحُ الكثيرة؛ لأنها الموصل الحقيقي على الغواية، فلا يندفع بها المؤمن، لعلمه أن الله -تعالى- حرّم عليه ذلك، ولعلمه مدى خطورة الوقوع فيهما.

ومن هنا يتبيّن للباحث أنّ الحرص على المال والجاه سبب رئيس من أسباب الغواية التي تفسد دين المرء؛ لأن أصل الحرص على المال والجاه أصل حب الدنيا واتباع الهوى، وهذا ما بيّنه -تعالى- في قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات: ٣٧ - ٤١).

نسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من طلاب الباقية وألا يجعلنا ممن يلهثون وراء الفانية.

المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات.

من أعظم نعم الله تعالى التي امتنَّ بها على عباده هي نعمه الإسلام والهدايه واتباع شريعة خير الأنام، وذلك لما تضمنته هذه الشريعة الغراء من الخير والسعادة في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة لمن تمسك بها وسار على نهجها القويم.

ولقد جاء الإسلام للمحافظة على كرامة المرأة وصيانتها، ونهى عن التبرج الذي ذمه الله

في الجاهلية، لكونه من أسباب فتنة النساء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ونهى عن كشف العورات، وأمر بغض البصر وحفظ الفروج

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: ما يُحذَرُ من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم الحديث (٦٤٢٥)، ص (١١٧٤).

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا لَكُمْ ۖ﴾ (النور: ٣٠-٣١).

أولاً: تعريف التبرج لغة واصطلاحاً:

١- التبرج لغة: أصل كلمة (التبرج) من برج، فالباء والراء والجيم أصلان: أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ، فمن الأول البرج وهو سعة العين في شدة سواد سوادها، وشدة بياض بياضها ومنه التبرج وهو إظهار المرأة محاسنها^(١).

٢- التبرج اصطلاحاً: "هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب"^(٢).

ثانياً: مظاهر التبرج وكشف العورات:

للتبرج وكشف العورات مظاهر متعددة سواء في الجاهلية أو ما بعده وسيذكرها الباحث على شكل نقاط:

أولاً: تكشف المرأة في الجاهلية وعرض نفسها على الرجال وطوافها بالبيت عريانة.

ثانياً: وضع الخخال في أقدام المرأة حتى تلفت الأنظار نحو زينتها.

ثالثاً: لبس المرأة الملابس الرقيقة والشفافة التي تُظهر شيئاً من جسدها .

رابعاً: استعمال المرأة الطلاء والمساحيق والأصبغة لتخرج بعد ذلك على الناس بفتنتها.

خامساً: التكشف عن ما يسمى بالكوافير والأخطر عندما يكون العاملون فيه من الرجال.

سادساً: الإسراف والمبالغة في الزينة.

ومظاهر التبرج كثيرة ذكر الباحث منها بعض الأمثلة لا على سبيل الحصر والاستقصاء.

ثالثاً: أبرز الأسباب المؤدية إلى التبرج وكشف العورات:

إن تبرج المرأة داء خطير بل ومصيبة عمياء، ولقد حل هذا الداء في معظم بلاد المسلمين، حيث ترى النساء في الطرقات وفي الميادين العامة كاسيات عاريات^(٣)، وأدى ذلك إلى انتشار الفساد بين الجنسين، وهذا الداء لم يأت من فراغ وإنما كان له أسبابٌ أذكر أهمها:

١- هشاشة البيئة التربوية التي نشأت فيها المرأة:

إذا كان الحجاب عادة والحشمة تقاليداً، والستر عرفاً، فإن المرأة إذا نشأت وترعرعت على ذلك فإنها قد تتحلل من حياتها في أي وقت متى أتيح لها ذلك، أما عندما يكون الدين والحياء أصلاً غرس

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن زكريا (٢٣٨/١).

(2) فقه السنة: سيد سابق (١٨٠/٢).

(3) انظر: المرأة في شتى العصور: لابن الخطيب ص(٧٣).

في القلب منذ نعومة الأظفار فإنه يحصل التسليم لأمر الله -عزَّوجلَّ- والاستجابة لشرعة وليس للعادات ولا للتقاليد.

٣- ضعف الإيمان وعدم استشعار الخوف من الله عزَّوجلَّ:

إن الإيمان لا بد أن يكون اعتقادًا بالقلب وإقرارًا باللسان وعملاً بالجوارح^(١) وفق ما جاء عن الله ورسوله -ﷺ-، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، فلا بد وأن يوافق العمل متابعة ما صدر عن الله عزَّوجلَّ، وعن رسوله -ﷺ-.

فالإيمان إذا لم يغرس في النفوس من الصغر ويحافظ عليه بالزيادة في الطاعات واجتناب المنكرات، فإنه سيضعف ويؤثر على الشخصية الحقيقية للمسلم، فيصبح المسلم غير مهتم ولا مبال بأوامر الشارع الحكيم من حيث الأوامر والنواهي، وهذا بالطبع سيؤثر على المرأة التي ستسلك من دينها، لأنها لم تترب عليه، وأيضًا على وليها الذي فقد شخصيته وتأثيره ببعده عن الدين فلا يستطيع مقاومة رغبة المرأة التي تريد التبرج والتكشف.

٣- التقليد الأعمى:

التقليد عبارة عن "ظاهرة اجتماعية نابغة من دوافع نفسية، وسنة من سنن الكون، فإن كان فيما يدعو إليه بعض الخلق من اتباع الحق فحسن، ولا يجوز أن يكون تقليدًا أعمى في كل شيء"^(٢) فقد ذم الله عزَّوجلَّ الكفار حين قلدوا آباءهم في الكفر والعناد وصموا أسماعهم وبصيرتهم عن سماعهم الحق فقال سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢).

فيدخل تحت هذا تقليد الكفار واتباعهم في العادات والتقاليد وقد حذر -ﷺ- من هذا التقليد الذي يؤدي إلى الغواية والهاوية فقال -ﷺ-: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم"، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ " قال: فمن")^(٣).

من خلال هذا الحديث يتبين لنا خطورة التقليد الأعمى للكفار، وقد سلك بعض شباب المسلمين بل ونساؤهم هذا المسلك فأصبحوا يقلدون غيرهم من الكفار، ويتابعون آخر ما يصدر عن الموضة، عن طريق متابعة الوسائل الإعلامية الهابطة سواءً الفضائيات والإذاعات والمجلات وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وعلى ترويج البضاعة الكاسدة بين المسلمين في تقليد واضح للغرب وأهل الكفر، حتى لو أدى هذا التقليد للتبرج والعري، ومرجع

(1) انظر العقيدة الطحاوية: الطحاوي ص(٣٣١).

(2) الأسرة تحت رعاية الإسلام: عطية صقر (٢/٢٤٧).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي: " لتتبعن سنن من كان قبلكم"، رقم الحديث(٧٣٢٠)، ص (١٣٢٥).

ذلك إلى الأسباب النفسية التي يشعر من خلالها المقلد بالنقص فينتجه إلى التقليد طلباً للجمال وحب الظهور.

رابعاً: دور الشيطان في التبرج وكشف العورات:

من أعظم ما يكيد به الشيطان للإنسان كشف العورات لما يجبر عليه من الوقوع في الفاحشة وفساد الأخلاق وضياع الحياء والحشمة، فكاد لآدم وزوجه بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠). وقد وجه سبحانه وتعالى النداء لبني آدم محذراً لهم من كيد هذا العدو الذي فعل مع أبيهم ما فعل أن لا يفتنهم ويوقعهم في الغواية عن طريق التساهل في كشف العورات.

وامتن الله -تعالى- عليهم بلباسين يستتران عوراتهم: اللباس الذي يوارى سوءاتهم ويجمل هيئاتهم وهو اللباس المحسوس الذي يلبسونه على أبدانهم، واللباس الذي يوارى سيئاتهم ويجملهم ظاهراً وباطناً وهو لباس التقوى الذي تتحلى به قلوبهم، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْآتِكَمُ وَرِدْيًا وَّلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦ - ٢٧).

وما حذر الله عباده هذا التحذير إلا لأن الشيطان سيعيد عليهم الكرة فيأمرهم بالعري وخلع الستر ولباس الحشمة لما له في ذلك من المآرب الخبيثة، والمطامع الدنيئة، وقد عمل هذه المكيدة مع أهل الجاهلية، فأمرهم أن يطوفوا بالبيت عراة رجالاً ونساءً.

فالتبرج والعري من أسلحة الشيطان التي تؤدي إلى الغواية والضلال المبين وهذا واضح في الآية الكريمة: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠)، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿...فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا مِنْ...﴾ (الأعراف: ٢٢).

لذلك كان الأمر الإلهي بالستر والتحذير من كل مظاهر كشف العورات، فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ويظل الحذر من الشيطان واجب الإنسان لينجو من وساوسه وغوائله، ويستقيم في حياته ويسعد في الدنيا والآخرة.

خامساً: النتائج المترتبة على التبرج وكشف العورات:

إن التبرج والتساهل في كشف العورات سبب للدخول في العقوبة الإلهية وقد حذر سبحانه وتعالى المؤمنين من معصيته ومخالفة أمرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾

أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ (النور: ٦٣)، ثم إن التبرج يؤدي إلى تفكك الأسر وتفشي الطلاق في المجتمعات كذلك، لأن الانسلاخ من الإيمان والحياء يؤدي إلى التجرؤ على حرمان الله -عزَّوجلَّ-، كما إن التبرج والعري ينشر الأخلاق السيئة بين الشباب مما يؤدي إلى فساد وانهييار أخلاقهم، وهذا يؤدي حتمًا إلى شيوع الفواحش التي بدورها تنتشر الأمراض الفتاكة في المجتمع المسلم؛ فتقضي على المجتمع برمته إلى غير ذلك من النتائج المدمرة.

سبل الوقاية والعلاج من خطر التبرج وكشف العورات.

من أعظم مقاصد هذا الدين، إقامة مجتمع طاهر، سياجه العفة والطهر، مجتمع لا تهاج فيه الشهوات ولا تثار فيه عوامل الفتنة، وتُضيقُ فيه فرص الغواية، والله -عزَّوجلَّ- حرم التبرج والعري حماية للمجتمع وصونًا لأدابه وأخلاقه؛ فإذا تفشى التبرج في مجتمع من المجتمعات كان ذلك هدمًا لأخلاق هذا المجتمع ونشرًا للمفاسد فيه، وحتى لا يتفشى التبرج في المجتمع فقد أنشأ الإسلام حزامًا واقياً من الانزلاق إلى أتون التبرج والعري، ومن خلال ما سبق يخلص الباحث إلى بعض السبل التي تُحصّن المجتمع من شر الغواية.

- ١- نشر الوعي الديني بين المسلمين.
 - ٢- متابعة الوالدين لأبنائهم وغرس الإيمان والحشمة في نفوس الأبناء.
 - ٣- عدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.
 - ٤- عدم مصافحة النساء الأجنبية.
 - ٥- غض البصر عما حرم الله -عزَّوجلَّ-.
 - ٦- البعد عن مواطن اختلاط الرجال بالنساء.
 - ٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - ٨- انتقاء الوسائل الإعلامية الهادفة والبعد عن الهابطة.
- وغيرها من السبل الأخرى التي تحمي الفرد والأسرة والمجتمع من التفتت والانهييار.

المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتل مكانة عظيمة في الإسلام، فقد جعله الله - عز وجل - شرطاً من شروط تحقيق خيرية الأمة، فالأمة مرهونة بقيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ويقول الرسول - ﷺ - : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(١).

يقول الغزالي رحمه الله: "فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد"^(٢).

وتكمن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عدة جوانب، منها:

١- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الغاية التي بعث الله تعالى الأنبياء من أجلها، وكم قتل في سبيل ذلك من نبي وصدیق؛ فكانوا أفضل الشهداء^(٣)، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣).

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد إحدى وسائل نشر الدين وتبليغ الرسالة، إذ هو من مهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالأمر بتوحيد الله أمرٌ بمعروف، والنهي عن الشرك بالله والكفر نهْيٌ عن منكر قال تعالى واصفاً نبيه - ﷺ - : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)،

٣- ومنها أن تطبيق هذه الشعيرة يحقق العبودية لله وحده، لما فيها من الدعوة إلى عبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غيره، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، رقم الحديث (٧٨)، ص (٤٢).

(2) إحياء علوم الدين: الغزالي (٣/٣٠٦).

(3) انظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا (٤/٢٧).

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين ﴿التَّيِّبُونَ الْمَكِيدُونَ الْخُدُوتُونَ السَّخِيحُونَ الرَّكِيحُونَ السَّنْجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَنِيفُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١٢) ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المنافقين فقال سبحانه: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِضُفْعَيْنِ يُكْفَرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَهْوُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام الأمان للفرد والمجتمع من الهلاك؛ لأن المجتمع الذي تنفشى فيه المنكرات قد توعدده الله تعالى بالهلاك والعقاب في الدنيا والآخرة.
ثانياً: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تكمن الخطورة في الوعيد الشديد من الله عز وجل لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولأن الترك يدخل في إطار السكوت عن الحق، وكتمان الشهادة، إذ هما طريقان للغواية التي تؤدي إلى الهلاك، وإن سنن الله ماضية في تسليط عقوبته على المجتمعات التي تترك هذه الشعيرة الهامة، وقد قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨ - ٧٩).

قال الألوسي: أي: "لعنهم الله - تعالى - في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بأن أنزل في هذين الكتابين " ملعون من يكفر من بني إسرائيل بالله أو بأحد من رسله"^(١) وهذا يدل على أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستغنى عن هذه الشعيرة الهامة، استحق أن يكون ملعوناً ومطروداً من رحمة الله.

وذلك اللعن للكافرين من بني إسرائيل سببه عصيانهم لله ولرسله، وعدوانهم على الذين يأمرونهم بالقسط من الناس، ولعنهم لم يكن اعتباراً أو جزافاً، وإنما كان بسبب أقوالهم القبيحة وأفعالهم المنكرة، وسلوكهم السيئ، ثم فسر سبحانه وتعالى عصيانهم وعدوانهم بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي أنهم: كانوا لا ينهون بعضهم بعضاً عن اقتراف المنكرات، واجتراح السيئات، بل كانوا يرون المنكرات ترتكب فيسكتون عليها

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩٥/٥).

بدون استنكار مع قدرتهم على منعها قبل وقوعها، وقوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ "نم لهم على كثرة ولوغهم في المعاصي والمنكرات وتعجب من سوء فعلهم"^(١).

ثالثاً: حكم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد نص عدد من الفقهاء رحمهم الله تعالى على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كبائر الذنوب، ومن أولئك الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر، حيث يقول: "الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة بأن أمن على نفسه ونحو ماله ومخالفة القول الفعل"^(٢).

ولا شك أن فعل المعاصي وخاصة كبائر الذنوب جالبة لغضب الله عزوجل، وقد وصف الله - تعالى - المؤمنين والمؤمنات بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقال - تعالى -:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَخْلَقُونَ﴾ .
(التوبة: ٧١).

قال القرطبي: "جعله الله تبارك وتعالى فرقاً بين المؤمنين والمنافقين"^(٣).

رابعاً: الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه خطر جسيم، وشر مستطير على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وهذه الآثار تتمثل في الجوانب الآتية:

١ - الاختلاف والتناحر بين الأمة، فإذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحول المجتمع

إلى فئات متناحرة تتنازعها الأهواء وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٢ - اسوداد القلب وتكيسه، فكثرة مشاهدة المنكرات وعدم إنكارها، يألها القلب ويصبح مريضاً

منكوساً لا يفرق بين معروف ولا منكر إلا ما أشرب من هواة وقد قال - ﷺ - في الحديث الذي رواه

حذيفة بن اليمان - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول (تعرض الفنن على القلوب كالحصير

عودا عودا، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (٤/٢٥٠).

(2) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٨٢٩).

(3) الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٧).

تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مراداً، كالكوز مخبياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه^(١)

٣- اللعن والطرده من رحمة الله: وقد قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ (المائدة: ٧٨ - ٧٩).

٤- الإيذان بالهلاك والعقاب: ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام الأمان للمجتمع من الهلاك، فإذا أهملت هذه الشعيرة، ترتب على ذلك فشو المنكرات وكثرة الخبث، فإذا أصبح المنكر عنواناً للمجتمع؛ استحق حينها العذاب الشامل الذي يحيق بالصالحين والطلحين، فعن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - دخل عليها فرعاً يقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذَا وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ^(٢)).

٥- انتفاء وصف الخيرية عن هذه الأمة، لأن الخيرية مقرونة بثلاث شروط وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وقد قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

إلى غير ذلك من الآثار الوخيمة المترتبة على ترك هذه الشعيرة الهامة.

المطلب السابع: انتكاس الفطرة:

لقد خلق الله تعالى الخلق على الفطرة، وأمرهم بتعظيمها، وحذر عباده من إفسادها وتغييرها، مبيناً أن اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه، وجعله مستقيماً قيماً لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَينُ الْقَينُ وَلَكِن كَثُرَ التَّكْسيرُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث (١٤٤)، ص (٧١).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، رقم الحديث (٣٣٤٥)، ص (٦١٢).

وجاءت السنة النبوية بذلك، فبينت أنهم على دين الفطرة منذ ولادتهم، وقد قال النبي -ﷺ-
(كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجْسِنَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ
جَمْعَاءَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)^(١).

وهذا دليل واضح من النبي -ﷺ- على أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية التي خلق عليها، لما كان على شيء من الأديان الباطلة والفاصلة، وأنه إنما يقدم على الدين الباطل لأسباب خارجية، وهي سعي الأبوين في ذلك وحصول الأغراض الفاسدة التي يتلقاها المولود من البيئة الخارجية^(٢).
أولاً: مفهوم الفطرة:

ذكر العلماء عدة تعاريف لمفهوم الفطرة ومعظمها تدور في فلك واحد، وهو الأصل والمنشأ الذي خلقت وأنشأت عليه.

قال الجرجاني: "الفطرة الجبلية المتهيئة لقبول الدين"^(٣).

قال الراغب: "فطرة الله هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان"^(٤).

وقال ابن عطية: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أي الفطرة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي مُعَدَّةٌ وَمُهَيَّئَةٌ لَأَن يَمِيزَ بِهَا مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَعْرِفُ شِرَائِعَهُ"^(٥).

وقال ابن عاشور: " الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق"^(٦).

وأما عند ابن تيمية: " هي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة"^(٧).

والحقيقة أن جميع التعاريف السابقة تدور حول معنى واحد: هو أن الفطرة هي الخلقة والهيئة التي أودعها سبحانه وتعالى في نفس الإنسان لقبول دين الله، وأن ما يحدث للفطرة من انتكاس وفساد ونكوص ما هو إلا نتيجة للمؤثرات الخارجية التي يتلقاها المولود منذ نشأته الأولى.

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٨٣)، ص(٢٥٦)، طرفه في (١٣٥٨)(١٣٥٩)(٤٧٧٥)(٦٥٩٩)، وفي صحيح الإمام مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم الحديث (٢٦٥٨) ص (١٠٢٥).

(2) انظر: مفاتيح الغيب: الرازي (٢٤٦/٣).

(3) التعريفات ص (٢١٥).

(4) مفردات ألفاظ القرآن (١٩٨/٢).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٦/٤).

(6) التحرير والتنوير (٧١/١١).

(7) الفتاوى (٢٤٥/٤).

ثانياً: أسباب انتكاس وفساد الفطرة:

إن الفطرة تبدأ سليمة نقية على ما خلقها الله تعالى، مائلة عن الشرك والكفر إلى التوحيد، لأن الله تعالى فطر الخلق على معرفته وتوحيده وتعظيمه، وعلى ألا تطمئن القلوب ولا تنتهي إلا إليه جلّ شأنه^(١).

ولكن قد يطرأ عليها ما يغيرها ويفسدها ومن ذلك ما بينه - ﷺ - في كيفية انحرافها فقال: (، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)^(٢)، وفي حديث آخر، قال - ﷺ -: (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...)^(٣). فهذه التغيرات تؤدي إلى فساد وانحطاط الفطرة وسلوكها مسلك الغواية والضلال الذي يؤدي بصاحبها نحو الهلاك.

وقد ذكر العلماء مجموعه من الأسباب التي تؤدي إلى فساد وانحراف الفطرة نحو الغواية منها: أولاً: خلل يعرض عند تكوين الفرد في عقله أو في جسده فينشأ منحرفاً عن الفضيلة لتلك العاهة. ثانياً: اكتساب رذائل من الأخلاق من مخترعات قواه الشهوية والغضبية ومن تقليد غيره بداعية استحسان ما في غيره من مفسد يخترعها ويدعو إليها، وهو ما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَكُنَّا لِمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

ثالثاً: خواطر خيالية تحدث في النفس مخالفة لما عليه الناس كالشهوات والإفراط في حب الذات أو في كراهية الآخرين مما توسوس به النفس فيفكر صاحبها في تحقيقها. رابعاً: صدور أفعال تصدر من الفرد بدواع حاجيه أو تكميلية ويجدها ملائمة له أو لذينة عنده فيلازمها حتى تصير له عادة وتشتبه عنده بعد طول المدة بالطبيعة، لأن العادة إذا صادفت سذاجة من العقل غير بصيرة بالنواهي رسخت فصارت طبعاً. خامساً: ما يزينه لها شياطين الجن والإنس مما يخالفها ويضادها، وهو أمر شامل للشرك الذي هو أكبر الكبائر، إلى المعاصي الكبائر والصغائر وما هو أقل من ذلك من التأخير عن المندوبات، والتكامل في المستويات.

(1) انظر: (الفتاوى): ابن تيمية (٢٤٥/٤).

(2) سبق تخريجه ص(١٥).

(3) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا

أهل الجنة وأهل النار رقم الحديث (٢٨٦٥) ص (١٠٩٨).

سادساً: الهوى الذي يتضمن تقديم ما تميل إليه النفوس والطباع الآدمية على ما تقتضيه الشريعة من الأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَمَلَهُ بَصِيرَةً ۚ فَمَنْ يُهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجمعة: ٢٣)^(١).

سابعاً: التنشئة الفاسدة من قبل الوالدين وهي المشار إليها في حديث المصطفى - ﷺ -: (فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)^(٢).

فهذه الأسباب وغيرها هي التي تؤثر على الفطرة السليمة، فهي كالأضرار التي تعترى الأبدان، ويمكن علاجها بما يناسبها من الأدوية التي تزيلها، وترجع البدن إلى حالته الأولى من الاعتدال والأمر نفسه بالنسبة للنفس الإنسانية، فهي تعالج بالوحي الرباني الذي يرجع إليها اعتدالها وصفائها وكمالها الفطري^(٣).

مظاهر الانتكاس للفطرة:

إن مظاهر انتكاس الفطرة كثيرة يذكر الباحث منها على سبيل العد لا الحصر:

- ١- زنا المحارم، لأنه يتنافى مع الفطرة السليمة والمروءة الإنسانية ونزولاً إلى درجة البهيمية.
- ٢- اللواط والسحاق.
- ٣- العري ومعاشرة البهائم.
- ٤- إتيان المرأة في دبرها.
- ٥- تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.
- ٦- المجاهرة بالمعاصي.
- ٧- سن قوانين غريبة تبيح زواج الرجال من الرجال.
- ٨- زواج المرأة من الكلاب وهذا أدنى من زواج الرجال بالرجال.
- ٩- زواج النساء من النساء.

وغيرها من المظاهر التي أصبحت في المجتمعات الغربية الكافرة عادات لا يمكن الفكك منها لدرجة تقنينها وتشريعها من السلطات الرسمية، وهنا مكن الخطر من حيث انتظار العقاب الإلهي للذين انتكست فطرتهم، وما قوم لوط عنهم ببعيد.

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢/٢٤٦)، و(منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد):

إبراهيم البريكان (١/٣٠٦).

(2) سبق تخريجه ص (١٦).

(3) انظر درة تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٣/٣٠٦).

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني في المجتمعات:

أولاً: مفهوم الوعي:

١- المعنى اللغوي: (الْوَعْيُ): "حَفِظَ الْقَلْبَ الشَّيْءَ، وَعَى الشَّيْءَ والحديث يَعِيهِ وَعِيًا وَأُوْعَاه حَفِظَهُ وَفَهَمَهُ وَقَبَلَهُ فهو واعي وفلان أُوْعَى من فلان، أَي أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ"^(١).

٢- المعنى الاصطلاحي للوعي: "هو الإدراك العقلي الواضح لمتطلبات العمل الناجح"^(٢).

من هذا التعريف يرى الباحث أن أي عمل يقوم به الإنسان لا بد له من إدراك، وهذا الإدراك هو الوعي، فالوعي حاله يتطلبها الجميع.

ثانياً: أهمية الوعي الديني في المجتمع:

١- إن للوعي الديني أهمية بالغة في نهوض المجتمع بل وحفظه من السقوط في الغواية، فالعبد الذي لا يدرك المعنى الحقيقي لتطبيق النصوص الشرعية (من الكتاب والسنة) على الواقع، سيسقط في شرك الغواية فالنصوص ليست جامدة مجردة عن الواقع، فما وجدت النصوص الشرعية إلا من أجل تطبيقها في الواقع.

٢- الوعي الديني يعطي الإسلام صورته الحقيقية المشرفة التي شابها الكثير من التعتيم بسبب عدم إدراك الدين إدراكاً معرفياً حقيقياً.

٣- اهتمام النبي -ﷺ- بالوعي الديني عند الصحابة الكرام فالنبي -ﷺ- لم يعلم الصحابة رضي الله عنهم حفظ النصوص فقط، وإنما فهمها وإدراكها وإسقاطها على الواقع، وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كنا نحفظ إلا الخمس والعشر آيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها"^(٣).

٤- إنكار النبي -ﷺ- على الذين لا يفقهون النصوص ولا يدركونها على حقيقتها، وأبرز مثال على ذلك الخوارج فقد أنكروا فهمهم، فلم يدركوا المعنى الصحيح للقرآن كما قال -ﷺ-: (يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم...)^(٤).

(1) لسان العرب: ابن منظور (٣٩٦/١٥).

(2) محاضرات الدكتور: جميل اللويحق (مفاهيم تحت المجهر).

(3) انظر: دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم خليفة (٢٢٠/١).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦١١)،

ص(٥٨٥).

ثالثاً: تفاوت الناس في درجة الوعي:

لا شك أن الوعي الديني بين العباد على درجه متفاوتة، فالله -عزَّوجلَّ- يُكْرِم بعض العباد بما لا يكرم به الآخرين، كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢) والمعنى: أن الله تعالى جعل القرآن الكريم ميراثاً منه لأُمَّته -ﷺ-، التي اصطفاه على سائر الأمم، وجعلها أمه وسطاً، وأورثها هذا الكتاب لتتنفع بهدايته، وتسترشد بتوجيهاته، وتعمل بأوامره ونواهيهِ. (١).

ثم جعل سبحانه وتعالى العباد القائمين بالكتاب العظيم حسب درجة الوعي والإدراك الديني على ثلاثة أقسام: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وهو المفرط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات. (٢).

رابعاً: سبل تنمية الوعي الديني:

إن عملية الوعي الديني تتطلب لوازم لا بد منها حتى لا ينزلق المجتمع إلى الغواية، منها: أولاً: الشعور الداخلي للإنسان، فعندما يدرك الإنسان أنه بحاجة إلى الوعي، فإنه سيوجه نفسه في هذا الاتجاه، وهو أول المحركات نحو الوعي، قال الله تعالى: ﴿...إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مَعْرِفَةٌ... ﴾ (الرعد: ١١).

فقناعة الإنسان لهذه الحاجة هي أول بواعث بناء الوعي، فلا يمكن أن يمنح الوعي من الخارج ما لم تكن هناك دوافع داخلية.

ثانياً: العلم، والمقصود بالعلم هنا إدراك الشيء كما أراده الله عزَّوجلَّ بأسراره ومقاصده وعظمته وبكل جوانبه، وأول من لهم الأهمية هنا هم العلماء والدعاة وطلاب العلم الشرعي، لأن هؤلاء هم من سيوجه المجتمع نحو الوعي الديني السليم، وعليهم الإلمام بكل مقاصد الشريعة.

ثالثاً: التنقيف الأسري وتوعية الوالدين، وغرس أصول الإيمان في نفوس الأبناء منذ نشأتهم وتعليمهم مبادئ الشريعة الغراء.

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١١/٣٤٨).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١١/٣٢٢).

رابعاً: المسجد، له الدور الكبير والفعال في غرس الوعي الديني في المجتمع، فهو جزء من مكونات المسلم، فمن خلاله يؤدي المجتمع الإسلامي رسالته في الحياة، وعن طريقه يتم الانطلاق نحو الإصلاح، وعبره يتمكن المصلحون من توجيه الناس وإصلاح أفكارهم.

خامساً: وسائل الإعلام، فأعداء الإسلام سخرُوا جل طاقاتهم في وسائل إعلامهم لإبعاد الشباب عن الدين وتوجيههم نحو الانحلال الخُلقي، فالإعلام الإسلامي له دور فعال في تنمية الوعي الديني في المجتمع.

إلى غير ذلك من وسائل تنمية الوعي الديني في المجتمعات الإسلامية التي تتقذ المجتمع من السقوط إلى الهاوية^(١).

خامساً: الآثار المترتبة على وجود الوعي الديني في المجتمعات:

إن الوعي الديني في المجتمع له الأثر البالغ في حماية المجتمع من السقوط في الرذائل والمنكرات وهو بمثابة صمام الأمان للمجتمع من الانحراف والانجراف، ووجود الوعي الديني في المجتمع؛ يرفع العقاب الرباني عنه، بل ويغدق سبحانه بركاته ورحماته عليه في الدنيا والآخرة، قال الله -

تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وهذا إخبار منه سبحانه وتعالى عن سنةٍ من سننه في عبادته، وتلك السنة أنه لو آمن أهل القرى كأهل مكة وغيرهم بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام، لأنزل عليهم الخيرات الكثيرة من السماء كالمطر، وأخرج لهم خير الأرض من نبات ومعادن وكنوز، وآتاهم من العلوم والمعارف والإلهامات الربانية لفهم سنن الكون^(٢).

وغياب الوعي الديني في المجتمع كفيل بانتشار المنكرات والموبقات بجميع أصنافها؛ إذ بغيابه يغيب الوازع الديني الذي يمنع انتشارها.

(١) انظر: (رسالة المسجد في الإسلام): عبد العزيز محمد المليم (٦٠).

(٢) انظر: (التفسير المنير): الزحيلي (١٨/٩).

الفصل الثاني

الشيطان وأساليبه في الغواية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتناك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزر.

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزع.

المطلب الثالث: استنزال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: التحريش بين المسلمين.

المطلب الثامن: التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

الفصل الثاني

الشيطان وأساليبه في الغواية

لقد حذر الله -عز وجل- من الشياطين، وبيّن عداوتهم للإنسان، وقد أطال القرآن الكريم تحذيرنا من الشيطان ومن فتنته ومهارته في الإغواء، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يُرِيدُكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنۢ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأعراف: ٢٧).

ففي هذه الآية الكريمة يحذر المولى سبحانه وتعالى بني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بأن يزين لهم المعاصي، ويدعوكم إليها، ويرغبهم فيها، فتتقادون له فيغويكم ويضلكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ أي كما أنزلهما من الجنة، فيريد الشيطان أن يفعل بكم كذلك، والشيطان يستخدم شتى الوسائل والأساليب حتى يفتنكم، فعليكم أن تحذروه، وأن تحذروا شتى أساليبه؛ لأنه ﴿يُرِيدُكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ من شياطين الجن ﴿مِنۢ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فترك الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان^(١).

فالشيطان منذ أن طرد من الجنة وإلى يوم القيامة ليس له عمل إلا الإغواء والإضلال والإفساد، وله في ذلك طرق وأساليب ولكن هذه الأساليب تنوعت واختلفت مع الكافرين ومع المؤمنين، وهذا ما أشار إليه النبي -ﷺ- فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ- : (إِنَّ إبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بَعْرَتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَزْوَاجُ فِيهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ: فَبَعْرَتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَعْفَرُونِي)^(٢).

وهذا ما سيفصله الباحث في المبحثين القادمين.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٨٦).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٤)، ص (٣٤٤/١٧)، صححه الألباني.

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتناك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزر.

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين:

المطلب الأول: الإحتناك.

مفهوم الإحتناك لغة واصطلاحاً

أولاً- الإحتناك لغة: أصل مادة الإحتناك: مشتقه من الحنك وهو حنكُ الإنسان أي أقصى فمه، يقال حنك الجراد الزرع إذا أكله والجراد يأكل بحنكة أكلاً مستأصلاً فلا يبقى ولا يذر، وحنك الرجل دابته إذا شد حبلأ في حنكها الأسفل ليقودها كيف شاء فهو شبيه باللجام الذي يجبر الدابة على طاعة من يقودها، فهو يستطيع بهذا اللجام أن يسيطر على الدابة سيطرة كاملة، وهذا لا يكون إلا إذا صار العبد مشركاً، والشرك وحده الذي يجعل الشيطان يسيطر من خلاله على الإنسان، وبالتالي إذا سقط الإنسان في يد الشيطان بالكامل فهو يحتنكه كأنه دابة؛ فيجلبه إلى مراده من الإفساد والإغواء^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: ٥٥).

ثانياً- الإحتناك اصطلاحاً: اختلف المفسرون في المراد بالإحتناك في قوله تعالى: ﴿لَا حَتَمَ لَكَ دَرِيئَةً﴾ على قولين اثنين.

الأول: أن المراد لقوله: ﴿لَا حَتَمَ لَكَ دَرِيئَةً﴾ أي لأستولين عليهم ولأستأصلنهم بالإغواء والإضلال، وهذا القول مأخوذ من كلام العرب، احتنك الجراد ما على الأرض: إذا أكله^(٢).
الثاني: أي لأقودنهم إلى ما أشاء، وهذا القول أيضاً مأخوذ من كلام العرب، احتنكت الفرس: إذا جعلت الرسن في حنكه لتقوده حيث شئت^(٣).
الرأي الراجح:

من خلال النظر والتأمل في المعاجم اللغوية تبين للباحث أن المعنيين صحيحان ومتقاربان^(٤).
ولكن المعنى الثاني: هو الأرجح والألصق بالمعنى اللغوي ويتناسب مع ما أراده إبليس لبني آدم من

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٤١٦/١٠)، و(تهذيب اللغة): الأزهرى (٤٧٣٩/١).

(2) انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): الطبري (١٠٧/١٥)، و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٠/٣)، وغيرهم من المفسرين.

(3) انظر: (تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي): مكي بن أبي طالب ص(١٣٨)، و(أضواء البيان): الشنقيطي (١٦٧/٣).

(4) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٤١٦-٤١٧-١٠) مادة (حنك)، و(معجم مقاييس اللغة): ابن منظور (٨٩/٢)، وقد فسّر كثير من المفسرين الآية بالمعنيين، انظر: و(بحر العلوم): السمرقندي (٣١٩/٢)، و(التفسير الكبير): الرازي (٨٤/١٠)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٨٧/١٠)، و(إرشاد العقل السليم): أبو السعود (٢١١/٤) وغيرهم من المفسرين.

الإغواء والضلال المفضي إلى الهلاك، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ (الأعراف: ١٦ - ١٧).
 فإن الإنسان إذا أطاع الشيطان واتبعه فإنه يضلّه ويصدّه عن الهداية، ويصبح العوبة في يده كما بيّن سبحانه فقال: ﴿... كَأَنزَى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أِقْبَانًا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ (الأنعام: ٧١).

قال الطبري: "إن مثل من يكفر بالله بعد إيمانه كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم ويقولون: انتنا فإننا على الطريق فأبى أن يأتيتهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام" (١).

المطلب الثاني: الاستحواذ:

مفهوم الاستحواذ لغة واصطلاحاً:

أولاً- الاستحواذ لغة: (الاستحواذ) مأخوذة من حاذَ يَحُوذُ حَوْذًا، وَالْحَوْذُ وَالْإِحْوَادُ السَيْرُ الشَّدِيدُ وَحَاذَ إِبْلَهُ يَحُوذُهَا حَوْذًا سَاقَهَا سَوْفًا شَدِيدًا وَاسْتَحُوذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ غَلَبَهُ وَاسْتَمَالَهُ إِلَى مَا يَرِيدُهُ (٢).
 ثانيًا- الاستحواذ اصطلاحاً: لم يختلف المفسرون كثيراً في معنى الاستحواذ عن المعنى اللغوي، ففي قوله -تعالى-: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حَرْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنِ حَرْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُتَمَرِّضُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

قال الطبري: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ "بمعنى غلب عليهم" (٣).

وقال الرازي: "ملكهم الشيطان واستولى عليهم" (٤).

وقال القرطبي: "غلب واستعلى بوسوسته في الدنيا" (٥).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٥٢/١١).

(2) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٤٨٥/٣)، و(المصباح المنير في غريب الشرح الكبير): الفيومي (١٥٥/١).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/٣).

(4) التفسير الكبير (٢٨٥/١٥).

(5) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٥/١٧).

فمن خلال استعراض أقوال المفسرين لمعنى الاستحواذ يتبين للباحث أن أغلب أقوال المفسرين لم تخرج عما هو موجود عند اللغويين، وإنما اختلفت عباراتهم زيادة ونقصاً، تحديداً وتعميماً.

كيفية استحواذ الشيطان على الإنسان:

لقد بيّن الإمام النسفي^(١) كيفية استحواذ الشيطان على الإنسان بقوله: " استحواذ الشيطان على العبد: أن بالمآكل والمشارب والغيبة والبهتان، ويشغل باله عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها"^(٢).

وهذا يعني أن الشيطان إذا اتخذ قلباً من قلوب العباد بيتاً، استحواذ عليه فيأمر القلب بالشهوات المحرمة، فيريدها هذا القلب، فيأمر الجوارح بفعلها، ولذلك قال الله تعالى ﴿ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

فيكشف الله -عز وجل- في الآية الكريمة عن علة حال المنافقين الذين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء، فقد استولى عليهم الشيطان بالكلية ﴿ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾، أي أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئاً من ذلك، ثم يصفهم الله -عز وجل- بأنهم من زمرة ﴿ حِزْبِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي جنوده وأتباعه ورهطه وهؤلاء هم الخاسرون فقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي: الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران لأنهم باعوا الجنة والهدى^(٣).

أسباب استحواذ الشيطان على الإنسان:

١ - عدم الإيمان بالله تعالى، فقد صير الله -عز وجل- الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون، مسلطين عليهم، متمكنين من إغوائهم، لأن حكمة الله -عز وجل- اقتضت أن يكون الشياطين الذين هم شرار الجن في تجانس تام مع الكافرين الذين هم شرار الإنس^(٤)، وقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

(1) النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان)، عالماً بالفقه وأصول الدين وله تصانيف عديدة، منها مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وكانت وفاته ببلدة إيدج سنة ٧٠١ هـ (انظر: الأعلام للزركلي ٤/٦٧).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤١١/٢).

(3) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٢٧٢/٥).

(4) انظر: (تفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٦١/٥).

٢- الإعراض عن ذكر الله - عزوجل - وعن سنة نبيه - ﷺ - ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: ٣٦ - ٣٧)، أي: من يعرض ويتعامى عن ذكر الله تعالى، ويعرض عن قرآنه، ويتجاهل عن سنة رسوله - ﷺ - (نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا) أي نهى له شيطاناً يستولي عليه ويستحوذ على قلبه وعقله^(١).

﴿ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ أي ذلك الشيطان يكون مصاحباً وملازماً لهذا الإنسان الذي أعرض عن ذكر الله وعن القرآن، ملازمة القرين لقرينه والشيء لظله^(٢).

٣- التهاون في الصلاة أو تركها سبب استحواذ الشيطان على العبد، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)^(٣).

المطلب الثالث: الأز:

مفهوم الأز لغة واصطلاحاً:

أولاً- الأز لغة: " (الهمزة والزاي) تدل على التحرك والتحرك والإزعاج، وأزت القدر تؤز وتؤز أزا وأزيراً وأزارة وأنتزرت أنتزازاً إذا اشتد غليانها وقيل هو غليان ليس بالشديد وفي الحديث عن مطرف عن أبيه رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء يعني يبكي أي أن جوفه يجيش ويغلي بالبكاء"^(٤).

ثانياً- الأز اصطلاحاً:

قال الزمخشري: "أن الأز والهمز والاستفزاز أخوات في معنى التهيج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات"^(٥).

بينما يذكر ابن كثير عن ابن عباس معنى تؤزهم أزا: "أي تغويهم إغواءً، وعنه تحرضهم على محمد - ﷺ - وأصحابه، وعن قتادة: تزعجهم إزعاجاً إلى المعاصي، وعن سفيان: تغريهم إغراءً وتستعجلهم استعجالاً، وعن السدي: تطغيهم طغياناً"^(٦).

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٩٠/١٦).

(2) انظر: المرجع السابق (٧٧/١٦).

(3) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في التشكيك في ترك الجماعة، رقم الحديث (٥٤٧) (١٥١/٢)، حسنه الألباني.

(4) لسان العرب: ابن منظور (٧٢/١)، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١٣/١).

(5) تفسير الكشاف (٤٢/٣).

و ذكر الشوكاني: أن الأثر في هذه الآية على وجهين: أحدهما: أن معناه، خَلَيْتَنَا بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ فَلَمْ نَعْصِمَهُمْ وَلَمْ نَعْزِهِمْ، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ (الإسراء: ٦٥).

الوجه الثاني: أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: ٣٦)، ويرجح الشوكاني الوجه الثاني ويستدل عليه بالمعنى اللغوي للأثر، إذ الأثر والهمز والاستفزاز معناها التحريك والتهيج والإزعاج، فالشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم^(٢).

ويؤيد الإمام الشنقيطي ما ذهب إليه الشوكاني: "أن معنى (تؤزهم أزا) أي تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصي، ويبين أن أقوال العلماء ترجح هذا، كقول ابن عباس (تؤزهم أزا) أي تغريهم إغراءً، وكقول مجاهد: أي تشليهم أشلاء، وكقول قتادة: أي تزعجهم إزعاجاً"^(٣)، وهذا الذي يرجحه الباحث، علاوة على أن كلمة أَرَزَ التي تحتوي على حرف الزاي الذي يدل على الإزعاج والإهتزاز والقوة، ويمكنني إجمال معنى الأثر في النقاط التالية:

١- أن معنى (تؤزهم أزا): أي تزعجهم إزعاجاً حتى توقعهم في المعاصي.

٢- تغويهم إغواءً.

٣- تغريهم إغراءً بالشر.

٤- تحركهم وتحثهم على المعاصي.

٥- تهيجهم عليها تهيجاً.

الملاحظ من أقوال العلماء من كلمة الأثر أنه يوجد تداخل وتقارب في أغلب الأقوال، فمن خلال سياق الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار بعد أن اختاروا الكفر بمحض اختيارهم استحقوا أن تأتيهم الشياطين لتؤزهم أزا، وأغلب المفسرين اعتمدوا في بيان معنى الأثر على المعنى اللغوي المبني على التحريك.

والله سبحانه و تعالى جعل للشياطين سلطاناً على الكافرين، فهي تغويهم وتضلهم ضلالاً مبيناً؛ لأنهم رضوا بأن يكونوا أتباعاً لها، فتوجههم حينما أرادت، في حين أن الله تعالى حفظ المؤمنين من

(1) تفسير القرآن العظيم (١٦٧/٣).

(2) فتح القدير (٣٠٥/٣).

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥١١/٣).

إغواء وكيد الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٥) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١٠٠) سبب أزر الكافرين أزر:

إن السبب الرئيس لاستخدام الشيطان أسلوب الأزر من جملة أساليبه مع الكفار هو اتباعهم وتمكينهم إياه بطاعته فيما يدعوهم إليه من الكفر والإلحاد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: ٢٠).

ومما سبق يظهر للباحث الربط بين اتباع الشيطان وتفننه في استخدام أساليبه لمن اتبعه التي تستدرجهم لدخول النار، وقد توعدهم سبحانه أنه سيحشرهم بعضاً إلى جانب بعض يوم القيامة؛ بسبب اتباعهم لها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨).

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزغ.

المطلب الثالث: استئلال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: التحريش بين المسلمين.

المطلب الثامن: التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

لمَّا طرد الله الشيطان من رحمته، أقسم بالله أن يغوي الناس جميعًا إلا عباد الله المخلصين، كما في قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْذِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ - ٨٣). فسلك الشيطان لإغوائهم كل سبيل ومدخل على حسب نوعية من يواجهه، قال تعالى: ﴿... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِمَلِكٍ وَرَجُلِكَ ..﴾ (الإسراء: ٦٤)، أي تسلط عليهم لكل ما تقدر عليه، فالخيل والرجل كناية عن جميع مكائد الشيطان^(١)، وهذه الأساليب من أهم ما ينبغي على المسلم معرفتها لما يأتي:

١ - كثرة تلبيس الشيطان على الناس بجميع طبقاتهم وملهم ونحلهم^(٢).

٢ - إن المسلم لن يستطيع أن يدخل حربًا طويلة الأمد مع الشيطان دون معرفة سلاح وطرق عدوه في حربه^(٣).

فمن رحمة الله - عزَّ وجلَّ - بالمؤمنين أنه فضح أساليب الشيطان، وبيَّن لهم كيف يغوي الإنسان، والوسيلة التي يوقع من خلالها الإنسان في المعصية، " فالشيطان لا يأتي إلى الإنسان ويقول له: اترك هذه الأمور الخيرة، وافعل هذه الأمور السيئة؛ كي تشقى في دنياك وأخراك؛ لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة، يغرر بها عباد الله"^(٤).

المطلب الأول: الوسوسة.

مفهوم الوسوسة لغة واصطلاحًا:

أولاً- الوسوسة لغة: " الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من ريح، والوسواس: صوت الحلي، وقد وسوس وسوسة ووسواسًا بالكسر، والوسوسة والوسواس: حديث النفس. يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا، بكسر الواو، والوسواس بالفتح، الاسم مثل الزَّلْزال والزَّلْزال"^(٥).

ثانياً - الوسوسة اصطلاحًا:

الوسوسة والوسواس: "ما يلقيه الشيطان في القلب"^(٦). وقال الراغب: "الوسوسة: الخطرة الرديئة"^(٧).

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٣/٣٠٤).

(2) انظر: (تلبيس إبليس): ابن الجوزي ص (٣٨).

(3) انظر: (المصدر السابق) ص (١٠٤).

(4) عالم الجن والشياطين: عمر الأشقر ص (٨٤).

(5) لسان العرب: ابن منظور (٦/٢٥٤).

(6) بصائر ذوي التمييز: الفيروز أبادي (٥/٢٠٨).

(7) المفردات (٥٢٢)، وانظر: التوقيف: المناوي (٣٣٧).

وقال الكفوي: "الوسوسة القول الخفي لقصد الإضلال، والوسواس: ما يقع في النفس من عمل الشر وما لا خير فيه"^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: الوسوسة: "الإلقاء الخفي في النفس إمّا بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى عليه، وإمّا بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد"^(٢).

كيفية الوسوسة:

الوسوسة عبارة عن قذف بالهواجس الرديئة إلى القلب، ونفت سموم الخواطر الباطلة إلى النفس، وترديد ذلك لينبعث الهم بالمعصية، ثم الإرادة ثم الفعل؛ لأن أول كل فعل هو أن يتحدث القلب بذلك الفعل^(٣).

والشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، ويساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله - ﷺ - قال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)^(٤) فهذه هي الوسوسة؛ إذ سماه الله تعالى بالوسواس الذي يوسوس في صدور الناس.

قال ابن كثير: الوسواس الخناس "أي أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس"^(٥)

والوسوسة صفة ملازمة للشيطان في جميع أحواله، وأفعاله، والهدف منها إيقاع المؤمنين في الغواية.

أسباب الوسوسة:

أسباب الوسوسة ترجع إلى عدة أمور:

أولاً - جهل بالشرع.

ثانياً - خبل في العقل.

(1) الكليات (٩٤١).

(2) بدائع الفوائد (٤٧٤/٢).

(3) انظر: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الآلوسي (٤٩٠/٦).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتكاف، باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم الحديث (٢٠٣٨)، ص (٣٦٧).

(5) تفسير القرآن العظيم (٥٣٠/١٤).

ثالثاً- إطلاق العنان للاسترسال مع تلك الهواجس والوساوس، وهذه الأمور مجتمعة أو متفرقة؛ سبب رئيس في نشأة الهواجس والوساوس^(١).

أنواع الوسواس:

ذكر العلماء أن الوسواس نوعان: إنس وجنّ، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ٦)، والوسوسة الإلقاء الخفيّ، لكن الإلقاء الإنسي بواسطة الأذن، والجن لا يحتاج إليها.

ونظير اشتراكهما في الوسوسة، اشتراكهما في الوحي الشيطانيّ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ سَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)^(٢).

تدرج إبليس في الوسواس:

يتدرج الشيطان في وسواسه مع الإنسان في سبيل إغوائه وإضلاله بعدة مراتب، فهو لا يبئس البتة فإن

عجز في مرتبة نقله إلى الأخرى مع استخدامه جميع الوسائل والأساليب المختلفة والمتنوعة.

والشيطان لا يوسوس للإنسان بصورة الشر على أنه شر، ولكنه يصوره على أنه خير يثاب إن فعله؛

ولكن من رحمه الله تعالى بنا أنه كشف وفضح أساليبه، حتى نستطيع أن نقى أنفسنا منه، والشيطان لا يترك المؤمن ما دام على طاعة، بل يحاول أن ينفذ إليه من ناحية أخرى بعد أخرى حتى يوقعه في المعصية؛ ولذلك قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-: على الإنسان أن ينظر فيمن يأمره بالمعصية ويحضه عليها ويزينها له، وهو شيطانه الموكّل به، ويفيده هذا النظر أن يتخذ عدوّاً، وأن يحترز منه، والانتباه لما يريد عدوّه وهو لا يشعر، لأنّ هذا الشيطان يريد أن يظفر به في مرتبة من سبع مراتب بعضها أصعب من بعض، وهو لا ينزل من المرتبة الشاقّة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: مرتبة الكفر.

(1) انظر: (إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان): ابن القيم، ص (١٣٩)، و(تلبيس إبليس): ابن الجوزي ص (١٦٥).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٠/١٢)، و(بحر العلوم): السمرقندي (٦١٢/٣)، و(فتح القدير): الشوكاني (٧٤٤/٥).

وهذه المرتبة يُسَخَّرُ الشيطان كل أساليبه لكي يجعل الإنسان يكفر بالله تعالى وبدينه، وبما أخبرت به رسله عنه، فإن أجابه لما أراد منه بردت نار عداوته واستراح، وإن نجا الإنسان من هذه المرتبة، نقله إلى المرتبة الثانية.

المرتبة الثانية: وهي مرتبة البدعة.

والبدعة أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي؛ لأنها تعد من أوسع أبواب الكفر والشرك بالله - عزَّ وجلَّ-؛ لأنها تعد من مسالك الاعتقاد الباطل؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة الثالثة.

المرتبة الثالثة: وهي مرتبة الكبائر.

فالشيطان لا يمل من الوسوسة التي تؤدي إلى الإغواء؛ فإذا وقع المسلم في كبيرة جره إلى أخرى حتى يغرقه في الكبائر ويصبح من دعائها؛ فإن عجز نقله إلى المرتبة الرابعة.

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة الصغائر.

وهذه الصغائر التي هي دون الكبائر؛ فالشيطان يزينها له ويحسنها في عينه وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: (لا يضرَّ مع التَّوْحِيدِ ذَنْبٌ، كما لا ينفع مع الشَّرْكِ حَسَنَةٌ) فإن عجز الشيطان منه نقله إلى المرتبة الخامسة.

المرتبة الخامسة: الانشغال بالمباحات.

والانشغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب الهدف منه إشغال الإنسان عن التفكير في أهمية الوقت بل تضييعه في غير فائدة؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة السادسة.

المرتبة السادسة: الانشغال بالعمل المفضول عما هو أفضل منه.

وهذا الشيطان لا يمل من إغواء المسلم ففي هذه المرتبة يوسوس للإنسان ويأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له، إذا ضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة السابعة وهي تسليطه حزيه من الجن والإنس في سبيل النيل منه وإيقاعه في المعاصي والذنوب⁽¹⁾، ووساوس الشيطان وخطراته لها أساليب وحيل كثيرة، فتارة تدخل في إيمان المسلم، وتارة في الطهارة، وتارة في الصلاة، وتارة في الغضب، وغير ذلك من عبادات المسلم والهدف منها جميعاً إغواء المؤمن وإفساد دينه، وسيبين الباحث أهم تلك الوسوس والخطرات.

أولاً: الوسوسة في جانب الاعتقاد:

إن الشيطان يقذف على قلب المؤمن ما يعارض إيمانه بالله ورسوله -ﷺ- واليوم الآخر، مما يوقع المسلم في الشك الموصل إلى الكفر، فيبدأ به بالتسلسل في الخلق حتى يصل إلى من خلق الله.

(1) مدارج السالكين (1/222) بتصرف.

وهذا ما أشار إليه -ﷺ- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (جاء ناس من أصحاب النبي -ﷺ- فسألوه: إننا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به. قال: "وقد وجدتموه؟". قالوا: نعم، قال: "ذاك صريح الإيمان")^(١).

قال النووي في معنى (ذلك صريح الإيمان) معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدّة الخوف منه ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده إنّما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك.

وقيل: معناه إن الشيطان إنّما يوسوس لمن أيس من إغوائه، فينكّد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنّه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقّه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد^(٢).

قال شيخ الإسلام: "أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو صريح الإيمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد؛ وإنما صار صريحاً لما كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً"^(٣).

ثانياً: الوسوسة في جانب العبادات.

الوسوسة في جانب العبادات منها ما يقع في النية كالتلفظ بها خوفاً من بطلان العبادة. ومنها ما يتعلق في جانب الطهارة والوضوء، كالإسراف في ماء الوضوء والغسل والشك في نقض الطهارة، وكالوسوسة عند قضاء الحاجة، والوسوسة في انتقاض الوضوء، وفي طهارة الماء وطهارة الأرض والثياب ومكان الصلاة.

ومنها ما يتعلق بالصلاة كإعادة التكبير وكقول الموسوس: أكبر وتكرير بعض الكلمات، كقوله في التحيات: آت آت، وفي السلام أس أس، أو إعادة الصلاة أكثر من مرة؛ خوفاً من أنه لم يقرأ الفاتحة، ويشعره أثناء صلاته أنه أحدث وهو لم يحدث، أو أنه لم يصل الصلاة كاملة، أو أنه لم يأت بركن من أركانها أو غير ذلك من الصور^(٤).

وهدف الشيطان من هذه الوسواس إفساد صلاة المسلم، وإشغاله عن عبادته، وتشكيكه بدينه، وإهداره لوقته بطاعته له وبمعصيته لخالفه.

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة وما يقوله من وجدها، رقم الحديث (١٣٢)، ص (٦٧).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٥٤/٢).

(3) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٨٢/٧).

(4) انظر: ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة: ابن قدامة المقدسي، شرح ابن القيم ص (٣٠).

علاج الوسوسة في الجانب العقائدي والعبادات.

يقول -ﷺ-: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)^(١)، وحتماً فإن الوسوسة داء عضال لمن ابتلي بها؛ لأن الهدف الأسمى للشيطان من خلال هذه الوسواس، تشكيك المسلم في دينه، حتى يخرج من عقيدة الإسلام.

وسيبيّن الباحث طرق العلاج الناجح لكل من ابتلى بهذه الوسواس.

أولاً- المداومة على ذكر الله:

لقله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨). والشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله تعالى، والعبد الذي يحافظ على ذكر الله يحفظ نفسه من وسواس الشيطان، كما جاء في الحديث: (كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى)^(٢). يقول ابن القيم- رحمه الله-: " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجاً بذكره فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انْحَسَّ عدو الله تعالى، وتضاغر وانقمع"^(٣)، فعن النبي -ﷺ- قال: (إن الشيطان إذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس)^(٤)

فحين يتخلى الإنسان عن ذكر الله يسلم الله عليه الشيطان، وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم وترك الاسترسال في التفكير.

لقله -تعالى-: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٧٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨).

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء...، رقم الحديث (٥٦٧٨)، ص (١٠٥٩).

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الأدب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم الحديث (٢٨٦٣)، ص (٦٤٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٧٢٤)، ص (٣٥٦/١).

(3) الوايل الصيِّب (٥٦/١).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: يفكر الرجل الشيء في الصلاة، رقم الحديث (١٢٢١) ص (٢٢٧)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: فضل الآذان، رقم الحديث (٣٨٩)، ص (١٥١).

وفي هذه الآية أمرٌ للنبي -ﷺ-، وأمنته بأن يعتصموا بالله من وساوس الشياطين، وخنقهم، ومسهم، ويستعذبوا منها من أن تحضرهم في أي أمرٍ من أمورهم الدنيوية^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦). ونزع الشيطان: وساوسه وخطراته التي يلقيها في قلب المؤمن بقصد التهيج وخاصة عند الغضب، فأمر سبحانه المؤمنين عند تعرضهم لنزغات الشيطان بالاستعاذة^(٢)، والاستعاذة: هي طلب الإستجاره من الله تعالى دون غيره من سائر خلقه من الشيطان الرجيم^(٣).

ولقوله -ﷺ-: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ريك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)^(٤). وفي رواية أخرى: (فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله)^(٥). قال ابن حجر - رحمه الله -: (فليستعذ بالله ولينته) أي: "عن الاسترسال في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها"^(٦).

وقد أرشدنا الرسول -ﷺ- إلى العلاج الناجع الذي يقضى على هذا الوسواس الخطير، فقال -ﷺ-: (يوشك الناس يتساءلون بينهم، حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله عز وجل؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتقل أحدكم عن يساره ثلاثاً، وليستعذ من الشيطان)^(٧).

لأن إطلاق العنان للاسترسال بهذه الوسواس توصل المسلم إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. أما إن قطع المسلم الطريق على الشيطان بالاستعاذة والتوجه إلى الله فإنه سينجو من تلك الوسواس.

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٢/٤٤٨).

(2) انظر: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الألوسي (٦/٤٩٠).

(3) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٧/٣٤٧).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث (٣٢٧٦)، ص (٦٠٠).

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان...، رقم الحديث (١٣٤)، ص (٦٧).

(6) فتح الباري (٦/٣٤٠).

(7) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، رقم الحديث (٤٠٩٨) ص (٣٣١/١٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٣٥٩).

وفي وسواس الصلاة كذلك، أن عثمان بن أبي العاص أتى إلى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي: يَلْبَسُهُا عَلَيَّ، فقال رسول الله -ﷺ-: (ذاك شيطانٌ يقال له: خنزبٌ. فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، وانتقل على يسارك ثلاثاً)، قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني^(١).

٣- ثقة المسلم بربه ويقينه بضعف كيد الشيطان.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦).

قال السعدي: " فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإن كيده غاية الضعف"^(٢)، "لأن الشيطان عندما يكيد سيكون كيده في مقابل كيد ربه، فلا بد أن يكون كيده ضعيفاً جداً بالقياس لكيد الله"^(٣). فعندما يثق المسلم بربه وبضعف كيد الشيطان؛ فإنه يستطيع أن يسيطر على تلك الوسواس بل ويقهره.

فالمسلم حين يتابع أفعال النبي -ﷺ-؛ فإنه يقطع الطريق على الشيطان في بثه لتلك الوسواس؛ لأن الموسوس عندما يتعلم كيف كان النبي -ﷺ- يتطهر وكيف يتوضأ وكيف يصلي، توقف فوراً عن تلك الوسواس، لأن السبب الحقيقي لتلك الوسواس هو قله العلم والجهل بالدين، فبالتالي يلعب الشيطان بالموسوس كالكرة.

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: السلام، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، رقم الحديث (٢٢٠٣)، ص (٨٦٩).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١٨٧).

(3) تفسير الشعراوي: للشيوخ الشعراوي (١٦٦٣).

المطلب الثاني: النزغ.

والنزغ يُعدّ الأسلوب الثاني للشيطان مع المؤمنين

تعريف النزغ لغة واصطلاحاً:

أولاً- النزغ في اللغة: (النزغ): الإغراء، نزغ: أي أغرى وأفسد، وحمل بعضهم على بعض، والنزغ: الكلام الذي يغري بين الناس، ونزغ الشيطان بينهم يَنْزِعُ وَيَنْزِعُ نَزْغًا: أي أفسد ويفسد فساداً^(١).
ثانياً- النزغ اصطلاحاً: (النزغ): عبارة عن وساوس وخطرات يلقيها الشيطان في قلب المؤمن بقصد التهيج وإثارة النفس^(٢).

بداية نزغ الشيطان للإنسان:

تبدأ مرحلة نزغ الشيطان مع ابن آدم من حين ولادته إلى حين انتهاء أجله، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه) ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦)^(٣)، وفي رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: (صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان)^(٤).

آيات النزغ في القرآن الكريم:

وردت لفظة النزغ في القرآن الكريم في أربعة مواضع جميعها مرتبطة بالشيطان، وأولها في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠). وجاءت نظيرة هذه الآية في فصلت قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦).

وارتبط معنى النزغ عند المفسرين بالمعنى اللغوي، حيث المعنى اللغوي يفيد أن النزغ بمعنى التحريك والإغراء والتهيج المعروف بالغضب.

(1) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٣٣٢/٥)، و(لسان العرب): ابن منظور (٤٥٤/٨).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٠٤/٧).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: تفسير القرآن، باب: وإني أعيذها بك من الشيطان الرجيم، رقم الحديث (٤٥٤٨)، ص(٨٢٠).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٦٧)، ص (٩٢٤).

قال الطبري: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: "وإما يغضبناك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم (فاستعذ بالله)^(١)."

والدليل على أن المعنى المفهوم من الآيتين السابقتين هو الغضب، ما وضحته سياق آية فصلت حيث جاء السياق يتحدث عن دفع العداوة ومقدماتها بالصفح والصبر وبيان ثماره في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٣ - ٣٤).

والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى تحمي المؤمنين من الشيطان ونزغاته وكيدته، فأرشدنا سبحانه إلى الإستعاذه بالله السميع العليم^(٢).

معنى الاستعاذة:

قال الطبري: والاستعاذة: الاستجارة، ومعنى ﴿...فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: أستجير بالله - دون غيره من سائر خلقه - من الشيطان أن يضرنني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي^(٣).

لذا قالت امرأة عمران: ﴿...وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (ال عمران: ٣٦) فأرادت أن تحمي ابنتها من نزغ الشيطان؛ لأنها عرفت أن المعاصي كلها تأتي من نزغ الشيطان، والمستعاذ هو الله.. والمستعاذ منه هو الشيطان، وحينما يدخل الشيطان مع خلق الله في تزيين المعاصي، فهو يدخل مع المخلوق في عراك، ولكن الشيطان لا يستطيع أن يواجه رب المخلوق، ولذلك إذا سمع ذكر الله فإنه يخنس ويتراجع، بل ترتعد فرائصه عند الاستعاذة^(٤).

وجاءت سورتا يوسف والإسراء لتبيننا لنا كيف يُحدثُ نزغ الشيطان الفساد والقطيعة بين الإخوة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ١٠٠) أي: أفسد بيننا الشيطان بوسوسته، التي أصلها من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري،

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٣٢/١٣).

(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٣٥٣/١٢).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (١١١/١).

(4) انظر: (تفسير الشعراوي): الشعراوي (٩٤٢/١).

وهذا النَّحْسُ^(١) رده يوسف عليه السلام إلى الجميع، وبهذا النزغ أفلح الشيطان في إيغار وتهيج العداوة بين أبناء النبوة^(٢).

وفي الإسراء يقول تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣).

قال الإمام ابن كثير: "يأمر الله - تبارك وتعالى - عبده ورسوله - ﷺ - أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم؛ وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإنه عدو لآدم وذريته، وعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديده؛ فإن الشيطان ينزغ في يده أي ربما أصابه بها"^(٣)، حيث يقول - ﷺ -: (لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار)^(٤).

الفرق بين النزغ والوسوسة:

فرَّق العلماء بين النزغ والوسوسة فقالوا إن النزغ عبارة عن الإغواء بالوسوسة وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل أن أصله للإزعاج بالحركة إلى الشر، ويقال هذه نزعة من الشيطان للخصلة الداعية إلى الشر.

أما أصل الوسوسة، فهو الصوت الخفي، ومنه يقال لصوت الحلي وسواس، وكل صوت لا يفهم تفصيله لخفائه وسوسة وسواس، وكذلك ما وقع في النفس خفياً، وسمى الله تعالى الموسوس وسواساً بالمصدر في قوله تعالى " ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (الناس: ٤)^(٥).

(1) النَّحْسُ: نَحْسُكَ البعيرَ وغيره بالعصا نخسته أَنْحَسَهُ نَحْسًا، ويقال: نَحَسَ بنو فلان بفلان، إذا طردوه ونخسوا بغيره (جمهرة اللغة): ابن دريد (٣١٦/١).

(2) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٤٧٧/٢)، و(نظم الدرر): البقاعي (٩٩/٤).

(3) تفسير القرآن العظيم (١٧/٩).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الفتن، باب: قول - ﷺ - (من حمل علينا السلاح فليس منا)، رقم الحديث (٧٠٧٢)، ص (١٢٨٣).

(5) انظر: (معجم الفروق اللغوية): العسكري (٣٦٧/١).

المطلب الثالث: الاستزلال:

مفهوم الاستزلال لغة واصطلاحًا:

أولاً- الاستزلال لغة: أصل الزلل الخروج عن الطريق المستقيم، يقال زلَّ فلان يزل زللاً وزلولاً، إذا دحضت قدمه ولم تصب موضعها الصحيح^(١).

ثانياً- الاستزلال اصطلاحاً: هو " استرسال الرجل بغير قصد، سواء منه أو من غيره، ومنه قيل للذنب بغير قصد زلة تشبهاً بزلّة الرجل، وقال أبو البقاء الزلل الخطأ والعدول عن سنن الصواب من قولك زلت قدمه أي زلقت^(٢).

آيات الاستزلال في القرآن الكريم:

إن الشيطان حريص على إبعاد المؤمن عن دينه بثتى الطرق والأساليب، ومنها الاستزلال، فهو يحرص على أن يزلّه ويبعده عن المكانة التي هو فيها، ويعظم هذه الزلة، ولهذا جاء الاستزلال في القرآن الكريم منسوباً إلى الشيطان في موضعين كلاهما للمؤمنين.

الأول جاء في معرض الحديث عن كيفية نزول آدم من الجنة، قال الله -تعالى-: ﴿ فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا ﴾ (البقرة: ٣٦).

قوله- تعالى-: ﴿ فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ بتشديد اللام، وفي قراءة: ﴿ فَازَالَهُمَا ﴾ والفرق بينهما أن :

﴿ فَازْلَهُمَا ﴾ بمعنى استزلهما، أي: أوقعهما في الزلل، من قولك زلَّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه، وأزلّه غيره: إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه.

أما ﴿ فَازَالَهُمَا ﴾ بمعنى إزالة الشيء عن الشيء، فعلى القراءة الأولى يكون الشيطان أوقعهما في الزلل، فزالا عنها، وأخرجا منها، وعلى الثانية يكون الشيطان سبباً في تحييتهما.

وقد رجح بعض العلماء قراءة ﴿ فَازْلَهُمَا ﴾ ومنهم الإمام الطبري ودليله أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في الحرف الذي يتلوه، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه فلا وجه، إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج، أن يقال: "فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه" فيكون كقوله: "فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه"، ولكن المفهوم أن يقال: فاستزلهما إبليس عن طاعة الله، كما قال سبحانه وتعالى: "فأزالهما الشيطان" فأخرجهما باستزاله إياهما من الجنة^(٣).

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٣٠٦/١١).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (٣٨٨).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٢٤/١).

وهذا ما رجحه الإمام القرطبي بقوله أن كلاً من القراءتين صحيحة، وذلك؛ لأن الشيطان ليس له القدرة على إزالة أحد من مكانه إلى مكان آخر، ولكن قدرته في الاستزلال والوسوسة والوقوع في الزلل^(١).

والثاني جاء في الآية الكريمة التي تتحدث عن الذين لم يثبتوا مع النبي -ﷺ- يوم أحد؛ لتبين السبب الرئيس في ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٥٥).

وهذا التولي الذي وقع فيه من ذكرهم الله تعالى في هذه الآية، يتناول الرماة الذين تركوا أماكنهم التي أمرهم الرسول -ﷺ- بالبقاء والتمترس فيها لحماية ظهور المسلمين، كما يتناول الذين لم يثبتوا مع النبي عندما اضطربت الصفوف، ومعنى ﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب لهم الزلل والخطيئة، ودعاهم إليها بمكر منه وكان ذلك، أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر رسول الله -ﷺ- لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم، فكانت مخالفتهم لرسولهم وقائدهم طاعة للشيطان، فحرمهم الله تأييده وتقوية قلوبهم، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بسبب بعض ما اكتسبوه من ذنوب؛ لأن نفوسهم لم تتجه بكليتها إلى الله فترتب على ذلك أن منعوا النصر والتأييد وقوة القلب والثبات، ثم أخبر المولى -عز وجل- أنه قد عفا عن هؤلاء الزالين، وذلك بمنحهم فرصة التوبة الصادقة المخلصة لله رب العالمين، كيلا يقعوا في الخطأ المماثل إلى الأبد فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

المطلب الرابع: الإضلال:

مفهوم الإضلال لغة واصطلاحاً:

أولاً- الإضلال لغة: مصدر قولهم: ضلّ يضلّ، وهو مأخوذ من مادة (ض ل ل) التي تدلّ على ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، وكلّ جائر عن القصد ضالّ، ورجل ضلّيل ومضللّ، إذا كان صاحب ضلال وباطل^(٣).

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣١١/١).

(2) انظر: (تفسير البحر المحيط): أبو حيان (٤٣٢/٣) و(التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٣٠٨/٢).

(3) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٣٥٦/٣).

ثانيًا - الإضلال اصطلاحًا: قال الراغب: هو "العدول عن الطريق المستقيم، وبضادّه الهداية"^(١)، وقال المناوي: "سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب"^(٢).

إضلال الشيطان للإنسان:

لقد تحدثت نصوص القرآن عن إضلال الشيطان للإنسان في أكثر من موضع، وسوف يستعرض الباحث بعض هذه المواضع، والتي منها، قوله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزْلَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠).

ففي هذه الآية الكريمة يعجب سبحانه وتعالى من حالة المنافقين ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ -ﷺ- وبما قبله، ومع هذا الإيمان فهم يحتكمون إلى غير شرع الله تعالى وقد سماه الله بالطاغوت، والحال أنهم أمروا أن يكفروا به.

فهذا تناقض عجيب، أن يجتمع الإيمان مع الكفر؛ لأن من مقتضيات الإيمان الانقياد لشرع الله تعالى؛ فمن ادعى أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فقد أضله الشيطان وأغواه لأن الشيطان لا يضل الإنسان حتى يصور له الباطل في أحسن صورة، ويزين له الانحراف عن المنهج القويم^(٣)، وهذا شأن أهل النفاق، شأنهم الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فيه امتداد للتعجب؛ لأن اتباعهم لمن يريد إضلالهم، وإعراضهم عن يربد هدايتهم أمر يدعو إلى العجب الشديد.

والمراد بالضلال البعيد: الكفر والبعد عن الحق والهدى، ووصفه بالبعد للمبالغة في شدة ضلالهم^(٤).

ومن المواضع التي تحدثت عن إضلال الشيطان للإنسان، قوله -تعالى-: ﴿كَيْبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٤).

لقد أبان الله تعالى في هذه الآية الكريمة مصير الذي يتبع الشيطان، وقد قضى الله على من اتبع الشيطان، وجعله وليًا نصرًا له: أن يوقعه في الضلال ويهديه إلى النار وبئس المصير، واتباع الشيطان يؤدي إلى الضلال في الدنيا والآخرة، وهذا وعيد واضح لمن اتبع الشيطان وانساق خلف

(1) مفردات ألفاظ القرآن (٢٩٩).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٧٤/١).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١٩٤/٣).

(4) انظر: (التحرير والتنوير) (٤٥٨/٣).

وساوسه وأباطيله^(١)، والضلال والهدى ضدان، لكن المراد بالضلال هنا: أن يضلّه عن طريق الحق والخير، والمراد بالهداية هنا، أي بهدأيته نحو الشر؛ لأن الدلالة هنا مطلقة، فإن دلت على خير فهي هداية، وإن دلت على شر فهي أيضاً هداية ولكن مع تهكم وسخرية كما في قوله تعالى: ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (الصافات: ٢٢) أي: دلوهم وخذوا بأيديهم إلى جهنم^(٢).

المطلب الخامس: التسويل:

تعريف التسويل لغة واصطلاحاً:

أولاً- التسويل لغة: من سَوَّلَ: السين والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء، يقال: سَوَّلَ يُسَوِّلُ سَوِّلاً، وقولهم سَوَّلْتُ لَهُ الشَّيْءَ، إذا زينت له، فيمكن أن تكون أعطيته سؤاله، على أن تكون الهمزة مُلَيَّنَةً من السَّوَّلِ^(٣).

قال الجوهري: "وسولت نفسه أمراً، أي زينته"^(٤).

ثانياً- التسويل اصطلاحاً: قال الراغب: "التسويل: تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ (يوسف: ٨٣)، وقوله تعالى: ﴿...الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥)".^(٥)

والتسويل، والتزيين كلمتان تجتمعان على معنى واحد بحسب اللغة وهو تحسين وتسهيل المعصية لفاعليها.

تسويل الشيطان في السياق القرآني:

لقد ورد التسويل مقترناً بالشيطان مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥).
المعنى: يبين الله جل وعلا أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى؛ أنهم قوم كفروا بعد إيمانهم، واختلف العلماء في الذين ارتدوا على أدبارهم أم اليهود أم المنافقون.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٦٦/١٨).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ محمد متولي الشعراوي (٥٩٧٤).

(3) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٩٠/٣).

(4) الصحاح في اللغة (٣٤١/١).

(5) مفردات ألفاظ القرآن (٥١٥/١).

قال بعض العلماء: إنهم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد -ﷺ-، فلما بعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به، واستدل العلماء على قولهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ٨٩)؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ مبين قوله: ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى﴾، وقوله: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ مُبَيِّنٌ معنى قوله تعالى: ﴿ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾.

وعلى هذا القول فإن ارتدادهم على أدبارهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وتيقنوه، والهدى الذي تبين لهم هو صحة نبوته -ﷺ- ومعرفته بالعلامات الموجودة في كتبهم^(١).

وقال بعض العلماء: إنهم المنافقون، وسبب ارتدادهم من بعد ما تبين لهم الهدى، هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيراً إلى علة ذلك ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم الكفر والارتداد عن الدين، ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر، واستدل من قال إنهم المنافقون بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعَارُفُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٦)، والمنافقون هم الذين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الأمر والراجح أنه في الدسائس والكيد للنيل من محمد -ﷺ- ودعوته^(٢).

وسيستعرض الباحث بعض أقوال المفسرين في معنى التسويل في آيات القرآن.

ذكر الطبري: معنى قوله تعالى: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: "زَيَّنَ لهم ارتدادهم على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى"^(٣).

وقال الزمخشري: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: "سهل لهم ركوب العظام من السول وهو الاسترخاء"^(٤).

وقال الشوكاني: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: "زَيَّنَ لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع فيها"^(٥).

والى هذه المعاني يميل أغلب المفسرين^(٦)؛ لأن

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٣٧٩/٧).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٥١/٦).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (١٨١/٢٢).

(4) الكشاف (٣٣٢/٦).

(5) فتح القدير (٤٨٢/٦).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٤/١٥)، و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢١٢/١٦)، و (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (١٩٠/٥).

أقوال العلماء في معنى تسويل الشيطان على معنى موحد وهو التزيين والتسهيل، وهذا التزيين من قبل الشيطان لم يأت إلا عندما مهّد الذين ارتدوا على أديارهم لهذا التزيين من عند أنفسهم، فيؤم أن استحبووا العمى على الهدى، سهل لهم الشيطان الوقوع في الكفر والمعاصي وحسنّها في أعينهم هل التسويل من الشيطان أم من النفس:

لقد ورد التسويل مرتبطاً بالشيطان مرة واحدة في كتاب الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥).
ففي الآية السابقة أضاف الحق سبحانه وتعالى الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره.

وورد ثلاث مرات مرتبطاً بالنفس في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).
وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه: ٩٦).

من هنا يتبين للباحث أن التسويل من النفس ومن الشيطان، فكلاهما يزين المعصية ويصورها بصورة الحسن، فالنفس الأمانة بالسوء تشارك الشيطان في التسويل لبني آدم كما في قوله - تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣).

المطلب السادس: الإملاء:

تعريف الإملاء لغة واصطلاحاً:

أولاً- الإملاء لغة: من ملا، والملا والملي كلّه مده العيش، والإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر وتملي إخوانه متّع بهم^(١).

ثانياً- الإملاء اصطلاحاً: قال الراغب: "الإملاء الإمداد، ومنه قيل للمدة الطويلة ملاوة من الدهر، وملوه من الدهر"^(٢).

ومعنى إملاء الشيطان في قوله -تعالى-: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥).

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٢٩٠/١٥).

(2) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٣٨٧/٢).

أصل الإملاء: الإمهال والمد في الأجل، ومنه قوله - تعالى - ﴿ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٣)، وقوله - تعالى - ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِفْسًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

معنى إملاء الشيطان لهم: أي وعده إياهم بطول الأعمار والمد لهم في الآمال والأمان مع الغرر بهم^(١)، ومعنى المدّ فيها: توسيعها، وجعلها ممدودة في نفسها، أو بزمانها، بأن يوسوس لهم بأنكم تتالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له، حتى يُعَوِّقَهُمْ عن العمل^(٢).

وقد استُئِدِلَ على هذا من قول الله تعالى: ﴿ يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (النساء: ١٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤).

واختلف العلماء في ضمير الفاعل في قوله: ﴿ وَأَمَلِي لَهُمْ ﴾، فعلى قراءة الجمهور راجع إلى الله تعالى، ويكون المعنى في قوله: ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥)، أي أن الشيطان سهل لهم الكفر والمعاصي، وزينها في قلوبهم، والله - عز وجل - هو الذي أمهلهم إمهال المستدرج لهم، وهذا القول تشهد له العديد من آيات القرآن الكريم، كقوله في تزيين الشيطان لهم: ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ (الأنفال: ٤٨)، ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، وغيرها من الآيات.

وكقوله تعالى في إملاء الله لهم استدراجًا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِفْسًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقوله: ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُطِغُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴾ (المؤمنون: ٥٥). وجميع هذه الآيات تبين أن الفاعل في الإمداد والإمهال والاستدراج هو الله وليس الشيطان^(٣).

والإشارة في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٦)، ترجع إلى قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾، وهذا يعني

(1) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٣٢٩/٤)، و (مفاتيح الغيب): الرازي (٥٨/٢٨)، و (الجامع لأحكام القرآن):

القرطبي (٢٤٩/١٦)، و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٤/١٥).

(2) روح المعاني: الألوسي (١٥٥/١٩).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٥٨٦/٧).

أن التسويل والإملاء المفضي إلى الكفر بسبب أنهم: ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾^(١).

واختلفت القراءة في قراءة (وأملى لهم)، فقرأ عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وأملّى لَهُمْ) بفتح الألف منها، وهي بمعنى: وأملى الله لهم.

وقرأ بعض أهل المدينة والبصرة (وأملّي لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام بعدها ياء مفتوحة، على وجه مالم يسمّ فاعله.

وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه (وأملّي) بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم^(٢).

وقد رجح الإمام الطبري القراءة التي عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة من فتح الألف، وهذا الذي عليه أغلب المفسرين^(٣).

وهناك فرق واضح بين الإملاء والاستدراج، حيث إن الإملاء: هو الإمهال والتأخير وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٣)، غير أن الاستدراج: هو تجديد للعبد العاصي بالنعمة التي لا تحصي رغم ما يصدر عنه من الخطايا والذنوب، مع إنسائه الاستغفار والتوبة إلى أن يأخذه الله قليلاً قليلاً ولا يباغته، وعلى هذا فهناك عموم وخصوص بينهما، إذ كل استدراج إملاء، وليس كل إملاء استدراج^(٤).

المطلب السابع: الإيقاع بين المؤمنين:

إن الشيطان حريص كل الحرص على تمزيق المؤمنين، وذلك بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وهذا من أساليبه التي يسعى لتحقيقها لإغواء المؤمنين، لأن هدف الشيطان الأسمى هو إيقاع المسلم في الغواية التي تؤدي إلى السعير، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْهُدٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦).

والإيقاع بين المؤمنين مطلب شيطاني كبير، إذ به تتفكك الأسر والجماعات والمجتمعات والدول؛ لذا جاء التحذير الرباني للمؤمنين من التعاطي مع هذا الأسلوب من أساليب الشيطان، لأن من

(1) انظر: (المصدر السابق): (٥٨٧/٧).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٨١/٢٢).

(3) انظر: (المرجع السابق)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (٥٨/٢٨).

(4) انظر: (معجم الفروق اللغوية): العسكري (٤٩/١).

أعظم مقاصد الشيطان الخبيث، وأشد حيله: أن يوقع البغضاء والعداوة بين المسلمين، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩١)

وهذه الآية تبين السببين الرئيسيين لوقوع العداوة والكرهية والأحقاد بين الناس وهما:

أولاً- الخمر: وهو كل ما خامر العقل وغالبه أو غطاه أو أثر فيه أو ستره من مأكول ومشروب أو عن طريق الشم أو الإبر، وذلك أن العقل إذا تخمر وانغلق صار صاحبه كالمجنون^(١)، وقد ورد عن عمر رضي الله عنه قال: "والخمر ما خامر العقل"^(٢).

وسبب نزول هذه الآية يبين خطورة الخمر وإيقاع الشيطان بين المؤمنين، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى ثملوا، عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رعوفاً رحيماً ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ... إِلَى قَوْلِهِ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(٣).

ثانياً- الميسر: هو "جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها"^(٤)، والميسر: عبارة عن أخذ أموال الناس بالباطل؛ لأنه يؤدي إلى ربح بلا عمل ولا تجارة، وخسارة الطرف الآخر يوجب في النفس نار العداوة والبغضاء، والشيطان لا يريد للناس من تعاطيهم الخمر والميسر إلا الإيقاع في العداوة بأن يعادي بعضهم بعضاً بسبب الشراب، والبغضاء بأن يزرع الكراهية والحقد والنفرة من بعضهم البعض، فيتحقق حينئذ هدف الشيطان من التفريق والتشتيت بعد التأليف بالإيمان والجمع بأخوة الإسلام^(٥).

(1) انظر: (مفردات ألفاظ القرآن): للراغب الأصفهاني (٣٢٥)، و(الكليات): أبو البقاء الكفوي (٤١٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأشربة، باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من شراب، عن عمر رضي الله عنه قال: "والخمر ما خامر العقل" حديث رقم (٥٥٨٨)، ص (١٠٤٤).

(3) انظر: (أسباب النزول): الواحدي (١٣٨)، و(جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٧٢/١٠) و(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٤٣).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٤٣).

(5) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (٤٠/٧).

وقد حذرنا النبي -ﷺ- من منهج الشيطان الذي ينس من عبادة المصلين له فأراد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي -ﷺ- يقول: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أُيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)^(١).

أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن، ويشغل بعضهم ببعض، والشيطان يتخذ سوء الظن والغضب طريقاً نحو التحريش بين المؤمنين، لحديث النبي -ﷺ- الذي رواه سليمان بن صرد^(٢) -ﷺ- يقول سليمان: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ -ﷺ-؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ)^(٣).

فحديث النبي -ﷺ- بين أن المشاحنات التي تحدث بين المسلمين؛ سببها الشيطان وكم من أحداث وقعت في مجتمعنا أدت إلى سفك دماء، وتفريق بين الأشقاء، وإضفاء العداوة والبغضاء وكل ذلك وراءه الشيطان، فحري بالمسلم أن يلجأ إلى الله وأن يستعيد بالله من الشيطان ومن مكايده. إن العداوة والبغضاء التي تقع بين الناس؛ إنما هي بسبب ما يلقيه الشيطان في قلوبهم، فالشيطان لا يفتأ عن التحريش بين الناس، وأن يوقعهم في مخالفة شرع الله لاسيما في هذه النقطة التي تمثل بالنسبة له غرضاً رئيساً، والتي يسلك من أجلها مسالك عديدة، ومن ذلك ما ذكره الله -تعالى- في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَمْرِ ﴾ (المائدة: ٩١).

وقد ذكر النبي -ﷺ- أن الشيطان لا يقبل من جنوده عملاً غير التفريق، وتقطيع الأوصال سواء بين الأزواج أو بين الأشقاء أو بين الأرحام أو حتى بين المجتمع الواحد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ-: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْرَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، رقم الحديث (٢٨١٢)، ص (١٠٨٣).

(2) هو الصحابي: سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدِ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ، وَهُوَ أَحْيٍ، الْخَزَاعِيُّ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسَارًا فَسَمَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- سُلَيْمَانَ، يَكْنَى أبا الْمُطَرِّفِ، وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا، سَكَنَ الْكُوفَةَ أَوَّلَ مَا نَزَلَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ مِمَّنْ طَلَبَ دَمَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ قَتَلَهُ، فَقَتَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ عَيْنِ الْوَرْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عَمْرُهُ حِينَ قَتَلَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً. ((انظر: (أسد الغابة): ابن الأثير (٥٢٢/٢)).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم الحديث (٦١١٥)، ص (١١٢٢).

شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ! قَالَ: فَيُدْنِيهِ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ^(١).

فحريّ بالمسلمين أن يحذروا من تحريش الشيطان وإلقائه العداوة بينهم على جميع طبقاتهم؛ لأن الشيطان يفرح بتفرقهم وتشتت شملهم، وخاصة المسلمين على هذه الأرض المباركة فلسطين، وقد نهى الإسلام عن كل الأسباب التي تسهل للشيطان مهمته في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، كالسخرية من الآخرين، وسوء الظن بهم، والتنازع بالألقاب، والغيبة والنميمة، والحسد، والتقليل من شأن الآخرين، وغيرها من الأسباب التي تمثل الجسر الذي يعبر عليه الشيطان ليقوع الناس في الغواية.

المطلب الثامن: التخويف.

لقد ذكر القرآن الكريم طرق الشيطان التي يسعى من خلالها لتخويف المؤمنين وهما طريقان:

أولاً- التخويف من أولياء الشيطان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، اختلف المفسرون في معنى التخويف في هذه الآية الكريمة على قولين اثنين:

أحدهما: أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

والثاني: أنه يخوف أوليائه، وأتباعه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، فيخافون منه، وهذا قول الحسن، والسدي^(٢).

وقد بين ابن تيمية أن المعنيين صحيحان^(٣)، ولكن المعنى الأول هو الأرجح، ذلك أن قوله تعالى:

﴿ يَخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ ﴾ حذف فيه المفعول الأول لفعل (يخوِّف) بقرينة قوله تعالى بعده: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُونَ ۗ ﴾، وتقديره يخوِّفكم أوليائه؛ لأن فعل (خَوِّف) يتعدى إلى مفعولين إذ هو مضاعف خاف

المجرّد، وخاف يتعدى إلى مفعول واحد فصار بالتضعيف متعدياً إلى مفعولين من باب كَسَا، على

غرار قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، ويعاضد هذا ويقويه قراءة ابن عباس

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: ضفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان، رقم الحديث (٢٨١٣)، ص (١٠٨٣).

(2) انظر: (النكت والعيون): الماوردي (١/٢٦٤).

(3) انظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام): ابن تيمية (١٤/٢٠٤).

وابن مسعود: يخوفكم أوليائه، وضمير ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعود إلى أوليائه، بالإضافة إلى أن سبب نزول الآية بسبب تخويف المؤمنين من الكفار كما أشار سبحانه وتعالى في الآية التي تسبقها:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فهذه الآيات إنما نزلت فيمن خوف المؤمنين من الناس، وقد قال تعالى:

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ قال قتادة: أي يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾^(١)، وهذا الذي يميل إليه الباحث.

فتخويف الشيطان للمؤمنين نجد آثاره في واقعنا المعاصر، فكثير من المؤمنين لا يقومون بما أمر الله به من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عن الجهاد ومقارعة الأعداء وما ذلك إلا لتعظيم الشيطان أعداء الله في نفوسهم، فنجدهم يتقاعسون ويحجمون في كثير من الأحيان عن سبل الخير، وخاصة فيما يتعلق بجهاد اليهود الذين يغتصبون أرضنا المباركة، فنجد الشيطان ينفس الباطل ويصوره على أنه لا يهزم أبدًا، ولا يغلبه غالب، وأنه لا قبل لكم بهؤلاء الأعداء فهم كثيرو العتاد والعدة ولا قبل لكم بمواجهتهم، فلا يزال الشيطان يهون شأن الأعداء في نفوسهم، ويوهمهم أنهم ذوو بأس وذوو شدة وما سيلاقونه هؤلاء الناس إن استجابوا لله ولرسوله، حتى يقعدوا ويثبطوا عن ممارسة الدعوة، والقيام بالواجب.

ولكن الله تعالى يكشف ويُجَلِّي الشيطان للمؤمنين على حقيقته الماكرة، والخادعة، ويعرّف المؤمنين على حقيقة مكره ووسوسته، ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم، فالشيطان وأوليائه أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى قوة الله الواحد القهار؛ لأن القوة الوحيدة التي تُخشى وتُخاف، هي القوة التي تملك النفع والضرر، وهي قوة الله التي لا تقف أمامها قوة، لا قوة الشيطان ولا قوة أوليائه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)^(٢)، والمؤمن إذا عرف أسلوب الشيطان في تخويفه للمؤمنين وتعظيم قوة الأعداء، فإنه سيمضي، وسيكتشف وهن وجبن الأعداء أمام من يستند ويعتمد على قوة الله تعالى، قال الله - عز وجل - : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبِّكَ مِنْ دُونِهِ..... قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٦ - ٣٨)، قال ابن القيم: "فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم"^(٣).

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٨١/٣)، و(تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (١٢٨٣).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢/٢).

(3) إغاثة اللهفان: (١١٠).

ثانياً - التخويف من الفقر:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

التخويف من الفقر من أساليب الشيطان التي يسعى من خلالها لترهيب الناس لكي يتركوا ما أمروا به ويترددوا عن القيام به، فبتخويف الشيطان منعوا الزكاة، وتعاملوا بالربا، واقترفوا جميع أنواع المحرمات، وبالخوف يدفعهم إلى وأد بناتهم كما في أيام الجاهلية، إذ خوفهم من العار والفضيحة التي ربما تصدر من البنت إن هي كبرت وانحرفت، ولهذا فإن هذا الأسلوب من أخطر أساليب الشيطان؛ لأنه يدخل من خلاله على نفوس الناس فيفسدها.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾، ووعد الشيطان هنا تخويفه للمؤمنين من الإفقار، وضياح الأموال إن هم أنفقوا، وتصدقوا في سبيل الله تعالى، ولذلك يحذر الله تعالى المؤمنين من وسوسة الشيطان التي تأمرهم بالمعاصي، والآثام، وتخريهم بارتكابها والتي من أقبحها البخل الشديد والشح المهلك، فعلى المسلم أن يقاوم غريزة البخل، والشح لديه، وألا يخشى فقراً بصدقة مالية يتصدق بها، لأن الله تعالى يعوض المنفق خيراً، ويزيده من خيره وفضله، ويعاقب الممسك تلعفاً^(١)، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً^(٢)، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلعفاً"^(٣).

وفي الآية لطيفة جميلة يشير إليها الإمام الخازن: وهي "أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل وذلك لأن البخل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)^(٤).

(1) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٧٤٤)، و(التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٦١٨/١).

(2) خلفاً: الخلف: الخليفة بمنزله مالٍ يذهب فيخلفُ الله خلفاً، ووالدٌ يموتُ فيكون ابنه خلفاً له، أي خليفة فيقوم مقامه، وأخلف الله عليك: عوضك مما ذهب منك خلفاً، (انظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٢٣/١)).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الزكاة، باب: فأما من أعطى واتقى، رقم الحديث (١٤٤٢)، ص (٢٦٧).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠١/١).

قال ابن عطية: " والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير، وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقدر بالخير وبالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر" (١).

من خلال وعد الشيطان للمؤمنين في الآية الكريمة، يتبين لكل ذي لب أن الشيطان لا ينصح أحداً بخير ولا يدلّه على ما فيه صلاحه وخيره، وإنما يدلّ الناس على هلاكهم ويدفعهم لما فيه أذاهم دفعا، وإن بدا في بعض أساليبه ناصحاً أميناً، يريد الخير للإنسان كما حدث مع سيدنا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَسْمَهُمَا إِبْنِي لَكَمَا لِمَنِ الْتَصْوِيعَاتِ﴾ (الأعراف: ٢١)، فهو ينصح المؤمنين بعدم الإنفاق، ويحذرهم الفقر إن هم أنفقوا، كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فهو بذلك يحرمهم من الأجر العظيم، ويدفعهم إلى الجحيم دفعا بمنعهم الزكاة التي من أركان الإسلام، ويغفلهم عن كون الصدقة والإنفاق لا تنقص من أموالهم شيئاً، كما بيّن سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وكما أخبر النبي -ﷺ-: (ما نقصت صدقه من مال.....) (٢).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

ووعده الله -عز وجل- عباده أنه بإنفاقهم الصدقات يُغفر ذنوبهم، ويبارك لهم في أموالهم، أما الشيطان فيصدهم عن ذلك بالتخويف وبتزيين المعاصي، فيحرمهم المغفرة والأجر، والبركة في أموالهم.

قال الخازن: " فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا، وما يحصل من الرزق والخلف" (٣).

وهذا ما بيّنه -ﷺ- بقوله: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فأيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٦٣/١).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث (٢٥٨٨)، ص (١٠٠٢).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠١/١).

من الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان) - ثم قرأ - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(١).

ومن هنا ينبغي على المسلم أن يقوي إيمانه بخوفه من الله تعالى؛ لأن الذي يخاف من الله لا يخيفه الشيطان، ويكون خوفه من الله حاجزاً بينه وبين الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

المطلب التاسع: التزيين:

مفهوم التزيين: الزين: نقيض الشين، زانه الحُسْنُ يزينه زيناً، وازدانت الأرض بعُشْبِهَا، وازينت وترينت، والزينة جامع لكل ما يتزين به^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ۗ﴾ (يونس: ٢٤).

استعمال التزيين في القرآن الكريم:

الأولى: ما نسب إلى الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ﴾ (الحجرات: ٧). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل: ٤).

الثانية: ما نسب إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَظُنُّنَّ أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩).

الثالثة: ما لم يسم فاعلة. ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (البقرة: ٢١٢)، وقوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْوٰلِدَاتِ ۗ﴾ (آل عمران: ١٤).

فإن كان التزيين من الله تعالى فهو على وجهين:

الأول: قد يكون على جهة الامتحان والابتلاء، والثاني: قد يكون على جهة العقوبة مع الخذلان. وإن كان التزيين من الشيطان فهو على جهة الوسوسة والكيد للإنسان^(٣).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَظُنُّنَّ أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩).

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب: ما جاء في الذي يفسر

القرآن برأيه، رقم الحديث (٢٩٨٨)، ص (٦٦٩)، صححه الألباني.

(2) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (٩٢٩/٢).

(3) انظر: (بحر العلوم): السمرقندي (٢٢٣/١).

هذه الآية فيها دلالة واضحة على أن الإنسان الذي خلقه الله تعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وخلق في أحسن تقويم، حياة هذا الإنسان قائمة على الابتلاء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢)، ومن ابتلاء الله تعالى للإنسان، ابتلاؤه بالشيطان الذي لا يغفل عنه البتة، فالشيطان حين أخرج من الجنة خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الحجر: ٣٤ - ٣٥).

حينها قال إبليس: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١).
و إبليس هنا يعترف بربوبية الله - عز وجل -، ويعترف بأن الله خالقه، وخالق آدم، وخالق الكون كله كما في قوله تعالى: ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (ص: ٧٦)، لذلك قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

والباء في قوله: (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) هل هي للقسم؟ أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم في الأرض، أم للسببية؟ أي بسبب ما أغويتني.

الباء تأتي في اللغة العربية للسبب، قال تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (المائدة: ١٣)، أي بسبب نقضهم، وهنا احتمالان قائمان، البعض يقول: إن الفعل لا يجوز الإقسام به، إلا إذا جاء بالصفة مثل قوله تعالى: ﴿ فِعْرَنَكَ ﴾، وهي صفة من صفات الله - عز وجل -، إنما بإغواء الله! ولذلك قالوا: لا، الباء للسببية، أي بسبب ما أغويتني: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾، ولأغوينهم أجمعين، والضمير لذرية آدم، كما في قوله تعالى ﴿ لَأَحْسِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٦٢) (٢).

تزيين الشيطان المعاصي للإنسان:

يُزَيِّنُ الشيطان للإنسان الشرك والمعاصي بجميع أحوالها وصفاتها، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ...وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٣).

والتزيين لهم: إما بتحسين المعاصي لهم، وتحبييها إلى أنفسهم، وإيقاعهم فيها، أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها (٣).

(1) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٢٢١/٢).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٠٩/٩)، و (روح المعاني): الألوسي (٥/١٠).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٠٣/١٧)، و (فتح القدير): الشوكاني (١٧٩/٤).

وقد بدأ الشيطان بالترزين للعباد مذ كان سيدنا آدم في الجنة، فزَيَّن لآدم عليه السلام الأكل من الشجرة، وحسَّنها عنده فقال: ﴿... قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (طه: ١٢٠)، فسمَّها شجرة الخلد، وهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها^(١).

وهذا الأسلوب الذي يسلكه ولا يزال يسلكه لإغواء العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال يحسِّن له الباطل ويكرهه بالحق حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق، فيزيِّن المنكر حتى يصبح معروفًا، ويزيِّن المعصية حتى يغري الناس بها، ولا يشبعوا منها أبدًا؛ لأن المعاصي كلما ازداد الإنسان منها شربًا كلما ازداد لها عطشًا، كما قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

ترزين الشيطان للأمم السابقة:

هذا ما فعله الشيطان مع الأمم الكافرة، فقد زيَّن لهم أعمالهم، وحسَّنها في أعينهم، وحبَّبها إلى قلوبهم، قال تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿... وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: ١١٢).

نماذج للأمم التي زين لها الشيطان:

أولاً- عاد وثمود، قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّرَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

ثانياً- قوم سبأ، قال تعالى: ﴿ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل: ٢٤).

ثالثاً- كفار قريش، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴾ (فصلت: ٢٥).

(1) انظر: (إغاثة اللهفان): ابن القيم (١/١١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَّاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَليَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٧).
فهؤلاء الأقوام وغيرهم وقعوا في غواية الشيطان من خلال تزيينه لمعاصيهم، وأعمالهم المنكرة، والمحرمة التي تخالف ما أمرهم به الله وما أمرهم به أنبياءهم، فصدتهم عن الهداية وأقفل نور البصيرة لديهم؛ فأصبحوا بطاعتهم للشيطان من الخاسرين.

ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : " وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تُحبُّه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها العبد ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك على إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً، أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهونونه، فإنه باب لا يدخل عن حاجته من دخل منه"^(١).

من صور تزيين الشيطان:

إن الشيطان يزيّن للإنسان الفعل الذي يضره، حتى يُخيل إليه أنه أنفع الأشياء له، ويُنفّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فعلى سبيل المثال:
فهو يزيّن عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، وواد البنات، ونكاح الأمهات، وفعل المنكرات، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في قالب التودد إلى الناس والتقرب إليهم، وتزيين النفاق، والمداهنة مع أعداء الله تعالى، وهكذا تتعدد صور تزيينه للمعاصي بتعدد صورها^(٢).

المستثنون من تزيين الشيطان:

لقد وعد الشيطان أن يغوي العباد من خلال تزيينه لمعاصيهم فيوقعهم في شر أعمالهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩).
ولكنه علّم علّم اليقين، أن الله - عزّوجلّ - لن يعطيه القدرة على إغواء جميع العباد؛ لأن منهم المخلصين والمصطفين، وكيده لا يعمل فيهم، ولذلك لم يرض أن يكون كاذباً فلم يعط وعداً كاذباً، فيدعي أنه يستطيع أن يغوي جميع العباد، فاستثنى ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)، أي: الذين أخلصوا لدينه، واصطفاهم الله - عزّوجلّ -، فهؤلاء لم ولن يستطيع إغواءهم^(٣).

(1) إغاثة اللهفان (١/١١٢).

(2) انظر: (المرجع السابق): (١/١١٠).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب) (٩/٣١٢).

يقول الإمام الشنقيطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ - ٨٣): " ذكر الله -عز وجل- في هذه الآية الكريمة لما وعد أنه سيضل أكثر بني آدم، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، معترفاً بأنه لا قدرة له على إضلالهم" (١).

فاعتراف إبليس بضعفه وقلة حيلته حيال المؤمنين المخلصين المتوكلين الملتجئين إلى الله من العباد، بيّننا سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٩ - ١٠٠).

فالآية السابقة تبين أن الله -عز وجل- لم يجعل له سلطاناً على أحد من عباد الله المخلصين، بل سلطانه على من اتبعه باختياره، وهذا ما قاله إبليس نفسه يوم القيامة، يوم يتبرأ من أنصاره وأعدائه (٢)، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

فالمشركون، ومن سار على نهجهم هم من فتح المجال للشيطان بالتسلط عليهم بالإغواء وهذا ما بيّنه أبو السعود في تفسيره بقوله: " وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين، تفخيمٌ لشأن المخلصين وبيانٌ لمنزلتهم ولانقطاع مخالِبِ الإغواء عنهم وأن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم" (٣)، ولبعدهم عن ربهم وعدم تحصنهم بالإخلاص له سبحانه وتعالى، فقد جعل الله تعالى من إخلاص العبد له حماية ووقاية يقيه بها الله -عز وجل- من إغواء الشيطان بعكس من لم يخلص لله تعالى ولم يجعل الله له سنداً ومعيناً.

فالشيطان قعد لبني آدم في طرقهم ووعد بإغوائهم، وقد صدق وعده على من سلخوا له الطريق لإغوائهم ولم يُحصنوا أنفسهم منه، إلا انه لم يتمكن ممن ركن الإيمان في قلوبهم وتوكلوا على الله تعالى حق توكله وتقوّوا بقوة إيمانهم وصدق نواياهم، وإخلاصهم لله، فهؤلاء لا يؤثر فيهم كيد إغوائهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٩ - ١٠٠).

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٢٧٧).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٩/٣١٣).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٧٩).

وهكذا نرى الشيطان وإن بلغ مكره وكيده مهما بلغ فإنه في غاية الضعف الذي لا يستطيع أن يتسلط من خلاله على المؤمن المخلص بأي حال من الأحوال.

الفصل الثالث

نماذج قرآنية للساقطين في الغواية، والناجين منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة نوح وامرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمروذ بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجننتين.

المطلب العاشر: أصحاب الجنة.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

المطلب الخامس: مؤمن سورة ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجننتين.

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجنتين.

المطلب العاشر: أصحاب الجنة .

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية:

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يمتحن خلقه، فأوجد الشيطان فتنه واختباراً لعباده، ليتبين خبيثهم من طيبهم؛ لأنه سبحانه وتعالى خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر ما كان في مادتهم، ففي الحديث عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود، والسهل والحزن، والطيب والخبيث)^(١).

فجعل سبحانه وتعالى الشيطان بغوايته محكاً يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩). لذلك اقتضت حكمة الله تعالى التمايز بين البشر، منهم الذين استجابوا لله تعالى، وهؤلاء هم الذين نجوا من الغواية ومن الوقوع فيها، ومنهم الذين استجابوا للشيطان، وهؤلاء هم الذين سقطوا في الغواية. ومعنى السقوط في الغواية: أي اسقطوا درجة اعتبارهم عند الله تعالى، وعند المؤمنين؛ وذلك بإسقاط أنفسهم بالبلايا القبيحة، استجابة للشيطان^(٢).

يقول ابن القيم -رحمه الله-: " اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لمولاته وكراماته، ومن لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكبير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان؛ إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة"^(٣).

وسيبيّن الباحث في المبحثين القادمين نماذج من الذين سقطوا في الغواية، ونماذج للناجين منها

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام:

إن أول ما خلق الله البشرية، حتى حصل الشرك في قوم نوح -عليه السلام-، وذلك عن طريق خدعة إبليس، حيث جاء إبليس إلى جيل، كان فيه خمسة من الصالحين وهم: (ودّ و سواع و يغوث ويعوق ونسرا)، فلما ماتوا وسوس الشيطان إلى أتباعه، أن اعملوا تماثيل لهؤلاء الخمسة تذركم بهم؛ فإذا نظرت إليها اجتهدت في العبادة،

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب: "ومن سورة البقرة، رقم الحديث (٢٩٥٥)، ص (٦٦٢)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٣٠).

(2) انظر: (الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية): نعمة الله النخجواني (٢/٢٣٧).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد (١١/٣).

فلما مات هذا الجيل، وجاء جيل بعده، ولم يكن فيهم من يعلم لماذا عُمِلَتْ هذه التماثيل، فوسوس إليهم إبليس أن يعبدوها، وهكذا وقع الشرك، وتفشى، وعُبدت الطواغيت من دون الله تعالى وشرعَ الناس في الضلالة والكفر^(١)، أرسل الله نوحًا -عليه السلام-، فكان أول رسول بُعث على أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة: (... يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض...) (١).

فهو أول رسول، وكان من قبله أنبياء، وقد سلك نوح -عليه السلام- سبيل الدعوة سرًا وجهارًا، ليلاً ونهارًا، وفي جميع الأحوال المختلفة، لكن لم يستجب له إلا نفرًا قليلاً من قومه رغم كل محاولات النبي أفنى عمره وهو يدعوهم إلى التوحيد بالترغيب، والترهيب، وبالمناظرات، وفي النهاية قالوا لأن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين.

ولمَّا أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، كان قد مكث في قومه وهو يدعوهم نحو تسعمائة وخمسين عامًا، وهو ما يرى إلا جيلًا كافرًا بعد جيل، يوحي بعضهم بعضًا بالكفر والعناد، ولن يلدوا إلا فاجرًا كفارًا، دعا دعوة غضب الله فقال الله -تعالى- على لسان نوح -عليه السلام-: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٦٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٦٧ ﴾ (نوح: ٢٦ - ٢٧).

و نادى نوح ربه، فاستجاب الله دعوته فقال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ آلِكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝٧٦ ﴾ (الصافات: ٧٥ - ٧٦).

وكانت النجاة بصناعة السفينة بأمر من الله تعالى، فهي ليست اختراعًا من بني البشر، لكنها تعليم من الله تعالى، كما في قوله: ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ۝٣٧ ﴾ (هود: ٣٧).

وقد كان هناك مواعده من الله لنوح -عليه السلام-، وهي إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فاعلم أن الهلاك قد جاء لقومك فاركب السفينة أنت ومن معك، واحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي من الحيوانات والطيور، وغيرها ليبقى النسل، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَئَنَّا نَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ ﴾ (هود: ٤٠).

وقد سبقت كلمة الله تعالى أنه سيبقى في بيت نوح -عليه السلام- كفارًا، منهم زوجته المذكورة في سورة التحريم، وابنه المذكور في آخر هذه القصة^(٣).

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٤٢١/٥).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ..)، رقم الحديث (٣٣٤٠)، ص (٦١٠).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٠/٤).

ولمَّا صعد نوح ومن معه في السفينة ناداهم نوح-ﷺ- كما في قوله- تعالى-: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَتَهَا وَمُرْسَتْهَا إِنْ رَجَا لَكُمْ فِرَاقٌ ﴾ (هود: ٤١).

أي: باسم الله وبركته تجري على سطح الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها، وقد ذكر المغفرة والرحمة في هذا المقام، وهو وقت الإهلاك والغرق، لعلهم اعتقدوا في قرارة أنفسهم، أنهم نجوا ببركة علمهم، فالله تعالى نبههم لإزالة العجب منهم؛ فإن الإنسان في جميع أحواله محتاج إلى إغاثة الله وفضله حيث أشعرهم بفضله ورحمته على عباده المؤمنين الذين نجاهم^(١).

فلمَّا بدأت السفينة تسير فوق الأمواج العظيمة التي تشبه الجبال في ارتفاعها، نادى نوح ابنه كما أخبر تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) قَالَ سَوَاءٌ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِي مِنِّي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُوقِينَ ﴾ (هود: ٤٢ - ٤٣).

وكان ابن نوح-ﷺ- منعزلاً^(٢) في ناحية، قال ابن عاشور: " فِي مَعْزِلٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِمَّا لِأَنَّهُ كَانَ لَمْ يُؤْمِنْ بِنُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَلَمْ يُصَدِّقْ بِوُقُوعِ الطُّوفَانِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ ارْتَدَّ فَأَنْكَرَ وُقُوعَ الطُّوفَانِ فَكَفَرَ بِذَلِكَ لِتَكْذِيبِهِ الرَّسُولِ"^(٣).

وفي كلا الحالتين فإنه أصبح كافراً، إذ طالبه نوح-ﷺ- بالإيمان والركوب معه، حتى لا يغرق ويكون مع الكافرين الهالكين.

غير أن هذا الابن الجاحد العاق رد على نوح قائلاً: سأوي إلى جبل يحفظني من الغرق في الماء، ظناً منه أنه سيل عادي، يمكن النجاة منه بالتحصن في مكان عال أو جبل شامخ، فأجابه نوح عليه السلام: لا شيء يعصمك من أمر الله وعذابه الذي يعاقب به الكافرين إلا من رحمه الله من الهلاك، فعصى الابن ربه، وعق أباه، فحال بينهما الماء الذي بدأ بالارتفاع شيئاً فشيئاً، فكان من المغرقين المهلكين^(٤).

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٤١١/٨).

(2) المعزل: بكسر الزاي وهو اسم مكان العزلة، وأصله من العزل وهو التحية والإبعاد. (الكليات: أبو البقاء الكفوي ١/٤٠٦).

(3) التحرير والتنوير (٧٦/١٢).

(4) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٠٤٤/٢).

المطلب الثاني: امرأتا نوح ولوط عليهما السلام:

هذان نموذجان من نماذج السقوط في الغواية، والذي يتمثل في خيانة الدين، وذلك بمخالفة الأنبياء وتعاليم السماء، التي جاءوا بها، وهذا ما كان من امرأتي النبيين الكريمين، نوح ولوط عليهما السلام، وقد ذكر الله تعالى فعلتهما، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ (التحریم: ١٠).

لقد ضرب الله تعالى في الآية السابقة مثلاً للعبرة والاعتاظ، وذلك بخيانة صادرة من زوجتي نبيين كريمين (نوح ولوط) عليهما السلام، وقد جاء اللفظ القرآني يعبر عن فعلة المرأتين بلفظ " الخيانة " (فخانتاهما).

أقوال المفسرين في الخيانة التي وُصفت بها زوجتا نوح ولوط عليهما السلام:

قيل: أن خيانتها كانت بالكفر، أي في مخالفتها للنبيين الكريمين في الدين؛ إذ كانتا مشركتين. وقيل: كانت امرأة نوح-عليه السلام- تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط-عليه السلام- تخبر بأضيافه. وقيل: كانت امرأة نوح-عليه السلام- تطلع الكفار على أسراره، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجابرة بذلك، وقيل: كانتا منافقتين، وقيل: خيانتها النميمة؛ إذا أوحى الله إليهما شيئاً أفشته إلى المشركين. وقيل: كانت امرأة لوط-عليه السلام- إذا نزل به ضيف دخنت؛ لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال^(١).

وقد أجمع المفسرون على أنه لا يقصد بخيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام خيانة العرض، فلم تزن امرأة نبي قط، وإنما هي خيانة الدين، وذلك لأن تصور خيانتها في العرض ينفر من صاحب الرسالة، وينسب إليه النقص، وهو ما يتعارض مع أداء الرسول وتبليغ رسالة ربه^(٢)، والذي يهّم الباحث هنا أنهما وقعتا في الغواية بكفرهما وبانسلاخهما عن القيم الإيمانية؛ لتتضمن إلى قيم الوثنية، فكانت عاقبه سقوطهما الهلاك.

وهذا كان نتاج وقوعهما في الغواية، فاستحققتا عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، فقد نجى الله تعالى النبيين الكريمين، وأهلك من كان كافراً من قومهما، ولم يسلم من ذلك العقاب والإهلاك امرأتاهما، قال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٩٧/٢٣)، و (النكت والعيون): الماوردي (٤٦/٦)، و(مفاتيح الغيب):

الرازي (٤٤/٣٠)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢١٠/١٨) و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٧٠/٨).

(2) انظر: (معالم التنزيل): البغوي (١٧٠/٨)، و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٦٨/١٧)، و(أضواء البيان):

الشنقيطي (٢٢٤/٨).

والذي حق عليه القول، وشاء الله تعالى له الشقاوة والهلاك، امرأة نوح وابنه وكانا كافرين^(١).
 وقال عن لوط عليه السلام: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (الأعراف: ٨٣)، ومعنى كانت من الغابرين: أي كانت من الهالكين^(٢).
 ومن هنا يتبين للباحث أن الرابطة المنجية من الهلاك والعقاب، هي رابطة العقيدة والإيمان، وأن كل الروابط ما
 عدا هذه الرابطة لا قيمة لها عند الله، ولا تغني عن صاحبها شيئاً؛ فإذا اختلت رابطة العقيدة فلا رابطة، وقد بين
 الله تعالى أن جميع جهات القرابة لا تنفع مع الكفر، لا زوجه مع زوجها، ولا ولد مع والده، ولا والد مع ولده، كما
 يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ (الشعراء: ٨٨ - ٨٩).
 وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لما نزلت: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤).
 قام رسول الله - ﷺ - على الصفا، فقال: " يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب،
 لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم"^(٣).
 وبهذا يتبين لكل مسلم أن أحداً لا يملك نفع أحدٍ يوم القيامة، ولو كان أقرب قريب، إلا بالإيمان، وبما يكرم الله
 به من شاء بالشفاعة^(٤).

المطلب الثالث: قوم لوط:

لقد أرسل الله تعالى لوطاً عليه السلام إلى أهل سدوم الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى، وكانوا
 يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.
 فلقد ابتدع قوم لوط فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين، وهي إتيان الذكران من العالمين، قال
 تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لِنَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٨) أَيْبِكُمْ
 لِنَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ
 اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ (العنكبوت: ٢٨ - ٣٠)،

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم): أبو السعود (٢٠٨/٤).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٣٧٠/٥).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين)، رقم الحديث (٣٥٠)، ص (١٠٠).

(4) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي (٢٢٤/٨).

وقطع السبيل: أي قطع الطريق، وذلك بالتصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة؛ إذ كانوا يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه، فقطع الطريق فساد في ذاته، وهو أفسد في هذا المقصد.

وأما إتيان المنكر في ناديم فإنهم جعلوا ناديم للحديث بأقبح الكلام أمام بعضهم بعضاً، وبالتظاهر في تزيين الفاحشة زيادة في فسادها وقبحها لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على شيوعها في الناس^(١).

وفعلة قوم لوط الشنيعة المنكرة لم يفعلها قوم قبلهم قط، فهم أول من سنَّ هذه السنة السيئة، فوصلوا إلى ما وصلت إليه البهائم، بل أحط من البهائم كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

فالله تعالى جعل الرجل يشتهي المرأة، والمرأة تشتهي الرجل، فهذه فطرة الله تعالى؛ إذ هي النظام الذي أوجده الله تعالى في كل مخلوق^(٢)، وقوم لوط خالفوا فطرة الله تعالى، وهذا ما أثار استغراب لوط عليه السلام من فعلتهم، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿... أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦)، بل أخذوا يستهزئون بنبي الله لوط عليه السلام بقولهم: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ﴾ (النمل: ٥٤).

فرد قوم لوط دعوة نبيهم لهم بالعفاف، بالتأمر عليه، وبإخراجه من بين أظهرهم؛ لأنه بدعوته إياهم يعكس صفو شهواتهم وملذاتهم، فلا يصلح لمجاورتهم^(٣)؛ لأنه بنظرهم جريمة كبرى.

فاستمر قوم لوط عليه السلام بفحشهم وشذوذهم الجنسي، وفسادهم في الأرض، ولوط يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يؤمن في تلك القرية الظالم أهلها إلا ابنتاه، حتى زوجه لم تؤمن بل كانت كافرة، وكان لوط عليه السلام إذا جاءه ضيوف من الرجال يخفيهم، وكان يحذرهم من دخول القرية، وهذا ما أغضب هؤلاء الفجرة، وهددوه بالطرد من الأرض هو ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٧).

فلم يبالي سيدنا لوط-عليه السلام- بتهديدهم ووعيدهم، وهذا ديدن الكفرة في كل زمان ومكان؛ إذ يتوعدون ويهددون أنبياء الله تعالى وعباده الصالحين بالأسر، والرجم، والقتل، والطرد والإبعاد، واستمر لوط في دعوته، وفي تلك الأحيان كانت رسل الله قد وصلت لسيدنا إبراهيم عليه السلام في فلسطين لتبشره بالولد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ...﴾ (هود: ٦٩)، ثم بيّن هؤلاء الرسل لسيدنا

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٨٨/١٠).

(2) انظر: (المرجع السابق) (٧١/١١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٠٠/٦).

إبراهيم عليه السلام، أنهم ذاهبون لتدمير وإهلاك قرية لوط عليه السلام، ورسَل الله تعالى، هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وقيل كانوا تسعة، وقيل كانوا أحد عشر (١).

فأخذ إبراهيم عليه السلام يجادل رسل الله كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ عَذَابٍ عَظِيمٍ مَرْدُودٍ ﴿٧٤-٧٦﴾ (هود: ٧٤ - ٧٦).

والمجادلة التي حصلت بين إبراهيم والملائكة الذين أرسلوا لإهلاك قوم لوط، قد حكاها - سبحانه - في سورة العنكبوت في قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴿٣١﴾ أَي: القرية التي كان يسكنها قوم لوط، ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣١-٣٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴾ بيان من الله تعالى للدواعي التي حملت إبراهيم عليه السلام لمجادلة رسل الله من الملائكة في شأن إهلاك قوم لوط (٢)، ولم تكن المجادلة ردًا لأمر الله تعالى، ولكن طلبًا للإمهال لعلمهم يؤمنون (٣)، وخوفًا على لوط - عليه السلام - ومن معه من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فَاخْطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات: ٣١ - ٣٧).

والحليم: أي الذي يتحمل من آذاه ولا يتسرع إلى مكافأته (٤). والأوَّاه: كثير الدعاء (٥)، وقيل: كثير التأوّه من خوف الله (٦). والمنيب: هو كثير الرجوع إلى طاعة الله تعالى، وإبراهيم عليه السلام كان راجعًا إلى الله تعالى في أموره كلها (٧). ولهذا قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ عَذَابٍ عَظِيمٍ مَرْدُودٍ ﴾ (هود: ٧٦).

- (1) انظر: (المرجع السابق) (٤٨٠/٧)، و (فتح القدير): الشوكاني (٧٣٦/٢).
- (2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢٤٣/٧).
- (3) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ محمد متولي الشعراوي (٤٢٤٧).
- (4) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف): البيضاوي (١٠٩/٣).
- (5) انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): الطبري (٥٢/١١).
- (6) معاني القرآن: الفراء: (٢٣ / ٢)، وتفسير غريب القرآن: ابن قتيبة (١٩٣).
- (7) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٦٤/٩).

والمقصود بأمر الله هنا، عذابه سبحانه وتعالى وإنه آتٍ قوم لوط لا محالة، وأنه لا مردَّ له، وقد بيَّنه سبحانه وتعالى في مواضع متعددة من كتابه العزيز^(١)، قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢ - ٨٣)، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الحجر: ٧٤ - ٧٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفَكَمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا إِذْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ (الفرقان: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٧٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الفرقان: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ عَزِيزٌ ﴿١٧٢﴾﴾ (الشعراء: ١٧٢ - ١٧٥)، إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن أمر الله - عزَّ وجلَّ -.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَةً يَأْتِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ (هود: ٧٧). انطلق رسل الله من عند إبراهيم عليه السلام قاصدين لوطاً - عليه السلام - على هيئة غلمانٍ مرد حسان الوجوه، لذلك ﴿سِئَةً يَأْتِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴿٧٧﴾﴾ أي ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناسٌ فخاف أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم، فلما مشى معهم منطلقاً بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمرُ هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله إنها لشُرُّ قريةٍ في الأرض عملاً، فدخلوا منزله ولم يعلم بذلك أحدٌ فخرجت امرأته فأخبرت به قومها، وقالت: إن في بيت لوطٍ رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَةً يَأْتِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (العنكبوت: ٣٣). فلو ط عليه السلام لا يريد أن يفضح في ضيعة، وهو لا يعلم حقيقتهم، ويعلم حقيقة قومه، القوم الخبيثاء، الذين شذت شهواتهم وأخلاقهم.

فأتوا بابه مسرعين يطرقون بابه، يريدون اقتحام البيت، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوِرْ هُنَّ أَهْلُ مَدْيَنَ بَنَاتِي هُنَّ أَهْلُ مَدْيَنَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ (هود: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هُنَّ أَهْلُ مَدْيَنَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٨﴾﴾ (الحجر: ٦٧ - ٧٢).

قال لهم لوط عليه السلام: ماذا تريدون، قالوا نريد الرجال الذين معك، يا لوط ألم ننهك عن العالمين، ألم ننهك أن تصدَّ عنا الرجال وتخفيهم عنَّا، قال لوط: ﴿قَالَ يَنْفَوِرْ هُنَّ أَهْلُ مَدْيَنَ بَنَاتِي هُنَّ أَهْلُ مَدْيَنَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ﴿٦٧﴾﴾

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (١٨٧/٢).

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٣٧٣/٣).

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿١﴾، ولكنه عليه السلام لم يجد في قومه رجلاً رشيداً ولا حليماً، لذلك وصف الله تعالى قوم لوط بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهذا القسم، إما أن يكون من الله بحياة النبي ﷺ، أو من الملائكة بحياة لوط عليه السلام، والمقصود بسكرتهم: أي إنهم في غوايتهم أو شدة سكرتهم التي أزلت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب.

يعمهون: أي يتحيرون ويتمادون، فكيف يسمعون النصح، ويلتفتون إلى نصيحتك^(١).

فلما ضاقت الدنيا بلوط-ﷺ- رفع يديه إلى السماء، وأوى إلى الله تعالى إلى ركن شديد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ٨٠)، قال النبي ﷺ- وهو يقرأ هذه الآيات: (يغفر الله للوط، إن كان يأوي إلى ركن شديد)^(٢).

قال ابن عباس: "فلما علم جبريل والملائكة خوف لوط من تهديد قومه، وقد كان لوط-ﷺ- أغلق الباب على نفسه وعلى الملائكة، وهو يناشد قومه، قال له جبريل: يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذابٌ غيرُ مردود"^(٣)، فقالوا للوط عليه السلام: ﴿... يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْبُغْ مِنكُمُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: ٨١). يقول الرازي رحمه الله: "فلما رأَت الملائكة تلك الحالة بشروه بأنواع من البشارات. أحدها: أنهم رسل الله.

ثانيها: أن الكفار لا يصلون إلى ما هموا به.

ثالثها: أنه تعالى يهلكهم.

رابعها: أنه تعالى ينجيه مع أهله من ذلك العذاب.

خامسها: إن ركنك شديد وإن ناصرَكَ هو الله تعالى"^(٤).

حينها اطمأن لوط-ﷺ- لما علم أنهم رسل الله، استعجل العذاب على قومه من شدة ما بهم من خبث، وفحش، فقالت له الملائكة ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ﴾ (الحجر: ٦٦).

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٢٦/٩)، و (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٨٧/٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون)، رقم الحديث (٣٣٧٥)، ص (٦١٩).

(3) معالم التنزيل: البغوي (١٩٢/٤).

(4) مفاتيح الغيب: الرازي (٤٤٩/٨).

فخرج إليهم جبريل عليه السلام، لتبدأ أنواع العقوبات لقوم لوط المجرمين، وهم لا يعلمون ما الذي ينتظرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكَرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ ﴿٣٩﴾ (القمر: ٣٧ - ٣٩).

قال أكثر المفسرين: إن جبريل -عليه السلام- مسح بجناحيه، وقيل بجناح من أجنحته على وجوههم، فعموا جميعاً، كما قال الله -تعالى-: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فصاروا لا يعرفون الطريق، وأخذ بعضهم يجول في بعض^(١)، وهذه العقوبة الأولى لقوم لوط -عليه السلام- وهي طمس الأبصار.

ثم قالوا للوط -عليه السلام-: أن أسر بأهلك بقطع من الليل، وقد بين الحق سبحانه وتعالى في سورة القمر المقصود بقطع من الليل، وهو آخر الليل، قال -تعالى-: ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ بَجَيْتِهِمْ بِسَحْرِ﴾ (القمر: ٣٤).^(٢)

قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي: ولا يلتفت منكم أحد خلفه، حتى لا يرى العذاب المروع النازل بالقوم المجرمين؛ وإنما أمرهم الله -عز وجل- بعدم الالتفات إلى الخلف؛ لأن عادة من ترك وطنه أن يلتفت إليها عند مغادرته حينئذ إليها^(٣). إلا امرأتك فإنها من جملة الهالكين.

وبدأ ترادف وتتابع العذاب على قوم لوط -عليه السلام- فبعد طمس أبصارهم، أخذتهم الصيحة: وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وتزامناً مع رفع بلادهم إلى عنان السماء^(٤)، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (الحجر: ٧٣).

وقد حُسف بقري لوط -عليه السلام-، فقلب عليهم جبريل عليه السلام ديارهم لقلبهم فطرتهم وطبائعهم، وأمطرهم الحق سبحانه وتعالى بحجارة من سجيل منضود كتلك التي أمطرت على أصحاب الفيل، وقد أخبر سبحانه وتعالى أن هذه الحجارة معلّمة عليها علامة العذاب^(٥) كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ

رَبِّكَ ﴿٨٣﴾ (هود: ٨٢ - ٨٣).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٩٨/٢٢)، و (الكشاف): الزمخشري (١١٠/٣)، و (مفاتيح الغيب): الرازي (١٨/١٥).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (١٩٠/٢).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢٥١/٧).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٠/٨).

(5) انظر: (تفسير الشعراوي): محمد متولي الشعراوي (٤٨٠٠).

وهنا وعيد من الله تعالى لكل من سقط في وحل غواية قوم لوط، فهو مرشح أن يصيبه ما أصابهم كما قال تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ (هود: ٨٣).

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان:

هذا نموذج آخر للساقطين في الغواية، ومثالاً للتكبر والجحود والعصيان وادعاء الربوبية من دون الله تعالى، فالنمرود لم يسبقه أحد من العالمين في جحوده وتجبره على الخلق، حيث عمّ في زمانه الكفر وطمّ؛ إذ كان قومه يتقلبون في دياجير الجهل والضلالة منذ عبادتهم للأصنام والكواكب التي لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، فاستخف النمرود قومه فنصب نفسه إلهاً من دون الله تعالى، داعياً قومه إلى عبادته، فما كان منهم إلا أن أجابوه وأطاعوه^(١).

وقد نشأ إبراهيم في هذا المحيط الكافر، وقد أعطاه الله الحجة والبرهان ما يخرس به أفواه الكفرة المعاندين، فابتدأ إبراهيم -عليه السلام- بنفسه وبأبيه ومع هذا الجبار المعاند النمرود، وقد سجل القرآن ما دار بين إبراهيم -عليه السلام- وهذا الجبار من مناظرة أدت إلى إفحام وإسكات النمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيِّتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمَيِّتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وقوله: (أَلَمْ تَرَ) قال الفراء: "بمعنى هل رأيت أي: هل رأيت الذي حاجَّ إبراهيم، وهو النمرود بن كوش بن كنعان"^(٢)، وقوله: (إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) المحاجة التي ذكرها الله تعالى بين إبراهيم عليه السلام والنمرود هي المخاصمة^(٣)، وقوله: (أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أي: "لأن آتاه الله، أو من أجل أن آتاه الله الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاج لذلك، أو على أنه وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر"^(٤)، وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيِّتُ).

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٤٦٢/٣).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٧١/٣).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٥٩٢/١).

(4) فتح القدير: الشوكاني (٣٧٥/١).

قال الإمام الطبري: " يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت، يحي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء" (١).

والإحياء والإماتة عند النمرود فسرها أكثر المفسرين: أن النمرود يُحيي من وجب عليه القتل بالتخية والإبقاء، فجعل ترك القتل إحياءً له، ويميت من يقتله من غير سبب يوجب القتل (٢).

لقد بيّن إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد؛ لكن النمرود بكفره وعناده أوّل الإحياء بالعفو والإبقاء، وأوّل الإماتة بالقتل وإزهاق الروح؛ فكان هذا جواباً أحمقاً لا يصح نضبه في مقابلة حجة إبراهيم عليه السلام لذلك انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لا تتيسر فيها المغالطة من النمرود كما حصل معه في الأولى لما ادعى المعاندة والمكابرة، قال له إبراهيم عليه السلام: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ).

أي: إذا كنت تدّعي أنك تُحي وتميت، فالذي يُحيي ويميت قادر على التصرف في الوجود وتسخير كواكبه وحركاته، فالشمس تشرق كل يوم من المشرق، وتغرب من المغرب؛ فإن كنت حقاً كما تدعي فأت بها من المغرب (٣).

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال يوماً: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟): قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَنْخِرُ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَنْخِرُ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئاً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: (أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟) ذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلِ أُو كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨). (٤)

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٣٢/٥).

(2) انظر: (النكت والعيون): الماوردي (٣٢٩/١)، و(معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٣١٦/١)، و(الجامع لأحكام

القرآن): القرطبي (٢٧٠/٣)، و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦٨٦/١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦٨٦/١).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم الحديث (٢٥٠)،

ص(٧٦).

قال تعالى: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)، أي بعد عجز النمرود عن معارضة إبراهيم عليه السلام، وعلمه القاطع بأنه لا يقدر على المكابرة، بهت وانقطع عن الكلام وتحير، وختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، أي لا يلهمهم ولا يرشدهم الحجة والبرهان والبيان عند مخاصمتهم ومحاجتهم لأهل الحق لما هم عليه من الضلال والكفر^(١).

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المعاندين المتكبرين ممن جحدوا وحدانية الله تعالى رغم الدلائل الواضحة كالنمرود وأمثاله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُذِّبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ (الحج: ٣-٤).

قال ابن كثير: "يقول تعالى ذامًا من كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضًا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مرید"^(٢).

وهذا حال هؤلاء المعاندين يتزكون ما أنزل الله من الدلائل البيّنات، ويتبعون شياطين الإنس والجن

والمرید في قوله تعالى ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ هو العاتي، تقول: مرّد الرجل - بالضم - يمرّد، فهو مرارًا ومرید: إذا كان عاتيًا^(٣).

والآية الكريمة تتناول كل من اتصف بهذه الصفة، أي في الجدل الباطل، ولقد أبان الحق نهاية كل من اتبع الشيطان، وهو أنه قضى على من اتبع الشيطان وجعله وليًا من دون الله تعالى أن يوقعه في الضلال، ويدله على الطريق المؤدية إلى النار، وهذا وعيد من الله تعالى لكل من اتبع الشيطان أن يضلّه في الدنيا، وأن يخزيه في الآخرة، وتحذير من الانسياق مع وساوسه وأباطيله^(٤).

نهاية النمرود:

إن الناظر إلى صفحات التاريخ ليرى كيف كانت نهاية هؤلاء الظالمين، أمثال النمرود، وأشباهه الذين تجبروا وتكبروا وطمعوا، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

فلقد كان النمرود أول من تجبر في الأرض ولم يسبقه إلى فعلته الشنيعة أحد، ولقد ذكر أهل التفسير أن الله - عز وجل - ابتلى النمرود بذبابة، دخلت رأسه، وجعلت تطن وهو يحاول إخراجها، لكن دون جدوى، فما كان منه إلا أن أمر عبيده أن يضربوا رأسه بالنعال، فمكث أربعمئة عام في ملكه ومكث مثلهن في تعذيب الله له

(1) انظر: (بحر العلوم): السمرقندي (١/٢١٤).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥/٣٩٤).

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي (٤/٢٦٤).

(4) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (٢/١٦٢٥).

من خلال ضربه بالنعال على رأسه، وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه؛ حتى أماته الله - تعالى - ميتة لا تخلو من الإذلال، فالنمرود ادعى إحياء الموتى، وقد عجز أن يميت ذبابه على صغر حجمها وقربها منه^(١).

ولقد صدق الله في قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة: ٢٠) فأبي ذل لحق بالنمرود، لقد ذلّه الله تعالى وجعله لمن خلفه عبرة وآية، فأبي إليه هذا الذي يضرب بالنعال قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْمَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الجنائية: ٣٦ - ٣٧).

المطلب الخامس: فرعون:

نموذج آخر للساقطين في الغواية يحدثنا عنه القرآن الكريم متمثلاً بفرعون وقد زاد على من سبقه ممن سقط في الغواية بادعائه الإلهوية والربوبية على حد سواء.

وفرعون لقب لكل ملك من ملوك مصر في ذلك الزمان، كقيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس^(٢).

ولقد وصف القرآن الكريم فرعون بالعديد من الأوصاف منها الاستكبار، قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَكْبَرَهُمْ وَجُنُودُهُمْ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (يونس: ٧٥) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ (المؤمنون: ٤٥ - ٤٦).

قال الألوسي: "وأصل الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله بل بمعنى عد نفسه كبيراً واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيدان بأن ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب"^(٣).

ومن الصفات التي وصف الله بها فرعون: العلو، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعِ بُنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي دِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٣١/٥)، و(فتح القدير): الشوكاني (٣٧٦/١).

(2) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٨٩/١)، و (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٠٢/٥).

(3) روح المعاني (٣٤٨/٤).

لقد ذكر سبحانه وتعالى في الآية الكريمة مدى العلو والتكبر والتجبر والطغيان الذي كان يمارسه فرعون ببني إسرائيل، والعلو بمعنى الارتفاع، والمعنى هنا: أن فرعون جاوز كل حدٍ في غروره وظلمه، وعدوانه، فاستعلى على رعيته، وعلى وزرائه، وعلى الله - عزَّوجلَّ -، وهذا منتهى الاستعلاء، ومنتهى الطغيان والتكبر.

حيث جعل أهلها شيعاً، جمع شيعة: وهي الطائفة التي لها استقلال خاص، وقد جعل الناس طوائف، وأصبح يستخدم كل طائفة منهم على حده فيما يريده من أمور دولته، فهذه الطائفة للبناء، وتلك للسحر، وثالثه لخدمته ومناصرتة فيما يريد، وأخرى يسلط بعضها على بعض، ويسخر بعضها لبعض^(١).

وهذا الفعل ينافي ادعائه للإلهية، وهو دليل واضح على بطلان ما ادعاه فرعون لنفسه من ادعاء الربوبية والألوهية؛ لأن المألوهين ينبغي أن يكونوا عند الإله سواسية، لذلك يقول الله تعالى في معرض حديثه عن النبوات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَّوْا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ذلك؛ لأن دين الله واحد، وأوامره واحده للجميع وهذا ما كان نقيضه عند فرعون^(٢)

ثم فسر سبحانه وتعالى الاستضعاف الذي لحق ببني إسرائيل، قال تعالى: ﴿يُدْرِكُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤)، وقد سمي الله - عزَّوجلَّ - هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم بشتى الوسائل^(٣).

وقد ترتب على قتل فرعون للذكور واستبقاءه للإناث مفاصد خطيرة، أذكرها من وجوه عدة:

أحدهما: أن ذبح الأبناء يقتضى فناء الرجال، وذلك يقتضى انقطاع النسل.

ثانيها: أن هلاك الذكور يقتضى فساد مصالح النساء في المعيشة؛ فإن المرأة لتتضمن الموت إذا انقطع عنها تعهد الرجال.

ثالثها: أن قتل الذكور عقب الحمل الطويل، وتحمل الكد، والرجاء القوي في الانتفاع به، من أعظم العذاب.

رابعها: أن بقاء النساء بدون الذكور من أقاربهن، يؤدي إلى صيرورتهن مستقرشات للأعداء، وذلك نهاية الذل والهوان^(٤).

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سيد طنطاوي (٣٧٥/١٠).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٨١٦/١).

(3) معالم التنزيل: البغوي (١٨٥/٦).

(4) انظر (مفاتيح الغيب): الرازي (٤٣١/١).

ومن الصفات التي وصف القرآن بها فرعون، الفساد، حيث كان فرعون رمزاً للفساد، وأي فساد أعظم من ادعاء الإلهية من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨).

وقد بيّن الحق سبحانه وتعالى صوراً من إفساد فرعون في قومه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَ هَمْ وَيَسْتَحِي. نِسَاءَ هَمْ إِنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤)، فذيلت الآية الكريمة بوصف شامل لفرعون بأنه من الراسخين في الإفساد، وما ذاك إلا لإجترائه على قتل من لا ذنب لهم، وهذا الصنيع لا يكون إلا من أهل الإفساد، وهذا ما بيّنه سبحانه وتعالى في سورة الفجر حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ١٠ - ١٤)، فالطغيان والبغي يولد معه الفساد والظلم، فلما أكثروا الفساد، كان العلاج تطهير وجه الأرض من الفساد^(١) كما قال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ ﴾، وهذه الصورة تتكرر مع كل حاكم ظالم، وهي أوضح ما تكون في الوجه البشع لطواغيت العرب، الذين كشف الربيع العربي زيفهم وحقيقتهم، حينما استمرعوا القتل في شعوبهم، فأتى الله بنيانهم من القواعد.

ومن إفساد فرعون قلب الحقائق لدى الناس عن طريق إغداق الأموال للسحرة ورعايتهم والإنفاق عليهم؛ لسحر عقول الناس، وقد بيّن سبحانه وتعالى أن هذا من عمل المفسدين كما قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١).

ومن إفساده كفره وتكذيبه بآيات الله - عز وجل -، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣).

وغيرها من الصفات التي التصقت بفرعون نتيجة أفعاله وتصرفاته، وهذا ينطبق على كل فراعنة عصرنا الذين أثبتوا أنهم على درب سلفهم الأول فرعون، ولكن سنتعرف على النهاية الحتمية التي آل إليها فرعون والتي تنتظر فراعنة هذا الزمان.

ففرعون لما ظن أنه استغنى عن الناس بملكه للثروة، والمال، والجاه والسلطان، وظن أنه ليس في حاجة إلى غيره؛ ادعى الربوبية والإلهية، فقال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨).

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٤/٨).

لقد غاب عن فرعون أن هذه الحياة فانية وإلى زوال وأنه سيرجع إلى الله تعالى، فما كان منه إلا أن توعد كل من اتخذ إليها غيره بالعذاب الشديد، فقال: ﴿قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَعَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩). ووصل الغرور الموهوم بفرعون، الذي غرته الحياة وبها رجها؛ بأن ينادي في قومه ليقتنعهم بأن ما فيه من النعيم هو حقيقة لا خيال ولا وهم ودليل راسخ على ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).

فهو ينادي على قوم تعلقوا بالحياة الدنيا وزينتها، فهم لا يتطلعون إلا إلى الأرض، وفرعون يلفت أنظارهم إلى ما تعلقت به قلوبهم، وامتلات به عقولهم، ويقدم لهم المغريات الباهرات، وهم لطاعته أسرع، وما ذلك إلا كما وصفهم الله جل وعلا في قوله: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤). وهذا ناتج عن خضوع الناس له، وسكوتهم عن مظالمه، وخوفهم من سطوته ومن جبروته وانكبابهم على الأمور المادية، والمنافع الدنيوية، ونسيانهم لآخرتهم.

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى فرعون مالا وثروة وجاهًا، فقال -عز وجل- على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ.....﴾ (يونس: ٨٨).

ونسي فرعون أن هذا الجاه والقوة والسلطان إنما هو استدراج من الله تعالى للظالمين للمضي في طغيانهم وغييهم وغوايتهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِنَّ الْمَصِيْرُ﴾ (الحج: ٤٨)، فيستدرج الله -عز وجل- الطغاة المفسدين ليزدادوا إيثارًا ﴿...سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) وأمل لهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: ٤٤ - ٤٥)، فالله سبحانه وتعالى يمهل الطغاة ويمدهم بأسباب القوة، والقدرة كيدًا ومكرًا بهم لا حبًا لهم ونصرًا، ثم يأخذهم على حين غرة.

نهاية فرعون كما يصورها القرآن:

إن الشر مهما استعلى وطغى وتكبر وتجبر لابد له من نهاية حتمية؛ لأن هذه سنة الله في خلقه. فالمتكبرون والمتجبرون قد تخدعهم سطوتهم وقوتهم المادية، فينسون قوة الله وجبروته، فيهلكهم الله -عز وجل-، وهذا ما حدث بالنسبة لفرعون، أما لماذا لم يهلك الله فرعون منذ أن بدأ بإفساده في الأرض وتتكيله ببني إسرائيل؟

والإجابة تكمن في أن بني إسرائيل يوم أن كانوا يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم، لم ينقذهم الله -تعالى-؛ لأنهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلًا واستكانةً وخوفًا، أما حين استعلى الإيمان في قلوب الذين آمنوا من أتباع موسى -عليه السلام- واستعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس، تدخلت

القدرة لإدارة المعركة، فأهلك الله فرعون فكان إعلاناً للنصر في الأرواح والقلوب قبل أن يعلن في أرض المعركة^(١).

فكانت نهاية فرعون كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ الزخرف: (٥٤ - ٥٦) أي: لما أسخطونا وأغضبونا بأفعالهم انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم فأغرقناهم في البحر أجمعين^(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ (النازعات: ٢٥-٢٦)، أي: انتقم الله منه انتقاماً فجعله عبرةً ونكالاً لأمثاله من المتمردين والمجرمين في الدنيا والآخرة^(٣) وقوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ١٣ - ١٤).

المطلب السادس: قارون:

وهو نموذج آخر للذين سقطوا في الغواية متمثلاً بقارون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوزُ بِالْمُعْصِبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٦-٧٧).

فقد كان قارون من بني إسرائيل وهو ابن عم سيدنا موسى -عليه السلام-، وقد رزقه الله تعالى سعة في الرزق، وكثرة في الأموال حتى فاضت بها خزائنه، واكتظت صناديقه بما حوته منها، فلم يعد يستطيع حمل مفاتيحها مجموعة من الرجال الأقوياء، وكان يعيش بين قومه عيشة الترف، فكان يلبس الملابس الفاخرة ولا يخرج إلا في زينته، ويسكن القصور، ويختار لنفسه الخدم والعبيد، ويستمتع بملذات الدنيا الفانية^(٤). ومع كل النعم والأموال التي أغدق الله تعالى بها على قارون إلا أنه وقع في الغواية نتيجة جحوده لنعم الله عليه، فلم يكن عبداً شكوراً، فاغترّ بنفسه وتكبر على قومه، وافتخر بكثرة ما آتاه الله تعالى من الأموال والكنوز.

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٣١/٥).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٢٢/٢١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٠٥/٨).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦١٥/١٩)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (١٠٨/١٢)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣١٠/١٣).

وقد نصحه قومه على جهة الوعظ والتنبيه والتحذير من المآل السيئ المحتوم إن استمر في بغيه وغيه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٦).

وكانت نصيحة قومه له واضحة جلية مبنية على خمسة أصول راسخة، من تمسك بها وعمل بمقتضاها نجي من الغواية، ومن استهتر بها، واتبع هواه، وأخذ بنقيضها سقط في الغواية، وهي كالتالي:

أولها: لا تفرح لما أعطاك الله من المال فرح البطر، والأشر، والتفاخر، والتعاطف على الناس، والاستخفاف بهم، واستعمال نعم الله تعالى في معصيته؛ لأن هذه الصفة يمتقتها الله تعالى (١)، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كان فرحه شركاً؛ لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى " (٢) وقال مجاهد - رضي الله عنه - في قوله

تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ أي: لا يحب "الأشْرين البَطْرِينَ الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم" (٣)، ولذلك كانت نصيحة قومه له بالتواضع وشكر نعم الله عليه، إذ بالشكر تدوم النعم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

ثانيها: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، أي: اجعل تلك الأموال والكنوز مسخرة في طلب الآخرة، ونعيمها، وثوابها، وأدخِر لنفسك من الأجور بالإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير، وما أوجبه الله تعالى، وذلك بالتقرب إليه في أنواع القربات التي يحصل لك بها ثواب في الآخرة (٤)؛ لأنها هي الباقية وما سواها إلى فناء وزوال بدليل

قوله تعالى: ﴿ كَذَرْتُمْ كَوْماً مِنْ جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَتَكِينٍ ﴿٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٩).

ثالثها: ولا تنسى نصيبك من الدنيا، أي لا تتركها ترك المنسي، مما أباحه الله لك، وكن وسطياً في ذلك؛ لأن الدين لا يريدك أن تكون عالة على المجتمع، بل يطالبك بالجد والعمل بالكسب الحلال مع إعطاء كل ذي حق حقه، والأخذ من الدنيا بقدر ما يكفيك منها للوصول إلى الآخرة (٥).

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٤٢١/٥).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (١١٠/١٢).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٢٥٣/٦).

(4) انظر: (المصدر السابق) (٢٥٣/٦)، و(فتح القدير): الشوكاني (٤٢١/٥)، و(التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٣٩/١٠).

(5) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٢٤٤/٥).

قال مجاهد وابن زيد: " لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تتجو من العذاب؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة"^(١).

وقال جمهور المفسرين: " وهو أن يعمل في دنياه لآخرفته، ونصيب الإنسان عمره، وعمله الصالح"^(٢).
رابعها: وأحسن كما أحسن الله إليك، لمّا أمره بالإحسان بالمال، كان الأمر بالإحسان مطلقاً، بجميع أنواعه، سواء كان بالإعانة، أو بطلاقة في الوجه، أو بحسن اللقاء، فأحسان الله يجب أن يقابل بالإحسان إلى خلقه^(٣).
خامسها: ولا تبغ الفساد في الأرض، إنه لا يحب المفسدين، أي لا تقصد الإفساد في الأرض بالظلم والبغي والإساءة إلى الخلق بالتطاول والتكبر، وبتسخير المال في الإفساد بين الناس دون الإصلاح، ولا يحب المفسدين كما لا يحب الفرحين^(٤).

ولكن قارون أبى أن يقبل هذا النصح والإرشاد، وكان رده لا يحمل في طياته إلا معاني الفساد والإفساد، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْهُ قُوَّةٌ وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨).

وهنا تتجلى معاني السقوط في الغواية لقارون حينما ردّ هذا النصح الصادق من أهل الصلاح والتقوى، عندما دعوه لأن يسلك بهذا المال، الطريق التي تحمد عواقبه، وتتم به تلك النعمة، ولكن العجب بماله استغواه، فاستقبل تلك الدعوة بالاستخفاف والتحدي فقال: ﴿... إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَي: إنما أعطاني الله هذا المال على فضل علم عندي، وقد جمعت هذا المال بخبرتي ومعرفتي، ولولا رضا الله عني، ومحبتة لي، وعلمه بفضلي عنكم، وأني أهل له، لما وصلت إلى ما وصلت إليه^(٥)، فهذه المقولة لا تخرج إلا من مغرور أنساه المال شكر ربه، ونظير هذا القول في القرآن قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَمَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٤٩ - ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (فصلت: ٥٠).

- (1) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٢٢١/٦).
- (2) فتح القدير: الشوكاني (٤٢١/٥).
- (3) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٧٤/٦).
- (4) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١١٠/١٢)، و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٤٤/٥).
- (5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٢٦/١٩) و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٥٥/٦) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٤٤/٥).

فقارون ينكر أن يكون لله شيء فيما بين يديه من هذا المال، والعلم الذي يدعيه قارون ليس العلم الذي تحصله العقول، وإنما هو العلم الذي تتضح به الطبائع الخبيثة والنفوس المريضة القائمة على النصب والاحتيال والمداهنة والمتاجرة بالذمم في سبيل الوصول إلى المال والجاه.

وهذا النموذج ليس الوحيد في البشرية، فكم من الناس من يظن أن علمه وجهده وشطارته وحدهما سبب غناه، فينسب الفضل لنفسه وبالتالي فهو حر التصرف بماله على الوجه الذي يريده هو، إما بإنفاق أو بإمساك.

فالإسلام لم يمنع الملكية الخاصة، ولم يلغها، بل قدرَّ الجهد البشري الذي بُذل في سبيل تحصيلها من الطرق المشروعة، وقد رسم منهجاً معيناً للتصرف في تلك الملكية، كما رسم منهجاً معيناً لتحصيلها وتنميتها، وهذا المنهج متوازن لا يحرم الفرد ثمرة جهده، ولا يطلق يده للاستمتاع به حتى الترف المطغي، ولا في إمساكه حتى التقتير، ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال، وهذا منهج واضح المعالم والسمات^(١).

قال تعالى: ﴿...أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

وهذه الآية الكريمة ردٌّ من الله تعالى لقارون ولغيره ممن يدعون بهذا الإدعاء الكاذب الباطل، فلو كان الله تعالى يوتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه، وخير عنده ولرضاه عنه، لم يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً وأعز نفراً، فالهلاك لا يكون إلا ممن سخط الله عليهم، ولو كانت هناك قوة ذاتية هي التي جمعت له المال لحفظته تلك القوة من الهلاك، فأمره الله تعالى أن ينظر إلى من سبقه من الأمم ممن هم أشد منه قوة وأكثر مالاً، فلم تغن عنهم قوتهم ولا جمعهم من الله شيئاً فأهلكهم الله بكفرهم وعدم شكرهم^(٢)، ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا يسأل المجرمون عن كثرة ذنوبهم، إذا لا حاجة أن يسألهم الله عن أنواع ذنوبهم؛ لأنه سبحانه عليم بأحوالهم كما قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، وقوله تعالى: ﴿...ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل: ٨٤).^(٣)

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٤٤/٥).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٥٥/٦).

(3) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (١٦٢/٢٠).

نهاية قارون كما يصورها القرآن:

قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩).

فالقُرآن يصور لنا الحالة التي خرج فيها قارون على قومه، وهي أحسن وأكمل صورة، وليس في القرآن إلا هذا القدر بغض النظر عما ذكر من تفصيلات في وجوه الزينة، فلما رآه الناس على تلك الزينة، قال من كان يرغب ويتمنى الدنيا، ﴿ .. يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾، وهؤلاء إما أن يكونوا من السذج والجهال الذين يريدون الحياة الدنيا، وإما أن يكونوا من المؤمنين؛ لأن النفوس لما رأت هذا الموكب العظيم تحركت، وتطايرت من العيون قطرات التمني والاشتيا؛ والناس انقسموا إلى فريقين، الفريق الأول همه الدنيا ولا تشغل الآخرة فكره، فعظمت الدنيا في وجهه، وأشعلت فكره، والفريق الثاني: هم من أهل الحكمة والعلم والنظر، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠).

وهذه النظرة ثاقبة؛ لأنها قائمة على حساب سليم سديد مع الحياة الدنيا وحطامها، كما بيّن سبحانه وتعالى: ﴿ ... قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى يَقُولُونَ .. ﴾ (النساء: ٧٧)، فيرضى بما قسمه الله له منها، ويطلب الرزق من طرق شرعية، فيؤدي حق الله والعباد، ولا يصرفه هذا كله عن طلب الآخرة، ﴿ وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ أي: لا يظفر بها ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي قوله تعالى: ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ إلا الصابرون على طاعة الله، وعلى طلب زينة الحياة الدنيا، وإيثار ما عند الله تعالى عوضاً عن لذات الدنيا (١).

قال تعالى: ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُنَا لَا يَقْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴾ (القصص: ٨١ - ٨٢)

لما أشر وبطر على الخلق خسف الله به وبداره الأرض جزاء عتوه وبطره، ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ قال ابن كثير: "لما ذكر الله تعالى اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض" (٢)، فغُيِّبَ في الأرض هو وداره، فأصبح أترًا بعد عين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي -

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٦٢٩).

(2) تفسير القرآن العظيم: (١٠/٤٨٥).

ﷺ - قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمُتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) (١).

في لمحة خاطفة ابتلعت الأرض قارون وداره، بعدما كان يطأها مختالاً بجاهه وماله، كما يبتلع الحيوان فريسته، وهكذا تطوى صفحة سوداء من الضلال المتحرك، لتنتهي معالمه دون أن يكون له من ينصره من بأس الله ويدفع عنه هذا المصير، حينها انقشعت الغمة عن أعين السكارى الذين فتنوا بمال قارون، ووقفوا يحمدون الله تعالى أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس، ولم يؤتهم ما أتى قارون (٢)، وحينئذ ظهرت العبرة لمن يعتبر. فالحكم القاطع الذي يمليه هذا النموذج للساقطين في الغواية، أن الاغترار بالمال ونسيان مصدره الرئيس، ونسبة مصدره إلى النفس البشرية؛ قد يتحول هذا المال إلى نقمة وشقاوة في الدنيا والآخرة، ولذلك ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، وإن كثرت أموالهم، وإن ملكوا الدنيا فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

المطلب السابع: أصحاب السبت:

ويتحدث هذا النموذج عن مجموعة من اليهود، استخدمت التحايل على أمر الله، وعدم الالتزام بشريعة وسيلة للوصول إلى أهدافها، ظناً منها أن مثل هذا يجوز على الله تعالى. وكانت بداية هذا التحايل يوم أن اختار الله لهم يوماً مميزاً للعبادة فيه؛ لأنه ما من دين من الأديان إلا وله يومٌ للعبادة، فاختر الله - عزَّوجلَّ - لِبني إسرائيل يوم الجمعة، ليكون لهم عيداً أسبوعياً يجتمعون فيه، فهو اليوم الذي أتمَّ الله فيه خلق الكون، ولكنهم رفضوا الجمعة، واختاروا السبت لادعائهم أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السبت - تعالى الله عما يقولون - فهم يريدون أن يستريحوا ويتفرغوا للعبادة يوم السبت، فهم أبناء الله وأحباؤه كما يدعون، وهكذا كانت رغبتهم، فأعطاهم الله تعالى ما طلبوا، وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته في هذا اليوم، والله - عزَّوجلَّ - العليم بحالهم يعلم أنهم لن يوفوا بما أُلزموا به أنفسهم، فهم أهل الجدل، والعناد (٣)، ولقد شرفَّ الله تعالى أمة الإسلام بأن أعطاها يوم الجمعة، كما بين النبي - ﷺ - في قوله: (أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعُّ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه، رقم الحديث (٢٠٨٨)، ص (٨٣١).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٤٥/٥).

(3) انظر: (تفسير الشعراوي): للشعراوي (٥٠٦٩).

يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق^(١)، وهكذا عميت أبصارهم فاخثاروا لأنفسهم ما أملت عليهم شياطينهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل: ١٢٤).

فابتلوا به وحُرِّم عليهم الصيد، وأمرُوا بتعظيمه، والتفرغ لعبادة الله، ولكنهم أبوا إلا المضي في طريق العناد، والجدال، فجعلهم الله مثلاً وخلفاً، قال الله تعالى: ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

أي: اذكر لهم يا محمد واسألهم - وهذا السؤال توبيخ وتقريع - عن أهل تلك القرية وما حدث لهم نتيجة مخالفتهم لأوامر الله تعالى، " وبيان أن كفر المعاصرين منهم ليس جديداً، بل هو موروث؛ فإن أسلافهم ارتكبوا الذنب العظيم، وخالفوا أوامر الله تعالى"، وشرعه، وأتباعهم من معاصرينا على ذات الدرب^(٢). وحرَّهم من مخالفتك يا محمد، لئلا يحل بهم ما حل بسلفهم. وهذه القرية كانت ساحلية، اختلف المفسرون في اسمها، ذلك أن القرآن لم يذكرها مكتفياً بذكر قصتهم لأخذ العبرة منهم. ومعلوم أن اليهود لا يعملون يوم السبت، وإنما يتفرغون لعبادة الله تعالى، وحان موعد اختبارهم، وابتلائهم، ليتبين مدى صبرهم على طاعة الله تعالى.

ومن المعلوم أن الابتلاء يصقل النفوس المؤمنة، ويخرجها بعده أقوى عزمًا، وأشد إرادة، إذ تتربى من خلاله النفوس على الصمود أمام الملذات والمغريات.

فقد ابتلاهم الله تعالى، بأن جعل الحيتان تأتي يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها، ولا تأتيهم في سائر الأيام، فكانوا على ذلك برهة من الزمن، فانهارت عزائم فرقة منهم حتى وسوس لهم الشيطان أمرًا، فاحتالوا الحيل، فهذه صفتهم، وبدأوا بالصيد يوم السبت، فهم لم يصطادوه يوم السبت مباشرة وإنما أقاموا الحواجز والحفر، فإذا قدمت الحيتان وقعت في تلك الحفر فلم تستطع الخروج، فيصطادونها يوم الأحد، وكان هذا الاحتيال بمثابة صيد وهو محرم عليهم، فانقسم الناس لثلاث أمم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّا مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكَزَ وَاللَّهُمَّ يَنْفِقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٤).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب، الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم الحديث (٨٥٦)، ص (٣٠٧).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الزحيلي (١٤٢/٩).

والأمة اصطلاحاً: " هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصور واحد، وتدين لقيادة واحدة" (١)، فأصبحوا: أمة عاصية غير ملتزمة بشرع الله -تعالى- وتعمل بالحيل، وأمة لا تعصي الله، ولكنها تقف موقفاً سلبيًا فهي لا تتكر عليهم ما فعلوه، بل تتعجب من صنيع المنكرين، كيف ينكرون على أمة وقد كتب الله عليهم العذاب، وأمة طائعة لله وقفت في وجه الباطل بكل قوة ترشده، وتأمره بالمعروف، وتحذره من غضب الله تعالى، وكان ردهم على المنكرين بقولهم: عظتنا إياهم معذرةً إلى ريكم، نؤدي فرضه علينا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلمهم ينتقون فيرجعون عن تعديهم، وارتكابهم لما حرم الله تعالى (٢).

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٥)

لما استكبر العصاة، ولم تجد كلمات المؤمنين معهم نفعاً حل بالعصاة العذاب البئيس - أي الشديد - جراء إمعانهم، وإصرارهم على المعصية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلم يروهم، فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأناً! فانظروا ما هو، فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، قد دخلوها ليلاً فغلقوها على أنفسهم، كما يعلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد، قال ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء لقلنا أهلك الجميع منهم" (٣).

أما تلك الأمة الساكنة، فقد سكت النص القرآني عن ذكرها بشيء.

يقول سيد قطب: " ربما تهويئاً لشأنها، وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب، إذ إنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي، فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب" (٤).

ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أَنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنَّمُومًا وَأَلْقَانِيزِرَ وَعَبَدَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠).

والروايات التي تتحدث عن المسخ، وعن حياتهم بعد المسخ، كثيرة، يستطرد بعض المفسرين في ذكرها، نتوقف دون الخوض فيها، ذلك أن القرآن قد سكت عنها ولم يرد لها ذكر صحيح في السنة النبوية، وما ورد في السنة

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣/٣٠٩).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٣/١٨٥). و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٠٩)، و(تفسير الشعراوي): للشعراوي (٣٠٨٨).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١/٢٩٠).

(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٠٩).

النبوية فقط هو السؤال عن نسل القردة والخنازير، فقد سئل النبي -ﷺ- عن نسل القردة والخنازير، هل هي مما مسح؟ فقال النبي -ﷺ-: (إن الله -عز وجل- لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلًا، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك) (١).

وقد ذكرت السنة النبوية أن أممًا أخرى من بني إسرائيل قد مسخت فترانًا والعياذ بالله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (فُفِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَلَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ إِلَّا تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبْتُهُ)، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ كَعَبًا فَقَالَ أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ ذَلِكَ مِرَارًا (٢)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أفعالهم الشنيعة مع ربهم منذ القدم.

وهذا تنبيه لنا من الله تعالى؛ لأن ندرك خطورة مخالفة شرعه، وخطورة التحايل على أوامره؛ لأنه عنوان واضح للسقوط في الغواية، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقْتًا يَبْهَتُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ١١٦)، لأن المعاصي عندما تعم وتستشري، لا بد من الدعاة والمصلحين أن يقوموا بواجبهم في النصح والتذكير، والنهي عن المنكر؛ لينجوا من عذاب الله وسخطه.

لقد جعل الله تعالى أصحاب السبب يترنحون ما بين النكال والموعظة جراً فعلتهم الشنيعة، فتناول القرآن ذكرهم في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥ - ٦٦).

ففي هذه الآية أيضاً الخطاب لليهود الذين جحدوا رسالة النبي -ﷺ- واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا، فهم ينكرون ويكتمون سيرة أسلافهم ممن غضب الله عليهم، فالنبي -ﷺ- يذكرهم بالمصير نفسه، إن هم بقوا على ذات المنهج، وهذا من دلائل نبوته -ﷺ-، فهو يخبرهم بما لا علم له به ولا قومه قبل نزول القرآن، ولا يعلم هذا الأمر سواهم، ولذلك قال الله لهم: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾، ونظيره في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْزَها عَلَى أَدْبَارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (النساء: ٤٧)،

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص...، رقم الحديث (٢٦٦٣)، ص (١٠٢٧).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرفائق، باب: في الفأر وأنه مسح، رقم الحديث (٢٩٩٧)، ص (١١٤٣).

ولذلك جعل الله تلك القرية عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، للأمم الذين كانوا في زمانها، أو الذين جاءوا من بعدها، وخص السياق الموعظة للمتقين لا لغيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون وحدهم بمثل هذه الحوادث، قال الله تعالى: ﴿ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

نموذج آخر للذين سقطوا في الغواية، وهذا النموذج رهيب عن من أعطاه الله آياته وهداياته، وعلمه، فانسلك منها كما تنسلخ الحية من جلدها، قال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغٰوِيْنَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ ءَأَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلهٖتْ أَوْ تَرْكُهُ يَلهٖتْ ءَ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصِ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦).

يتحدث القرآن الكريم عن مشهد من المشاهد العجيبة، إنسان يؤتية الله تعالى من آياته، ويسبغ عليه من نعمائه، ويكسوه من علمه؛ ولكنه ينسلخ من هذا كله انسلاخًا، ينسلخ كأنما الآيات أديمٌ له متلبسٌ بلحمه، ينسلخ من آيات الله، وينحرف عن الطريق القويم، ليتبع هواه، ويسقط في الغواية، ليستحوذ عليه الشيطان، فيصبح ألعوبة بيده يوجه حيث يشاء، ثم إذا نحن أمام مشهد مفرع، إذا نحن بهذا المخلوق، لاصفًا بالطين، ثم إذا هو مسخ على هيئة كلب، يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد، فيأمر الله نبيه بأن يقرأ على اليهود خبر هذا الإنسان الذي أصبح من الغاوين بعد أن كان من الراشدين المصلحين (٢).

قال الواحدي: "قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: نزلت في بلعم بن باعوراء من بني إسرائيل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وغيره من المفسرين: هو بلعم بن باعوراء" (٣).

وقال ابن كثير: "قلت: هو بلعام بن باعوراء ويتصل نسبه بلوط بن هاران بن آزر... قال ابن عساکر: وهو الذي كان يعرف الاسم الأعظم فانسلك من دينه وله ذكر في القرآن" (٤).

وأما بلعام فقد ارتدَّ عن دينه، وباع الآخرة بالدنيا، وبمجرد ارتداده عن دينه ﴿ فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغٰوِيْنَ ﴾ وكان الشيطان كان بعيدًا عنه، يتريص به، للوقوع في لحظة ضعف فيستحوذ عليه، فعلاً وبمجرد ابتعاده عن الدين جاءه الشيطان فكان من الغاوين، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ ءَأَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ أي لو شاء الله تعالى لثبَّت هذا الرجل على دينه، ورفع في الدنيا والآخرة وأصبح له شأن لكنه خسر الدنيا والآخرة،

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١/١٦٠).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٢١).

(3) أسباب نزول القرآن: الواحدي (١/٨١).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٦/٤٥٤).

ولكنه أخذ إلى الأرض، وشأنه كشأن الكثير من علماء السلاطين الذين يفتون للسلطان هذا حلال وهذا حرام، حسبما يريد، مقابل شهرة ومتاع زائل، يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً. ﴿... فَثَلَّهِ كَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ﴾. فقد شبه الله تعالى الرجل بأخس الحيوانات الذي هو الكلب، الذي من طبيعته اللهث سواء كان متعباً، أم مستريحاً، وخص الكلب بالذكر دون غيره من سائر الحيوانات؛ لأن الكلب همته لا تتعدى بطنه، وهكذا الكافر فهو دائم اللهث على الدنيا ومتاعها^(١)، ولهذا استوى علم بلعام، وجهله، فهما سواء، ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

فكل من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً وبدل دينه مثله كمثل بلعام، فأمر الله نبيه -ﷺ-: أن يقص تلك القصص على الناس للتحذير من تبديل الدين مقابل دنيا فانية، فكم من علماء السلاطين اليوم أمثال بلعام سقطوا في الغواية كما سقط، وجعلوا فتواهم مطيئةً لسلاطينهم، يسفكون من خلالها دماء الأبرياء، وينشرون في الأرض الفساد، فهم لا يقولون كلمة الحق، بل لا يتجرؤون، نسأل الله -تعالى- الثبات؛ لأن القلوب كما قال -ﷺ-: (إن قلوب بني آدم كلُّها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء"، ثم قال رسول الله -ﷺ-: "اللهم مُصَرِّفِ القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"^(٢).

والثبات على الدين ليس بالأمر الهين، ولكنه يحتاج إلى دعاء ومجاهدة النفس على هذه الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩). ومن هنا لا بد أن يأخذ كل من زاده الله بسطة في العلم، العبرة والموعظة من قصة بلعام، وأن يستعين بكل موانع الوقوع في المعصية، حتى يستشعر مكر الله فلا يأمنه أبداً إلا القوم الخاسرون، كما قال -تعالى-: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩).

المطلب التاسع: صاحب الجنتين في سورة الكهف.

هذا النموذج يضرب الله -عزَّوجلَّ- من خلاله مثلاً لرجلين في الماضي، كان بينهما صلة وصحبة، أحدهما مؤمن والآخر كافر، واكتفى القرآن بذكر قصتهما، فلم يذكر لنا أسماءهما، ولا مكانهما، ولا زمانهما، مكتفياً بأخذ العبرة والعظة، والذي يهْمُ الباحث في هذا المطلب هو الرجل الكافر صاحب الجنتين، وسيتناول

(1) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٣١١/٢).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم الحديث (٢٦٥٤)، ص (١٠٢٣).

الباحث صاحبه المؤمن في المبحث الثاني والذي بعنوان: نماذج للناجين من الغواية. قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ (الكهف: ٣٢ - ٣٣).

لقد ابتلى الله الرجل الكافر بأن بسط له الرزق، ووسع عليه في دنياه، وآتاه من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وما ذلك إلا ابتلاءً منه ليشكر، أم يكفر، كما قال الله -تعالى- في حق سليمان - عليه السلام- ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ (النمل: ٤٠).

قال تعالى: ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾

لقد جعل الله -عز وجل- لذلك الكافر (جنتين) أي بستانين، أو مزرعتين، لم يبيّن سبحانه وتعالى مكانهما مكتفياً بالعبارة والعظة، فأصبح يملك بستانين، وقد وصف القرآن الكريم هاتين الجنتين وصفاً عجبياً، إذ كانتا مزروعتين بالأعناب، وكانتا مسورتين بنخل من جميع جهاتها، وكان صاحبهما يزرع الزرع بين تلك الأعناب، وقد فجر الله له نهراً، فأصبح الماء يجري بين الجنتين المزروعتين، بدون جهد بشري، وقد صور القرآن هاتين الجنتين وكأنهما مزروعتين بتناسق هندسي جميل، النخل كان محيطاً بهما، والزرع والخضار والبقول يزرع بين أسراب الأعناب، والنهر وقنواته يجري بينهما، حتى إذا آتت أكلها، وأصبح الثمر جاهزاً للقطف، واستوى على سوقه، كما قال تعالى: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٢﴾ ولم تظلم: أي لم ينقص منها شيء، كما يحدث في أغلب البساتين؛ لأن الثمار غالباً تكثر في عام وتقل في عام، وهكذا الأشجار^(١).

فهذا المنظر الساحر الخلّاب يحتاج إلى شكر دائم، فماذا كان من صاحب الجنتين؟

قال -تعالى-: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ (الكهف: ٣٥ - ٣٦).

أعجب الرجل بجنتيه، وامتألت نفسه بهما، وازدهاه النظر إليهما، فاختال كالتطاووس، وملاً نفسه بالبطر، ونسي أن يشكر الله تعالى على ما أعطاه من تلك النعم.

فدخلها وهو كافر بربه، متكبر على الآخرين، فوصل به الغرور بأن يجحد نعم الله عليه، موهمًا نفسه أن هذا النعيم لن يفنى أبداً، ثم انتقل إلى مرحلة متقدمة من مراحل الغرور وهي إنكار البعث بعد الموت قائلاً لأخيه: وحتى لو كان البعث حقيقة سيقع؛ فإن الله سيعطيني في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا، أي جحود وكفران للنعمة أكبر من هذا، فلقد اطمأن هذا الرجل إلى الدنيا ونسي أنها لا تبقى لأحد، قال -تعالى-: ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ

(1) انظر: (روح المعاني): الألويسي (٢٤٩/١١) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٦٤/٥).

زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿٤٦﴾ (الكهف: ٤٦)، وظن أنه مادام الله تعالى أنعم عليه في الدنيا فلا بد أن ينعم عليه في الآخرة، والحقيقة أن هذا قياس فاسد؛ لأن الكفار ينعمون في الدنيا، فتعجل لهم طبيباتهم في حياتهم، ولكنهم في الآخرة يعذبون، وهذا كقوله - تعالى - ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوَى الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

(فصلت: ٤٩ - ٥٠) (١)، ولذلك قابل هذه النعم بهذا التمرد، والعناد، بقوله: ﴿وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ فقوله هذا إما على وجه التهكم والاستهزاء، فيكون زيادة كفر على كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس؛ إذ لا تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، ونسي قدرة الله الذي أعطاه ومكنته، بأن يسلبه ما آتاه (٢).

فماذا كانت نتيجة هذا البطر، والغرور، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾﴾ (الكهف: ٤٢ - ٤٣). قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ وكأن للثمر سورٌ يحيط به، فلا يكون له منفذ، كما في قوله تعالى: ﴿...وَوَطَّنُوا أُنثَمَ أُحِيطَ بِهِمْ...﴾ (يونس: ٢٢).

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ ولم يقل: أحيط بزرعه أو بنخله؛ لأن الإحاطة قد تكون بالشيء، ثم يثمر بعد ذلك، لكن الإحاطة هنا جاءت على الثمر ذاته، وهو قريب الجنى قريب التناول، وبذلك تكون الفاجعة فيه أشد، والثمر هو الغاية والمحصلة النهائية للزرع (٣).

قال تعالى: ﴿فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾﴾ (الكهف: ٤٢ - ٤٣)، وهنا تصويرٌ بديعٌ لما اعتري هذا الجاحد من غم وهم وحسرة وندامة، وهو ينظر إلى جنته كيف كانت عامرة وزاخرة بأنواع الثمرات، وكيف أصبحت ساقطة ومتهدمة كأنها لم تغن بالأمس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦٤/٥)، و (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين ص (٧١)

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٤٧٧/١).

(3) تفسير الشعراوي: الشيخ الشعراوي (٥٤١٥).

النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آمْنًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ (يونس: ٢٤).

فأصبح يقول يا ليتني اتبعت نصيحة صاحبي فلم أشرك بربي أحدا، حتى الفئة التي كان يتظاهر بها ويتكبر على الناس بها، بأنهم سينصرونه ويقفون معه لم تغن عنه من بأس الله شيئا. فالأصل في المسلم ألا يصل إلى قول يا ليتني؛ لأنه حينها ولات حين مندم، بل يسرع إلى التوبة في كل وقت وحين.

ولذلك ينبغي أن يعلم الإنسان أن الله تعالى أعطاه هذه النعم ليتقرب بها إليه، وليس ليستغني بها عنه،

كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَىٰ ﴿٧﴾ (علق: ٦ - ٧).

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ (الكهف: ٤٤).

قال ابن كثير: "ثم اختلفوا في قراءة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ فممنهم من فتح الواو، فيكون المعنى: هنالك الموالاتة لله،

أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر، يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿فَلَمَّا

رَأَوْا بِأَسَنًا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ (غافر: ٨٤) (وكقوله إخباراً عن فرعون: ﴿... حَتَّىٰ إِذَا

أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ (يونس: ٩٠)، ومنهم من كسر الواو

من (الْوَلَايَةُ) أي: هنالك الحكم لله الحق^(١).

قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾، أي: "خير إثابة وإعطاء لأولياؤه، وخير عاقبة لمن تاب وأمن وعمل

صالحا ثم اهتدى"^(٢).

فالسبب الرئيس لبقاء النعم ودوامها هي شكر الله وطاعته، وأما الغرور والافتتان بها سبب من أسباب زوالها

وهلاكها كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ (إبراهيم: ٧).

المطلب العاشر: أصحاب الجنة في سورة القلم.

ويتحدث هذا النموذج عن مجموعة من الأخوة فنتهم المال، وغرهم الطمع، وظنوا أن ما بأيديهم هو الباقي، ونسوا

قول الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾ (نحل: ٩٦)، وعابوا على أبيهم الذي كان يقطع جزءاً من نتاج

(1) تفسير القرآن العظيم (١٦٠/٥).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سيد طنطاوي (٥٢٤/٨).

أرضه يوم جَنِّي الثمار، فأجمعوا أمرهم على حرمان الفقراء حقهم ونصيبهم الذي فرضه الله لهم، وقرروا حصاد محصولهم ليلاً، لئلا يراهم الفقراء، لكن المفاجأة أن قلب الله مكرهم على أنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿... وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ (الأنفال: ٣٠)، فدمر الله محصولهم جزاء شحهم ويخلهم على الله ونسوا أنهم أمناء على هذا المال، فالمال مال الله، والعيال عيال الله وقد تحدث القرآن الكريم عن قصتهم بنوع من الإسهاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهَرَوْنَهَا ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتَا كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمَا إِن كُنتُم صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهَرَوْنَكَ فَخَفَّتْ لَكُمَّ الْأَرْضُ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لِفٰلْسُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ مَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَمْل لَكُمْ لَوْلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَن يَّبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ١٧ - ٣٣)

فهذه القصة وهذا النموذج ساقه الله تعالى للذين بطروا نعمته من كفار مكة، فلم يشكروه على تلك النعم الجسيمة، وهي بعثة النبي محمد ﷺ - إليهم، ومقابلتهم إياه بالتكذيب والمحاربة، وقد كانت قصة أصحاب الجنة شائعة ومعروفة عندهم، فيذكروهم الله بها ويعاقبه حالهم.

(وأصحاب الجنة) هم: مجموعته نفر ورثوا بستاناً عظيماً عن أبيهم الصالح، الذي كان يعطي الفقراء والمساكين حظهم منها، ولكن الورثة بيئوا بشأن جنتهم أمراً، أرادوا أن يستأثروا بالثمار وحدهم فلا يشاركهم أحد، وأن يحرمو المساكين حظهم^(١).

قال تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ أي: أنهم أقسموا أيماناً مغلظة على ذلك، رغم اعتراض أوسطهم، ولعل أوسطهم وافقهم على ما أقسموا عليه باعتبار إسناد الفعل لجميعهم، ومعنى قوله -تعالى- ﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ أي: لا يجعلوا شيئاً ولو قليلاً من ثمار هذا البستان، وقيل لم يقولوا إن شاء الله من شدة غرورهم، وقوله -تعالى- ﴿فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهَرَوْنَهَا﴾ الطواف: هو المشي حول الشيء من كل جوانبه، ولم يعين هنا جنس الطائف فلعله من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، وعن الفراء: أن الطائف لا يكون إلا بالليل زمنه سمي الخيال الذي يراه النائم في نومه طيقاً، وتكوين كلمة طائف يفيد التعظيم بمعنى أن الطائف كان عظيم التدمير، وقوله -تعالى- ﴿وَهَرَوْنَهَا﴾ وهو تقييد لوقت الطائف، وقوله -تعالى- ﴿فَأَصْبَحَتَا كَالصَّرِيمِ﴾ قال ابن

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٨٥/٨) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٠٠/٧).

عباس رضي الله عنهما: "أي كالليل الأسود، وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حُصد، أي هشيمًا يبسًا"^(١)، وقوله - تعالى - ﴿فَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾ أي: فلما أصبحوا تتادوا لإنجاز ما أجمعوا عليه أمرهم، والتنادي: أن ينادي بعضهم على بعض وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين، وقوله - تعالى - ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ والغدو: الخروج ومغادرة المكان في غدوة النهار، ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: بستانكم إن كنتم قاصدين للصرم وقطع الثمار، وقوله - تعالى - ﴿فَانْطَلِقُوا فِيهَا يَمْتَسِحُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ أي خرجوا منسلين بهدوء دون أن يشعر بهم أحد ثم فسر الله تعالى عالم السر والنجوى ما يتخافتون به، قال - تعالى - ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ يقولون لبعضهم البعض لا تجعلوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم، وقوله - تعالى - ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثِ قَدِيرِينَ﴾ أي: انطلقوا وهم قادرون على المنع والحرمان، وقوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ أي: فلما أشرفوا عليها فجعوا بما رأوا، فأصبحت جنتهم بغير الحال التي كانت عليه من الخضرة والنضرة والثمار، وأصبحت سوداء مدلهمة لا ينتفع منها بشيء، فاعتقدوا أنهم ضلوا الطريق، ولهذا قالوا إنا لضالون، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتأكدوا أنها هي، فقالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: لا حظ لنا فيه ولا نصيب، والجزاء من جنس العمل، بيّتوا النية لحرمان المساكين فحرّمهم الله - تعالى - من كل الثمار، وقوله - تعالى - ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ﴾ أي: قال أعدلهم وخيرهم مذكراً لهم بأنهم لم يأخذوا برأيه، وأصروا على معصيتهم، وكان جوابهم يتضمن إقراراً بأنه وعظهم فعصوه، وقوله - تعالى - ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ إقرار بالندم وتقرير لإجابة أخيمهم بتسبيح الله - تعالى - جراء اقترافهم للمعصية، وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَمَّذُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالُوا نَبْوَلْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾ فكما هي العادة عند وقوع المصائب، فكل شريك ينتصل من التبعة، ويتوجه باللوم على الآخرين فهم يصنعون الآن ذلك، ثم تركوا التلاوم فيما بينهم ليعترفوا جميعاً بالخطيئة أمام العاقبة السيئة، وقوله - تعالى - ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَمُدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ إقبال على الله مصحوب بالندم وطلب المغفرة، والعوض، عسى الله أن يبدلنا خيراً من تلك الجنة، إنا إلى ربنا، لا غير، مقبلون وطالبون للصفح والعفو والغفران، وقوله - تعالى - ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هكذا عقاب الله - عز وجل - لمن خالف أمره، وبخل بما أعطاه الله من نعم، ومنع حق المساكين والمحتاجين، فهذه عقوبة الدنيا، أما عذاب الآخرة؛ فإنه أشق وأخزى^(٢).

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٩٦/٨).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٩٧/٨) و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الألوسي (١٨٣/٢١) و(التحرير والتنوير): ابن عاشور (٨٣/٢٩) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٠١/٧).

وقد ساق القرآن الكريم هذا النموذج للساقطين في الغواية إلى كفار مكة، وقد كان هذا النموذج متداولاً بينهم في القصص، فيربط بين سنته في الغابرين وسنته في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إليهم، وفي ذات الوقت يشعر المؤمنين بأن ما يرونه بأيدي الكفار من النعم والثروة إنما هو ابتلاء من الله له عواقبه ونتائج^(١)، وهي من سنته كقوله - تعالى - : ﴿... وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً تُرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقوله - تعالى - : ﴿... وَتَبْلُوكُمْ بِالمُحْسِنَاتِ وَالمُسِيئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وهذا النموذج بيّن لنا كيف نشكر نعم الله، وكيف نتنصر على أنفسنا الأمانة بالسوء، فنخرج زكاة أموالنا لنظهر بها قلوبنا، وأموالنا، وندخل السعادة على وجوه الفقراء والمحرومين، وفي نفس الوقت لنذكر ما ينتظر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله من العذاب الأليم، كما في قوله - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ ءَأْمَآلَ النَّاسِ بَالْبِطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة: ٣٤)، وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُمْ مِن فَضْلِهِ. هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ. يَوْمَ الفِئِمَّةِ وَلِلَّهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

وكما أخبر النبي - ﷺ -، وهو يتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة للذين لا يؤدون زكاة أموالهم ولا يؤدوا حق الله منها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يُطَوَّقُهُ يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، أنا مالك)، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُمْ مِن فَضْلِهِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)^(٢)

الخلاصة:

لقد كانت هذه النماذج للمهلكين الذين سقطوا في الغواية نتيجة كفرهم وطغيانهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق، فقد ضربها الله - تعالى - لنا للاتعاظ بما آل إليه مصيرهم جراء كفرهم، واكتفى الباحث بذكر هذه النماذج مع أن القرآن الكريم يعج بغيرها، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، لاحتوائها على الكثير من العبر والدلالات، وقد حرص الباحث على مراعاة التسلسل الزمني فيها.

لقد بيّن لنا القرآن الكريم أن الهلاك والعقاب لا يمتنع عن أبناء وزوجات الأنبياء ممن سقطوا في الغواية، إذ الرابطة المنجية من الهلاك؛ إنما هي رابطة الإيمان، وما دون ذلك لا قيمة له عند الله - تعالى -، وأن الأقوام التي

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٠١/٧).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم الحديث (١٤٠٣)، ص (٢٦٠).

تقلب فطرة الله ولم تتصع لأوامر الله وتوجيهات أنبيائه؛ فإن العقاب سيحل بديارهم، وأن من تكبر على الله وادّعى لنفسه الملك والسلطان والربوبية والألوهية لم يهمله الله، وإن أمهله؛ لأن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل، وإنما يؤخرهم لأجل معدود، فقد رأينا كيف انتقم الله منهم.

وقد جعل الله - تعالى - المال والجاه والسلطان سبباً رئيساً للوقوع في الغواية إن لم يستعمل في مساره الصحيح الذي رسمه الله، فنسيان مصدر المال، واغترار النفس به تحوله إلى نقمة وشقاوة في الدنيا والآخرة، فهذه النماذج وغيرها التي في القرآن؛ إنما هي علامات، وإشارات على طريق المؤمن ليكون يقظاً فطناً فلا تخدعه الدنيا ببريقها وزينتها وزخرفها، ويعلم أن مردّه إلى الله، وأنه ما وجد في هذه الدنيا إلا للابتلاء والتمحيص.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنتين.

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

لقد كان لإبليس - لعنه الله - مواقف خبيثة مع جميع الأنبياء - عليهم السلام -؛ لأن إبليس تعهد بإغواء جميع الخلق دون استثناء، كما في قوله تعالى عن الشيطان: ﴿ قَالَ فِعْرَنِكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ (ص: ٨٢ - ٨٣). غير أن الله تعالى عصم جميع الأنبياء - عليهم السلام - من الوقوع في شركه، وسيدنا يوسف - عليه السلام - ابتلي بأنواع من المحن والشدائد، من إخوته، وفي بيت العزيز، وفي السجن، وفي تأمر النسوة حتى نجاه الله من تلك المصائب، ولولا أن الأنبياء معصومون لسقط يوسف عليه السلام في تلك الغواية كبقية الخلق؛ ولكن عصمه الله من الوقوع فيها، واختار الباحث قصته مع الغواية، وكيف أنجاه الله منها، لتكون عنواناً لكل من وقع في مثل غوايته، كباقي سير الأنبياء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

وسيتحدث الباحث عن الغواية التي تعرض لها سيدنا يوسف - عليه السلام - من امرأة العزيز، وكيف أنجاه الله منها، لتكون عنواناً لشباب الأمة في هذا الزمن الذي ضج بالشهوات والفتن.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٢) وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُبْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهِ ؕ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٢ - ٢٤).

بيِّن لنا الحق - سبحانه وتعالى - أن يوسف - عليه السلام - قد بلغ مرحلة الفتوة، وأصبح جاهزاً لاستقبال التكليف والمحن، بعد أن كان طفلاً صغيراً لم تكن عليه ملامح الرجولة التي تُهيِّج امرأة العزيز؛ لكنه بعد أن بلغ نجد أن الحال تغير وتبدل، فأصبحت امرأة العزيز تدرك مفاتنه، وأصبح خيالها يسرح فيما هو أكثر من الإدراك، وهو التهاب الوجدان بالعاطفة، لتأتي مرحلة النزاع بعدهما؛ لأن يوسف - عليه السلام - يعيش في كنفها في ذات القصر، إذ لو كانت محجوبة وبعيدة عنه لما حدثت الغواية^(١).

لقد كان يوسف - عليه السلام - في غاية الحسن والجمال، كيف لا وقد قال عنه - ﷺ - في حديث الإسراء الطويل، قال - ﷺ -: (... ثم عَرَجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل:

(١) انظر: (تفسير الشعراوي): الشعراوي (٤٣٨٦).

ومن معك؟ قال: محمد -ﷺ-، قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه، ففُتِحَ لنا، فإذا بيوسف -ﷺ- إذا هو قد أُعطيَ شطرَ الحُسنِ، فَرَحَّبَ ودعا لي بخير...^(١).

وقد أوصى عزيز مصر امرأته بإكرامه، وحسن رعايته، والظاهر أنهم لم يرزقوا بالأبناء، ولهذا قال عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكَدًّا... ﴾ (يوسف: ٢١)، فأحبته امرأة العزيز حباً، ينتهي عنده الوصف، فبعد أن بلغ أشده نظرت إليه امرأة العزيز نظرة مختلفة، فدعته لمخالطتها، وتزينت له في أبهى زينة لمواقعته إياها، يوضحها الله تعالى في قوله: ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ وَفِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾

المرادة: هي الملاطفة في السوق إلى غرض، وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة بهذا المعنى بين الرجال والنساء، وتقتضي تكرير المحاولة، وهي: بصيغة المفاعله، والمفاعله مستعمله في التكرير^(٢)، وقوله - تعالى - : ﴿ ... وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ فامرأة العزيز غلقت الأبواب، وأحكمت الإغلاق؛ لأن من يفعل الأمر القبيح يعلم فُبح ما يفعل، ويحاول أن يستر فعله، وهي فعلت ذلك بمنأى عن يعيشتون في القصر، وأخذت وقتاً وهي تراوده عن نفسه، وهو يمتنع أشد الامتناع، بصبره، وعفته، وتقواه، "مع أن الذي ابتلي به يوسف - عليه السلام - أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله - تعالى - فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هاهنا في غاية القوة"^(٣)، وقوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أي تهيأت له بأحسن ملابس، وأحسن صورة على اختلاف القراءات، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

استعاذ والتجأ إلى الله - تعالى - وهذه حاله حرجه، شاب وامرأة في مكان خالٍ وآمن، والإنسان ضعيف قد فطره الله على الميل إلى الجنس الآخر، فربما تسول له نفسه أن يفعل^(٤)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾، قال بعض المفسرين: إن ما قام به يوسف - عليه السلام - هو همُّ الفعل، وقد رووا في ذلك أساطير كثيرة، يصورون فيها نبي الله بصاحب الغريزة الهائجة المندفعة التي لا يوقفها شيء، لولا أن ساق الله له البراهين الكثيرة وساقوا لها أمثلة، والراجح ما أورده جمهور المفسرين، على أنها همت به همُّ الفعل، وهمَّ بها همُّ النفس، ثم تجلّى له برهان ربه

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله -ﷺ- إلى السموات وفرض الصلوات، رقم الحديث (٢٥٩)، ص (٧٩).

(٢) انظر: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): ابن عطية (٢٣٢/٣)، و(التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٥١/١٢).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم (١٤٨/١).

(٤) انظر: (تفسير القرآن الكريم، جزء عم): ابن عثيمين (٢٤٧).

فترك^(١)، وهذا الهم كما يقول سيد قطب: " هو نهاية موقف طويل من الإغراء، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف؛ ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة"^(٢).

لقد تكاملت في هذا النموذج دواعي الغواية، تكاملاً لا نكاد نجده في أي نموذج آخر، فها هي امرأت العزيز تقابل سيدنا يوسف - عليه السلام بثلاث دواعي يحدثنا عنها القرآن الكريم وهي: المرادة، وتغليق الأبواب، وقولها هيت لك، قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

فقوبلت دواعي الغواية بثلاث دواعي للعفاف من سيدنا - يوسف عليه السلام -، وهي قوله: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون، كما قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، والقرآن الكريم رسم لنا هذه الصورة عن تلك الغواية ليجب علينا الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، فما أحوجنا إلى هذا النموذج في ظل الفتن والمغريات^(٣) وقد استعانت عليه لإيقاعه في الحرام بأمر كثيرة، حيث ذكر ابن القيم - رحمه الله - ثلاثة عشر وجهاً وهي باختصار:

أولاً: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة.
ثانياً: أن يوسف عليه السلام كان شاباً.
ثالثاً: أنه كان عزياً لا زوجة له.
رابعاً: أنه كان في بلاد غربة.
خامساً: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال.
سادساً: أنها غير آبية ولا ممتعة.
سابعاً: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد.
ثامناً: إنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها.
تاسعاً: إنه لا يخشى أن تنمي عليه هي ولا أحد من جهتها فإنها هي الطالبة والراغبة وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٦٤/٧).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣٠١/٤).

(٣) انظر: (مناهل العرفان): الزرقاني (٦٢٦/٢).

عاشرا: أنه كان مملوكا لها في الدار.

حادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال فأرتهن إياه، وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ثاني عشر: أنها توعدته بالسجن والصغار.

ثالث عشر: أن الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما خاطبهما به، أن قال ليوسف أعرض عن هذا وللمرأة استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع.

ومع شدة هذه الدواعي إلا أن يوسف - عليه السلام - أثر مرضات الله وخوفه، وحمله على اختيار السجن على ارتكاب الفاحشة^(١)، غير أن بعض الجهال اتهموا يوسف - عليه السلام - بأنه أيضا صاحب الفعل.

قال الفخر الرازي: "قد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات:

أولها: قوله ﴿...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾، والثاني: قوله ﴿وَالْفَحْشَاءَ قَالَ...﴾ أي: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، والثالث: قوله ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا﴾ والرابع: قوله ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾...، وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾ (ص: ٨٢ - ٨٣) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى، وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه التهمة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته^(٢).

خلاصة القول:

أن يوسف - عليه السلام - لم يستسلم لكيدهن، بل التجأ إلى الله تعالى، فنجاه الله - تعالى - من تلك الغواية والتي هي أعظم من كيد الشيطان، لأن الله - تعالى - وصف كيد الشيطان بالضعف، فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦)، ووصف كيد النساء بالعظم، فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٢٨).

لذا لا بد للمسلم أن يستشعر خوف الله تعالى ورقابته، فلا يطلق العنان لنفسه، أن تقوده نحو المعصية؛ لأن النفس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ﴾ (يوسف: ٥٣) ولا يطلق العنان لبصره، فينظر إلى ما حرم الله عبر الإنترنت، أو الفضائيات، أو غيرها، ولا يبالي من أجل تمتع ناظره، بل يتذكر قول الله - تعالى -:

(١) انظر: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) (١/١٤٨).

(٢) مفاتيح الغيب (٩/٢٢).

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور: ٣٠)، وليس النساء بمنأى عن هذا النداء، بل قال - تعالى - : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ (النور: ٣١)، فإذا وقع في معصية يتوب منها ويتذكر قول الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

ومع نموذج آخر للذين نجوا من الغواية؛ نتيجة استعلاء الإيمان في قلوبهم ويتمثل بإمراة فرعون، وقد ذكر القرآن الكريم امرأة فرعون في موضعين اثنين:

أولها، قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتْ أُمَّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا بَشْعُرُونَ ﴾ (القصص: ٩)، والموضع الثاني، قوله - تعالى - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحریم: ١١).

لم يذكر القرآن اسم امرأة فرعون، وإنما ذكرتها السنة النبوية، والتي هي شارحة لكتاب الله - عز وجل -، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (كَمَلَّ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ.....) (١).

وأسيية بنت مزاحم، كانت من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، تزوجها فرعون، فكانت بخلافه، صاحبة قلب يملؤه الرحمة، وأماً للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم (٢)، جعلها الله - عز وجل - مثلاً أعلى للمؤمنين، وجعلها النبي - ﷺ - من أفضل نساء أهل الجنة، ومن النساء الكُمَّل في هذه الدنيا من لدن حواء إلى قيام الساعة. قال السدي: " أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني إسرائيل سنة، ويتزكوا سنة؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى - عليه السلام -؛ فلما أرادت وضعه، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها" (٣)

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب، فضائل أصحاب النبي - ﷺ -، باب: فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث (٣٧٦٩)، ص (٦٨٤).

(٢) انظر: (معالم التنزيل): البغوي (١٩٣/٦).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٥١٩/١٩).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي.....﴾ (طه: ٣٩) أي: "أحببه الله وحببه إلى خلقه"، وقال ابن عطية: "جعل عليه مسحة من جمال، لا يكاد يصبر عنه من رآه"، وقال قتادة^(١): "كانت في عيني موسى -عليه السلام- ملاحه، ما رآه أحد إلا أحبه، وعشقه"^(٢).

فاجتمع على أم موسى حبها الفطري لوليدها وحبها بسبب إلقاء محبة الله فيمن ينظر إليه، فلما ضاق عليها أمرها، أوحى الله إليها أن ترضعه، وتضعه في التابوت، وتلقيه في اليم، كما في - قوله تعالى -: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧).

وقوله - تعالى -: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧)، أمرها الله عز وجل - بوجي إلهام - بإرضاعه، فإذا خافت عليه من يقتل من فرعون، أمرها أن تقذفه في اليم، ولا تحزن على فراقه، وأن تكل أمره إلى الله، وأن تضرب بالخوف والحزن جانباً؛ لأنه في رعاية الله - عز وجل -، فاستجابت أم موسى، ووضعت ابنها في التابوت استجابة لوحي الله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَأَخَذَهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَكُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (طه: ٣٧ - ٣٩).

لولا أن القلوب بيد الله - عز وجل - لطار قلب أم موسى -عليه السلام- خوفاً على وليدها، وقد عبر القرآن عن الحالة التي أصبحت فيها أم موسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِطًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: ١٠)، أي: أصبح قلب أم موسى -عليه السلام- فارغاً من كل شيء سوى موسى، وهمها وخوفها عليه، لدرجة أنها كادت تكشف أمره بالصراخ من شدة ما ألمَّ بها من الخوف على ولدها؛ ولكن ثبتها الله - عز وجل -، وصبرها لتكون من المصدقين لوعده،^(٣).

وكانت النتيجة التي تخشاها أم موسى -عليه السلام-: ﴿فَالنَّقْطَةُءُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٨)، إنها القدرة الإلهية، تتحدى فرعون وهامان وجنودهما، فيقف التابوت

(١) قتادة: هو قتادة بن دُعامة بن قتادة السُدوسي أبو الخطَّاب البصري الضَّرير، ثقة ثبت، كان رأساً في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس، يُقال ولد أكمه، مات سنة ١١٧هـ، نظر: (تقريب التهذيب): ابن حجر العسقلاني (٤٥٣)، و(طبقات النَّسَّابيين): ليكر أبو زيد (٣/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١١/١٧٧).

(٣) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٥٣٠).

أمام قصر فرعون، فالتقطته الجوارى وذهبن به إلى امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، فلما كشفت عنه، وفتحت التابوت، أوقع الله محبته في قلبها.

فلم ينج الله موسى بالسلاح ولا بالمال ولا بالجاه، وإنما بستر رقيق شفاف، إنه ستر الحب كما قال - تعالى -: ﴿... وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ..﴾، فاقتحمت به يد القدرة قلب امرأة فرعون، بعد أن اقتحمت عليه حصنه، فحمته بالمحبة^(١)، في وقت كان فيه زبانية فرعون يتتبعون أخبار الذكور من مواليد قوم موسى -عليه السلام-، خوفاً على ملكهم وعرشهم، وبيثون عيونهم في كل مكان كي لا يفلت منهم طفل، فها هي القدرة الإلهية تلقي في أيديهم بلا بحث ولا كد الطفل الذي على يديه هلاكهم جميعاً، فاقتحم على فرعون حصنه، ليكون لهم عدواً يتحداهم، وحرزنا يدخل لهم على قلوبهم^(٢).

وتحرك الإيمان والحنان لدى امرأة فرعون لتقف في وجه السفاح بقولها: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩).

أي: تخاصم عنه وتحببه إلى فرعون: إنه مما تقر به العيون وتفرح له القلوب، لي ولك يا فرعون، قال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك^(٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لو أن عدو الله قال في موسى -عليه السلام- كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا، لنفعه الله، ولكنه أباي، للشقاء الذي كتبه الله عليه"^(٤)، ثم بيئت العلة التي قالت لأجلها ما قالت.

قوله - تعالى - ﴿عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا﴾ أي: علنا نصيب منه خيراً، إذ رأت فيه علامات النجاة، ومخايل اليمن، وقوله - تعالى - ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ لما فيه من الوسامة والجمال التي تجعله أهلاً لتبني الملوك، وكانت لا تلد فاستوهبته من فرعون، فوهبه لها، وأضفت عليه حبها^(٥).

قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيها أربعة أقوال.

أحدها: لا يشعرون أنه عدو لهم.

والثاني: أن هلاكهم على يديه.

والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أننا النقطناه.

(١) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤١١/٥).

(٢) انظر: (المصدر السابق) سيد قطب (٤١١/٥).

(٣) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٢٤/١٩).

(٤) معالم التنزيل: البغوي (١٩٣/٦).

(٥) انظر: (تفسير الشيخ المراغي): أحمد المراغي (٣٩/٢٠).

والرابع: لا يشعرون أنني أفعل ما أريد لا ما يريدون^(١).

والمتمأمل في الأقوال الأربعة يجد أنها واقعة بهم، فهم لا يشعرون.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتَمِهِ كَي نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَنْكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (القصص: ١٢ - ١٣).

لقد تجلت عناية الله ورعايته لنبي الله موسى -عليه السلام- في جميع أطواره منذ ولادته وحتى وفاته، ورجع موسى -عليه السلام- إلى الحزن الذي فارقه بعد أن حرم الله عليه المراضع ليتحقق وعد الله لها في رضاعته وكفالاته، ولها على ذلك أجر، فلما بلغ موسى أشده، لم يستطع أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل، إلى أن قتل فرعونياً نصرة للإسرائيلي، فهرب موسى حتى خرج من تلك الديار، ليرجع بعد عشرة من السنين يحمل الدعوة والرسالة إلى فرعون وملئه.

ولما وقعت المواجهة بين موسى -عليه السلام- وبين فرعون وسحرته، كانت آسية ترصد الموقف وتراقب عن كثب، وتدعو الله سبحانه وتعالى أن ينصر موسى -عليه السلام- على فرعون وملئه، فأصبح موسى -عليه السلام- قرة عين لها بقضاء الله وقدره، بعد أن عرفت الحق آمنت برسالة موسى ودعوته وكفرت بالوهية فرعون، وأصبحت مثلاً للمؤمنين في إصرارها على الإيمان وتركها للقصور والنعيم الدنيوي، واختارت ما عند الله على ما عند فرعون.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوَامِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ (التحريم: ١١).

فقد ضرب الله في هذه الآية الكريمة مثلاً للمؤمنين في الثبات على الدين رغم شدة البلاء واللأواء، فآسية امرأت فرعون كانت تعيش تحت أعدى أعداء الله، فأمنت بالله وكفرت بفرعون، ونجت من الغواية، فلما علم فرعون بإيمانها وتدّ لها أربعة أوتاد، وأضجعها على ظهرها، وجعل على صدرها رحي، واستقبل بها عين الشمس، وألقى عليها صخرة عظيمة، فقالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوَامِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ فرقى بروحها إلى الجنة، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه^(٢).

وهذا الدعاء يشعر بأن فرعون وزبانيته، قد صدوها عن الإيمان، وعذبوها، بل وهددوها بأنها إن آمنت.. حرموها من قصر فرعون، وزينته وفخامته^(٣).

(١) انظر: (زاد المسير): ابن الجوزي (٢٠٤/٦).

(٢) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٩٠/١٥)، و (فتح القدير): الشوكاني (٢٦١/٧-٢٦٢).

(٣) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٤٨٤/١٤).

وقد وصفها الله تعالى بالإيمان والتضرع إليه، وقد سألت ربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة وأن يعوضها عن دار فرعون في الدنيا، دارا في أعلى درجات الجنة بجوار الرحمن.

فاختارت الجوار قبل الدار، وأن ينجيها من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها^(١) فاستحقت آسية أن تكون أفضل نساء أهل الجنة على صبرها، وإيمانها وثباتها رغم الفتن والشدائد التي تعرضت لها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، (قال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهم^(٢) أجمعين).

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

ومع نموذج آخر للذين نجوا من الغواية مؤمن آل فرعون، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨).

والراجع من أقوال العلماء أن هذا الرجل من جماعة فرعون بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ (غافر: ٢٨)^(٣).

وقد جاء ذكر الرجل المؤمن في القرآن الكريم في عدة مواضع.

أولها: حينما أنكر على فرعون وملأه عندما قرروا قتل موسى-عليه السلام-، قال- تعالى - على لسان فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ (غافر: ٢٦)، فقال لهم الرجل المؤمن: ﴿ أَنْتَقُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾. الثاني: لما قال فرعون لقومه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩).

(١) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (١/٨٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/٤٠٩)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٥٠٨)، ص (٤/٨٢)..

(٣) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢١/٣٤٥)، و (مفاتيح الغيب): الرازي (١٣/٣٢٦)، و (فتح القدير): الشوكاني (٤/٦٩٦).

قال تعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِيٍّ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ (غافر: ٣٠ - ٣٣).

الثالث: لما طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحًا استهزاء برب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ (القصص: ٣٨)

فقال الرجل المؤمن: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ (غافر: ٣٨).

الرابع: لما وجدهم الرجل المؤمن على الكفر أراد تخويفهم وترهيبهم، فقال لهم: ﴿ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ (غافر: ٤٤).

وهذا النموذج يُمثلُ عنوانًا للذين يصدحون بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر، ومثلاً لمن ذاقوا حلاوة الإيمان، فأثروا إعلان براءتهم من الكفر، وإظهار موالاتهم لدين الله - عز وجل -.

وظهرت قصه مؤمن آل فرعون عندما اشتدَّ حقد، وغضب فرعون على موسى - عليه السلام - ودعوته، فأمر فرعون بقتل موسى كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾، وسبب القتل بينته بقية الآية الكريمة، في قوله - تعالى -: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ

الْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

وقد رأى مؤمن آل فرعون ما يدبر له فرعون وملؤه من قتل لموسى - عليه السلام -، فتحرك الإيمان الكامن والمكتوم في قلبه ليصدق بكل وضوح ببراءته من فرعون ودينه، وموالاته التامة لموسى - عليه السلام - ودينه.

وبدأ مؤمن آل فرعون يظهر للعيان بدون خوف أو وجل ليحاجج قومه ويثبت خطأهم وفساد عقيدتهم بالحجة، والبراهين، قال - تعالى -: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨).

لقد كانت هذه الرسالة الأولى من مؤمن آل فرعون لفرعون وقومه عن سبب قتل موسى - عليه السلام - وهو يقول لهم: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾، وهو الذي جاءكم بالحجج، والبراهين الواضحة؛ فإن كان كاذبًا فإنما إثم كذبه عليه، وإن كان صادقًا في قوله، أصابكم ما وعدكم به من العقوبة بسبب بقائكم على دينكم الذي

أنتم عليه، فلا حاجة بكم إلى قتله؛ لأن قتله سيزيد ربحك سخطاً على سخطه جراً كفركم، وقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ أي لا يُوفِّق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله^(١).

والظاهر أن مؤمن آل فرعون قد خاض مع قومه جولة ضخمة جالها مع المتآمريين من فرعون وقومه، وقد بدأ معهم بعد استنكاره على أمرهم بقتل موسى - عليه السلام -، وأخذ يسوق لهم أدلة بطلان قتل موسى - عليه السلام -، قال - تعالى - : ﴿ يَفْقَهُ لَكُمْ أَلْمُوكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (غافر: ٢٩).

لقد ظهر شعور مؤمن آل فرعون إلى السطح، وأخذ يشعر بما يشعر به كل قلب مؤمن تجاه دين الله، فأخذ يحذرهم من بأس الله؛ لأنه أقرب ما يكون من أصحاب الملك والسلطان، فهم أولى الناس باتقائه؛ لأن بأس الله يتربص بهم، ثم أخذ يذكرهم بما هم فيه من النعم والسلطان والغلبة على الناس، ويشعرهم أنه واحد منهم، وهو يذكرهم ببأس الله ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾، وهذا ما يجعلهم يأخذوا نصيحته باهتمام، ويشعرهم أن بأس الله إذا جاءهم فلا مرداً له، ولا ناصر، وهم أضعف ما يكونون تجاهه.

هنا ينتفض فرعون ويأخذه ما يأخذ كل طاغية توجه له النصيحة، تأخذه العزة بالإثم، ويرى في نصيحة الرجل المؤمن تدخلاً في نفوذه وسلطانه، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، قال فرعون لا أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي، وهو الصواب والرشاد بلا شك ولا جدال، وهذا ديدن الطغاة، فقد أضلهم الله، وختم على سمعهم وقلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فاعتقدوا أن ما يفعلونه هو الصواب الحق، ومع هذا الصلف والتكبر والعريضة يجد الرجل المؤمن أن من واجبه إسداء النصيحة لفرعون وملاه رغم ما يعلنون من رفض لنصيحته، فأخذ يطرق أسماعهم وقلوبهم بإيقاع آخر علَّهم ينتفعوا وعلَّهم يستجيبوا، فأخذ يحذرهم من بأس الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَفْقَهُ إِيَّيَّيْهِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَفْقَهُ إِيَّيَّيْهِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُولُوكُنْ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ (غافر: ٣٠ - ٣٣).

فيبدو أن قومه طُبع على قلوبهم، فهو يقرع أسماعهم، وقلوبهم بتذكيرهم بمصارع الأقبام الذين كذبوا، وكفروا بالله عبر التاريخ، أمثال قوم نوح، وعاد، وثمود، وكيف أصبحت مصارعهم شاهدة على بأس الله يوم أن جاءهم، ثم انتقل بهم إلى يوم القيامة وما فيه من أهوال، فما زادهم نصحه، ووعظهم إلا طغياناً ونفوراً^(٢).

(١) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٣٧٧/٢١).

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٤٣/٧)، و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢٥٦/٦).

وانتقل فرعون إلى مرحلة جديدة من الكفر والطغيان وهي تكذيبه بأن هناك إلهاً غيره، قال -تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ آيُنِ لِي صَرْمًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (غافر: ٣٦ - ٣٧).

فلما رأى مؤمن آل فرعون تعلق قومه بالملك والسلطان وبزهرة الحياة الدنيا على حساب الآخرة، أراد أن يبين لهم حقيقة وقيمة الدنيا بالنسبة للآخرة، وأنها لا قيمة لها في مقابل دار الخلود والنعيم المقيم، قال -تعالى:- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَتَقَوَّمُ أُمَّمُوعُونَ أهدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٣٨ - ٤٠).

قبل لحظات كان فرعون يقول لقومه ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، كذباً وزوراً وبهتاناً، والرشاد ضد الغي، وفي الآية تعريض شبيهه بالتصريح، وكأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي^(١). والجميل أن الرجل المؤمن لم يخش قوة سلطان فرعون وصدق بكلمة الحق في وجهه، وبين ما يدعيه هو الكذب، فقال لقومه ممن تمرّد وطغى وآثر الحياة الدنيا كَذَلِكَ ﴿ يَتَقَوَّمُ أُمَّمُوعُونَ أهدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾، ثم بدأ يبيّن لهم سبيل الرشاد، وهي أن يعرف كل واحد منهم حقيقة الدنيا، وأنها متاع زائل، وأن الآخرة هي دار البقاء، وإليها النظر الدائم، ثم إذا هو يقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء في الآخرة، قال -تعالى:- ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، وهذا فضل من الله لعباده في هذه الحياة الدنيا، إذ اقتضت سنته وحكمته أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات رحمة منه لعباده، بل جعلها كفارة للسيئات، فإذا دخلوا الجنة رزقهم فيها بغير حساب. وبعد هذه الجولة المحتدمة بين مؤمن آل فرعون و فرعون وقومه، يصبح متهمًا عندهم في إيمان، فحاوره قومه للرجوع عن دينه، والعودة إلى الوثنية، مما جعله يستهجن من هذا العرض الساخف، قال تعالى: ﴿ وَتَقَوَّمُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ. مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (غافر: ٤١ - ٤٢).

يستنكر الرجل المؤمن أن يدعوهم إلى الجنة والنعيم المقيم والدائم، وإلى النجاة من عذاب الله بقوله: ﴿ وَتَقَوَّمُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴾، وهم يدعونه إلى الكفر، والوثنية، ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ

(١) انظر: (الكشاف): الزمخشري (١١٤/٦).

بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَعْلَرِ ﴿ فشتان ما بين الدعوتين، دعوهُ واضحة صريحة مستقيمة، تدعو إلى إله واحد، ودعوة تدعو إلى الشرك والكفر بالبراهين والحجج التي تدل على وحدانية الله^(١).

فلما تبين له إصرارهم وتمسكهم بعقيدتهم الفاسدة، اقتنع أن لا جدوى من استجابتهم له، وأن عدائهم سيجرهم إلى عقوبة إلهية، فأحزنه ذلك فهددوه وتوعده بالقتل، فقال لهم بحال المؤمن المشفق عليهم من النار، ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤٤).

أي: سوف تتذكرون صدق قلبي لكم، ودعوتي لكم بالنجاة من الكفر والشرك، والالتزام بأوامر الله، والبعد عن نواهيه، وإني مفوض أمري إلى الله فمنه أستمد الاستعانة والعصمة من كل سوء، وهو وحده المطلع على عباده العليم بأحوالهم^(٢).

قال تعالى: ﴿ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّكْرُومًا وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٥).

وهذا دليل واضح على أن التوكل الصادق، وتفويض الأمور إلى الله، سبب رئيس في الحفظ، والوقاية من كل سوء، وقد جاء ذلك في العديد من آيات القرآن الكريم، قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: ٣)، وفي قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّخَذْتَهُمْ فِتْنَةً أَلْمَنُوا بِمَا عَصَوْا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

فلا شك أن فرعون وأعدائه مكروا بمؤمن آل فرعون، ولم يفصح القرآن الكريم عن طبيعة المكر الذي تعرض له، ولكن يبدو أنه تعرض للتعذيب، والمطاردة، ولكن الله - تعالى - وقاه سيئات ما مكروا وأنجاه الله من بطشهم وإفسادهم، وحقق بآل فرعون أشد العذاب فهم يعذبون في الحياة البرزخية ويوم القيامة ينتظرهم أشد العذاب^(٣). فكانت النتيجة الحتمية، أن إيمان هذا الرجل، وجهه بالحق في وجه السلطان الطاغية والجائر أن وقاه الله - تعالى - من غوايتهم، ومما أراده الظالمون به من أذى وعدوان، كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر: ٤٣)^(٤).

(١) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢٥٩/٦)

(٢) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (٢٢٧٦/٣).

(٣) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٢٧٨/٧).

(٤) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢٩٥/١٢).

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

نموذج آخر للذين سلكوا طرق الغواية، فأنجاهم الله منها عندما استنارت قلوبهم بالإيمان.

لقد كان سحرة فرعون جزءاً من نظام فرعون القائم على استرهاب الناس، وسحق وعيهم سحراً وحشياً، حتى أضحت عقولهم مقيدة للأوهام والأباطيل، فلما أوحى الله - تعالى - إلى موسى - عليه السلام -، وكلفه بالرسالة إلى فرعون وملئه، أيده الله - تعالى - بالآيات والبراهين الدالة على صدق رسالته ودعوته، وقد كان من هذه الآيات التي أعطاهها الله لموسى - عليه السلام - هي العصا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۗ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبٌ أُخْرَىٰ ۗ قَالَ أَأَقْبَلُهَا بِمُوسَىٰ ۗ قَالَ أَتَقْنَعُهَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۗ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۗ ﴾ (طه: ١٧ - ٢٣).

لقد اتهم فرعون موسى - عليه السلام - بالسحر، وكان فرعون يعتمد على السحرة في استمالة قلوب وعقول الناس نحوه، فأراد أن يواجه موسى - عليه السلام -، كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۗ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى ۗ ﴾ (طه: ٥٦ - ٥٩).

إنَّ الفرق بين ما جاء به موسى - عليه السلام - وما جاء به قوم فرعون، يبيئه الإمام الشعراوي بقوله: "السحر لا يقلب حقيقة الشيء، بل يظل الشيء على حقيقته، ويكون السحر للرائي، فيرى الأشياء على غير حقيقتها، كما قال تعالى: ﴿ ..سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ .. ﴾ (الأعراف: ١١٦) فلما ألقى السحرة حبالهم كانت حبالاً في الحقيقة، وإن رآها الناظر حيات وثعابين تسعى، أما عصا موسى فعندما ألقاها انقلبت حية حقيقية، بدليل أنه لما رآها كذلك خاف منها"^(١).

فقالوا لموسى - عليه السلام - حدد لنا موعداً معلوماً نجتمع نحن وأنت، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر، وليكن المكان وسطاً بين الفريقين، فقال لهم موسى - عليه السلام - : موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، يجتمع فيه كل سكان مصر، يتزينون فيه، وهو الوقت المعلوم الذي أشار إليه الحق في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيَلْقَتَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ۗ ۝٢٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۗ ۝٢٩ لَمَلْنَا نَبْعَ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَاعِلِينَ ۗ ۝٤٠ ﴾ واليوم المعلوم هو: يوم الزينة، وأن يُجمع الناس في وقت الضحى، كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى ۗ ﴾ أي: ضاحين، وموسى - عليه السلام - يريد أن يكون هذا اللقاء في وضح النهار ليشهده الجميع^(٢).

(١) تفسير الشعراوي (١/٥٧٠٢).

(٢) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٤/٢٨)، و (تفسير الشعراوي): للشيخ الشعراوي (١/٥٧٠٣).

فانطلق فرعون يحشد الحشود من كبار السحرة في جميع أنحاء مصر، كما في قوله - تعالى - ﴿ قَالُوا آتِنَا آيَةً وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (١١١-١١٢)، ﴿ يَا تُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ (الأعراف: ١١١-١١٢)، وقوله - تعالى - ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ (يونس: ٧٩)، وقوله - تعالى - ﴿ فَتَوَكَّنْ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ (طه: ٦٠).

وجاء فرعون بسحرته للميعاد المعلوم الذي بينه وبين نبي الله موسى - ﷺ - ليغلبه على حد زعمه بسحره، وقد كان فرعون في استقبالهم ليشد أزرهم، والسحرة في هذا الوقت طلاب دنيا، فقالوا لفرعون: ﴿ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء: ٤١ - ٤٢). يقول الشيخ الشعراوي: " فانظر إلى مسيرة الإله فرعون في رعيته، فالإله الحق يُطعم ولا يُطعم، ويجير ولا يُجار عليه، الإله الحق يُعطي ولا يأخذ، ولما اجتمع السحرة وهم أبطال هذه المباراة، ويعلمون مدى حاجة فرعون إليهم في هذا الموقف؛ لذلك بادروا بالاتفاق معه والاشتراط عليه: إن كنت تُسخر الناس في خدمتك دون أجر، فهذه المسألة تختلف، ولن تمر هكذا دون أجر" (١).

وهل الإله الحق يحتاج إلى معاونة الغير؟

وقد كان السحرة في هذا الوقت من طلاب الدنيا فطلبوا من فرعون أن يصدق عليهم المال مقابل دعم إلهيته الباطلة، فوعدهم بالمال والجاه ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٢). وجاء السحرة من كل مكان في مناظرة علنية واضحة، بين نبي الله موسى - ﷺ - و فرعون وسحرته، واختلف المفسرون في عددهم، حتى أن بعضهم أوصلهم إلى سبعين ألفاً (٣).

واجتمع الناس من كل حذب وصوب، سواء كان من الفراعنة، أو من بني إسرائيل، وموسى وهارون ليس معهم إلا الله - عز وجل -، وبدأ السحرة يحاورون موسى وهم في منتهى الثقة بأنفسهم ﴿ قَالُوا يَمْؤُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (١١٥) قَالَ أَقُوا فَلَمَّا أَقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ١١٥ - ١١٦)، وقوله - تعالى - ﴿ قَالُوا يَمْؤُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُجِئِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾ (طه: ٦٥ - ٦٦).

(١) تفسير الشعراوي (١/٦٥٣٨).

(٢) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١١/٤٧٣).

(٣) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٣/٢٦).

وهذه الآيات تبيّن أن السحرة كانوا متأدبين مع موسى -عليه السلام-، وهذا الأدب منهم كان سبباً في رحمة الله بهم وبهدايتهم فكانوا أول المؤمنين^(١).

فاختار موسى -عليه السلام- أن يبدعوا بإلقاء حبالهم وعصيهم وما حملوه معهم، فألقوا حبالهم وعصيهم، كما قال - تعالى -: ﴿ فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٤٤).

لقد أقسم السحرة بعزة فرعون؛ لأن فرعون لا يغلب ولا يقهر في نظرهم، والحقيقة أن العزة الحقّة لا تغلب، وعزة فرعون مصطنعة، وكاذبة، وليس لها رصيد من الحق، وما دام الأمر كذلك، فأنتم الأذلة، والمهزومون^(٢).

فإذا بالحبال والعصي تتحول إلى ثعابين مرعبة، ومخيفة، وقد وصف الله -تعالى- ما جاءوا به من السحر، بالسحر العظيم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ١١٦)، فالقرآن يقرر أن السحر عظيم، والسحر وقع على أعين الناس، وأثار السحرة الرهبة والخوف في قلوب الناس كما أخبر القرآن ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾.

فالساحر يسيطر على عين المسحور ليري ما ليس واقعاً، وما ليس حقيقة، لتصبح عين المسحور خاضعة للساحر، قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (طه: ٦٦).

والسحر تخيّل وليس حقيقة، فالحبال والعصي لا تسعى، فالساحر يسحر أعين الناس، والمرئي يبقى كما هو لا يتغير، فالعصى هي هي، والحبال هي هي، والذي يتغير هو عين الرائي، ولذلك قال الله -تعالى- ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، فالسحر لا يقلب الحقيقة، ويراهما الساحر على طبيعتها، ولذلك ظل ما ألقوا في نظرهم حبالاً وعصياً، غير رؤية الناس، قال -تعالى-: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾، خيّل للجماهير فقط أنها تسعى، وليس للسحرة؛ لأن السحرة يعرفون الحقيقة،^(٣).

فهذا المشهد المفزع انعكس على نبي الله موسى، لأنه في النهاية بشر؛ ولكنه مؤيد من رب السماء، قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (طه: ٦٧ - ٦٨)، فموسى -عليه السلام- لم يخف من الثعابين؛ ولكنه خاف أن يفتن الناس بما رأوا من السحر، فظن السحرة أن موسى -عليه السلام- سيخاف وتنتهي المناظرة بالتسليم للسحرة، ونسوا أن موسى مؤيد بالمعجزات.

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٣٠/٧).

(٢) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٥٤١/١).

(٣) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٣٣٨/٢).

قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿ (الأعراف: ١١٧ - ١١٩)، وقوله -تعالى-: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ (الشعراء: ٤٥)، وقوله -تعالى-: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْب ﴿ (طه: ٦٨ - ٦٩).

احتاج موسى -ﷺ- في هذا الموقف العصيب إلى وحي جديد، وقد كان قد دُرب على إلقاء العصا من قبل؛ لأن هناك فرقاً ما بين التعليم للإعداد لما يكون، والتنفيذ لما يكون، فربما قد دخل على بشرية موسى شيء من الخوف والضعف نتيجة السحر العظيم والاسترهاب، فلا بد من أمر جديد^(١). فأوحى الله إليه أن يلقي عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون، والإفك هو: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذب إفك؛ لأنه مقلوب عن وجهه، والعصا هنا تلقف ما قلبوه من الحق إلى الباطل بسحرهم^(٢)، وإذا بها تَأْكُلُ كل الثعابين الموجودة في الميدان لا تألوا على شيء؛ لأن ما صنعه كيد ساحر، والكيد: هو التدبير الخفي، بالمكر والحيلة للتغلب على الخصم، ولا يفلح الساحر أتى ذهب؛ لأنه لا يعتمد على الحقيقة الثابتة، بل يعتمد على التخيل، في قلب واضح للحقائق^(٣).

قال تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ (الأعراف: ١١٩ - ١٢٢)، وقوله -تعالى-: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ (الشعراء: ٤٦ - ٤٨)، وقوله تعالى:

لقد حدث ما لم يتوقعه فرعون، فلم ينظر السحرة إليه، بل مباشرة بمجرد رؤيتهم لعصا موسى وهي تلقف ما صنعوا، فقال -تعالى- ﴿ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾، ولم يقل ﴿ وسجد السحرة ﴾؛ لأن خروهم سجداً ليس برأيهم، ولكن نتيجة عملية إنبهارية لما حدث أمامهم، فكان شيئاً آخر ألقاهم ساجدين، وهو الانبهار الحق، فالساحر يعتقد أن ما يفعله هو سحر؛ لأنه على غير الحقيقة، لكن لما رأى السحرة الحية حقيقية، فهم لا يعرفون دعوة موسى -ﷺ-، لكن الذي علموه يقيناً أن موسى مؤيد بالمعجزات، وما رأوه معجزة حقيقية، فعرفوا أن المسألة ليست سحراً، وهم العلماء والخبراء في السحر، فلقفت ما ألقوا من الحبال والعصي التي تقدر بأنها حُمِلت على

(١) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (١/٣٠٠١).

(٢) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٧/٢١٢).

(٣) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/١٢٧).

سبعين بعير، والحية تلقف كل هذا دون أن يتغير حجمها، فهذا لا يمكن أن يفعله الساحر بأي حال من الأحوال^(١).

قال تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْمَالِيْنَ ﴿١٦﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾، لحظات زمنية معدودة تفرق بين الكفر والإيمان، كانوا قبل لحظات يقولون لفرعون: ﴿.... أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ وأصبحوا الآن في عداد المؤمنين. قال الله-تعالى- على لسان فرعون: ﴿ قَالَ ءَأَمَّتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ٧١)، وقوله- تعالى-: ﴿ قَالَ ءَأَمَّتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء: ٤٩).

هذه الآيات تبيِّن أن فرعون فرغ، وارتعب من إيمان السحرة؛ لأن السحرة بإيمانهم بدعوة موسى، ونبوته، يهدمون ألوهية فرعون المزعومة ويثبتون ألوهية الواحد الأحد، بدليل أن فرعون لمَّا هددهم بالقتل والتعذيب، والنكايه، واتهم موسى بأنه كبيرهم، الذي علمهم السحر، مع أن موسى غائب عن أرض مصر عشر سنوات، والسحرة جَمَعهم فرعون من أرجاء مصر وليس موسى، فهو لم يرههم إلا في هذا المكان، كان رد السحرة صريحًا، ينبئ عما بداخلهم من إكراه فرعون لهم على صنعهم للسحر، قال-تعالى-: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْفِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَأَمَّا رَبِّنَا لَبِغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِنَّ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ٧٢ - ٧٣)، وقوله-تعالى-: ﴿ قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٥٠ - ٥١)، فكأنهم يعلمون مسبقًا أنهم كاذبون، وما يفعلونه من السحر، إنما هو خداع للناس. ولذلك قالوا: إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا ما اقترناه من إثم في تضليل الناس، فأمنوا جميعًا إيمانًا حقيقيًا، فكل التهديدات التي تلقوها من فرعون لم تمنعهم من الرجوع عن الدين الجديد، حتى قتلوا جميعًا، قال قتادة: "كانوا في أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"^(٢).

وهكذا الإيمان إذا لامست بشاشته القلوب، لكن السؤال كيف يقتلهم فرعون وقد كانوا جزءًا رئيسًا في نظامه، بل ركنًا هامًا في تثبيت ملكة، والجواب: أن هذا دأب الطواغيت في كل عصر من العصور، فهم لا يتورعون في قتل أحد، كائنًا من كان في سبيل المحافظة على الملك، والسلطان، أما موسى-عليه السلام-، فلا يستطيع فرعون في تلك الأثناء أن يقتله؛ لأن الموقف أصبح بيد موسى، فأصبحت له الغلبة والعزة، والجماهير متعاطفة مع

(١) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (١/٣٠٠٥).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (٥/٣٥٢).

موسى -عليه السلام-، فلو قتله لربما أصبح هناك فتنة في مصر وربما آمن الناس جميعاً، كما حدث مع أهل الأخدود لما تبين لهم صدق الغلام، فترك موسى -عليه السلام- يعيش في مصر لتُدبّر له بعد ذلك المكيدة ثلو والمكيدة في سبيل الوصول إلى قتله بعيداً عن أعين الجماهير.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧).

ويبدأ القرآن بذكر مشهد جديد بعد إعلان الهزيمة المنكرة لفرعون، وأتباعه، لقد كُبر عليهم أن يخرج موسى -عليه السلام- ومن معه، فبدأ الملأ يأترون بهم، ويهيجون فرعون لقتله، ويخوفونه من العاقبة الأليمة، وهي القضاء على إلهية فرعون، وتثبيت السلطان لموسى -عليه السلام-، قال فرعون: ﴿ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾.

ومن هنا نعلم أن المقربين من فرعون، هم أحرص من فرعون نفسه على السلطان، ليس خوفاً وشفقه على فرعون، بل حفاظاً على مصالحهم، ومنافعهم الشخصية؛ لأن زوال حكم وسلطان فرعون، هو زوال وانتهاة لمنافعهم، والحقيقة أن هذا ما نراه عياناً في أنظمة الطواغيت، إذ الذي يدافع عنهم ويوغل في دماء الشعوب، إنما هم المتحكمون في مفاصل الحكم حفاظاً على مصالحهم الشخصية.

ويمضي فرعون في تنفيذ، وعيده، وتهديده لمن آمن مع موسى -عليه السلام- وما آمن له إلا القليل من قومه، كما بيّن القرآن: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس: ٨٣)، فلما رأى بنو إسرائيل ما رأوا من إيذاء فرعون لهم، قالوا لموسى -عليه السلام-: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٩).

فيمضي موسى -عليه السلام- في تثبيت المؤمنين، ويقرر لهم الحقيقة بأن الأرض ليست لفرعون، ولا لأتباعه، بل لله الواحد القهار والعاقبة لا تكون إلا للمتقين.

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين:

وهذا النموذج للناجين من الغواية يمثل العنوان الأبرز لكل الدعاة والمصلحين، ومن يعملون لنصرة الحق، وإعلاء كلمه الله -تعالى- في كل زمان ومكان؛ لأن الله -تعالى- يقيض لدينه رجالاً يتصدون للباطل، وينتصرون للحق، ولو كلفهم ذلك أغلى ما يملكون، ومنهم مؤمن آل ياسين، فقد حدثنا القرآن عن قصته في

قوله -تعالى-: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (يس: ١٣ - ١٩).

وتبدأ قصة مؤمن آل ياسين، بالأحداث التي وقعت للرسل الذين أرسلهم الله -تعالى- لتلك القرية، كما

قال -تعالى-: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾.

اختلف المفسرون في اسم هذه القرية، وفي ماهية الرسل الذين جاؤوها، فقال جمع من المفسرين أن هذه القرية هي أنطاكية، والمرسلون هم من الله -تعالى-، وقيل أنهم رسل من عيسى -عليه السلام- على الابتداء^(١)، غير أن ابن كثير ومعه بعض المفسرين قالوا: أن القرآن الكريم لم يذكر من هم أصحاب القرية؛ لأن اهتمام القرآن في هذه القصة وغيرها من قصص القرآن إنما هو للعبرة، والاتعاظ، وعدد ابن كثير الوجوه التي يبين بها حجته:

الأول: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله - عز وجل - لا من جهة عيسى، كما قال -تعالى-:

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل عيسى إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح -عليه السلام-، ولهذا كانت عند النصارى، إحدى المدن الأربعة التي فيها بتاركة -أي: علماء دين-.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب عيسى، كانت بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغيره، أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين^(٢).

وهذا الذي يرجحه الباحث بعد الرجوع إلى بعض أقوال المفسرين، أن الله -تعالى- لم يعين اسم هذه القرية؛ وذلك لأنه لو كان في بيان هذه القرية بعينها مصلحة لبيئتها، وكذا حال بعض الأشخاص، أو الأماكن، أو الأزمان؛ لأنه ليس فيه فائدة تذكر، والمقصود في مثل هذه المواطن هو العبرة بما وقع في هذه الأحداث^(٣).

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧/١٥) و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٤٠٦/٥) و(فتح القدير): الشوكاني (٥٧٩/٤).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٥٨/١١) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦١/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن الكريم سورة يس): ابن عثيمين (٥٥).

قوله - تعالى - : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (يس ١٥-١٧).

بيِّن الله -تعالى- للنبي الكريم -ﷺ- أن ما قامت به قريش من تكذيب هو عين ما حدث للمرسلين من قبله كأصحاب هذه القرية، فكانت المواجهة بالتكذيب لا بالتسليم، وفي هذا تطمين للنبي -ﷺ- بأن ما يلاقيه من قريش ليس بدعاً من الأمر، وإنما هذه طبيعة الدعوات، فكل رسالة حق لا بد وأن يواجهها باطل، وهذه سنن الله لا تتغير ولا تتبدل.

فأرسل الله -تعالى- إلى أهل تلك القرية رسولين لإقامة الحجة، وتوصيل رسالة الله إليهم، فتمت مقابلتهما بالتكذيب، والاستهزاء، فعزَّزهما -عزَّوجلَّ- برسول ثالث، يؤكد أنهم رسل الله، وليشدَّ من أزر الرسولين الكريمين، فتقدموا جميعهم إلى أهل القرية من جديد، فقال الله -تعالى- على لسانهم: ﴿...إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ فتم مقابلتهم بثلاث اعتراضات وهي:

الأول: ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ أي ما أنتم رسل وإنما بشر مثلنا.

الثاني: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وأن ما تدعوننا إليه ليس من عند الله ولا عن طريق الوحي، وإنما من عند أنفسكم.

الثالث: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ وتدَّعون كذباً أنكم مرسلون.

قوله -تعالى- : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ فكانت إجابة الرسل لأهل القرية بكل ثقة ويقين بأن ما جاءوا به هو الصدق، فقالوا لهم ربنا يعلم وهذا يكفي، ثم حددوا وظيفتهم؛ بأنه ليس لهم إلا توصيل الرسالة وما كلفوا بتبليغه إليهم، فهكذا كان رد الرسل على أهل القرية، فلم يقابلوا سفاهة أهل تلك القرية بمثليها، وإنما قابلوها بالمنطق السليم^(١).

وقد أكد هؤلاء الرسل رسالتهم بثلاث مؤكدات:

الأول: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴾ وهذا جاري مجرى القسم.

الثاني: ﴿ إِنَّا ﴾.

والثالث: ﴿ لَمُرْسَلُونَ ﴾ اللام، لشدة إنكارهم لرسالتهم^(٢).

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٢/٦) و (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٠/١٢)..

(2) انظر: (تفسير القرآن الكريم سورة يس): ابن عثيمين (٦٠).

وهذه المؤكدات لم تكن لنقال لولا شدة التكذيب الذي لاقوه هؤلاء الرسل من أهل تلك القرية.

قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ نَتَّهُوا لَزَجْمِكُمْ وَلَيْمَسَّكُمْ مِنَّا عَذَابُ آيَةِ ﴾ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَّيْرِكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

هكذا طبيعة الدعوات لابد وأن تتعرض للمعوقات، وهكذا طبيعة المكذبين، تأخذهم العزة بالإثم، فهم لا يطيقون من يأمرهم إلى الحق والهدى، فدعوة الحق عندهم شر، وصاحبها متهم يجب أن يسكت وإلا فالرجم والعذاب الأليم، فيعمدون إلى استعمال أغلظ الأساليب لمقاومة الحق، والحجة؛ لأن الباطل ضيق الصدر لا يستطيع

الصدود، لذلك قالوا للرسل: ﴿ قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ نَتَّهُوا لَزَجْمِكُمْ وَلَيْمَسَّكُمْ مِنَّا عَذَابُ آيَةِ ﴾ والتطير: هو التشاؤم، وهو من دعاوى الجاهلية، والخير والشر لا يأتي من خارج النفس، بل من داخلها ومرتبطة بنواياها وبأعمالها، فالعبد هو المتحكم في حظه؛ لأن إرادة الله تنفذ إليه من خلال نيته وعمله، وأما التشاؤم بالوجوه، وبالأمكان، والأشخاص والطيور، فهذا كله من الخرافات التي لا أصل لها^(١) وقد بين -ﷺ- ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (لا طيرة، وخيرها الفأل)، قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)^(٢).

فكان التهديد والوعيد من أهل تلك القرية للرسل الكرام بالرجم والعذاب الأليم، والحقيقة أن هذا دأب المكذبين المعاندين من لدن آدم إلى قيام الساعة في مواجهة دعوات الحق بالرجم وبالتهديد والوعيد، وقد حدثنا القرآن الكريم عن نماذج من الأنبياء، والرسل، والصالحين، الذين تعرضوا لمثل هذه التهديدات.

فنوح -ﷺ- تم تهديده بالرجم قال -تعالى-: ﴿ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لِّكُفْرِهِ لَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٦) وإبراهيم -ﷺ- واجهوه بنفس التهديد، قال -تعالى-: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَرَّأْتَ إِلَهِي يَٰإِبْرَاهِيمَ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَزْجَمْنَاكَ وَآهَجْرْنَا مِلًّا ﴾ (مریم: ٤٦)، وشعيب -ﷺ- هُدِّدَ كذلك، قال -تعالى-: ﴿ قَالُوا يٰشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود: ٩١)، وأصحاب الكهف أيضاً هُدِّدُوا كذلك، قال -تعالى-: ﴿ إِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف: ٢٠). فهذه طبيعة الدعوات، تشق طريقها رغم المصاعب والأشواك التي تعترض طريقها إلا أن النصر في النهاية حليفها، والهلاك والخسران لمن يقف في وجهها.

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٣/٦).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الطيرة، رقم الحديث (٥٧٥٤)، ص (١٠٧٠).

قوله-تعالى-: ﴿...أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس: ١٩)، أي بسبب أننا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وهدايتكم ونجاتكم، بل أنتم متجاوزون للحد ومتعجرفون في قولكم^(١).

فبعد هذه المحاوراة التي دارت بين أهل القرية و الرسل، والتي تدل على سفاهة أهل القرية وسوء أدبهم مع رسل الله، يبيّن تعالى ما دار بين هؤلاء القوم والرجل الصالح الذي ساءه تنكر قومه لرسل الله-تعالى، وتطاولهم عليهم، بل تهديهم إياهم بالرجم والعذاب الأليم، قوله-تعالى-: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (يس: ٢٠ - ٢١).

أي: جاء رجل ذو فطرة سليمة، يسرع الخطأ لينصح قومه، وينهاهم عن إيذاء الرسل، ويأمرهم باتباعهم؛ لأنه حينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان، تحركت هذه الحقيقة فلم يسكت وهو يرى الضلال والفجور من حوله^(٢)، وفي مجيء هذا الرجل الصالح من ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ فيه تنبيه على أنه من فقراء الناس، وليس من أشرافهم، وإنما هو من الضعفاء؛ ولأن الإيمان عادة يسبق إليه الضعفاء؛ لأنهم لا يصددهم عن الحق ما فيه أهل السيادة والوجاهة من ترفٍ وعظمة، والمعناد في هؤلاء أنهم يقطنون وسط المدينة وليس في أطرافها^(٣)، وقد جاء في حديث أبي سفيان الشهير والطويل مع هرقل عظيم الشام، عندما أرسل إليه رسول الله -ﷺ- كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، وقد تزامن هذا مع وجود قافلة لقريش في الشام على رأسها أبو سفيان، فما كان من هرقل إلا أن استجوب أبا سفيان يسأله عن محمد-ﷺ- وعن دعوته، فكان مما سئل: (.... قال: فأشرف الناس يتبعونه، أم ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فقلت: بل ضُعَفَاؤُهُمْ، قال: أيزيدون أم ينقصون، قلتُ: بل يزيدون،..... فقال للترجمان: قل له:....، وسألتك: أشرف الناس اتبعوه أم ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فذكرت أن ضُعَفَاءَهُم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.....، فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين...)^(٤).

قال الرازي: قوله-تعالى-: ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ " في تكثير الرجل مع أنه كان معروفًا معلومًا عند الله فائدتان الأولى: أن يكون تعظيمًا لشأنه أي رجل كامل في الرجولية، الثانية: أن يكون مفيدًا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤوا"^(٥).

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (١٦٣/٧).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٣/٦).

(3) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٣٦٦/٢٢).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: بدء الوحي، باب: باب، رقم الحديث (٧)، ص (١٤).

(5) مفاتيح الغيب (١٩/١٣).

وقوله-تعالى-: ﴿يَسْعَى﴾ وهذا دليل على أن الرجل جاء مسرعاً، وقد بلغه همُّ أهل القرية برجم الرسل، أو بتعذيبهم، فأراد أن يؤدي الواجب المنوط به من النصيحة خشيةً عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناءً من الله-تعالى- على هذا الرجل، يفيد أن يكون هذا الرجل قدوةً في الإسراع إلى تغيير المنكر^(١)، وهذا نموذج لكل الدعاة والمؤمنين أن يبذلوا قصارى جهدهم في النصح والدعوة لدين الله-تعالى-، وإنكار المنكر، فلا يوجد منكر أكبر مما لاقاه هذا الرجل، ومع ذلك لم يبق متفرجاً، بل أقدم لينصر الرسل في أحلك الظروف ليؤدي الواجب الذي عليه تجاه دعوته، ولنكن النتائج ما نكن، المهم أن يقيم الحجة عليهم ويبرأ إلى الله-تعالى-.

وقد أكثر بعض المفسرين من ذكر صنعة هذا الرجل، وحاله قبل مجيئه، فقيل أنه كان نجاراً، وقيل إسكافاً، وقيل غير ذلك، واختلف بعض العلماء في اسم هذا الرجل^(٢)، والحقيقة أنه لا حاجة لنا في تفصيل ذلك؛ لأنه لم يرد نص صريح لا في الكتاب ولا في السنة يوضح ذلك، وبناءً عليه فإننا نكتفي بالهدف الذي ضرب من أجله المثل والقصص وهو الاعتبار والاتعاظ.

قوله-تعالى-: ﴿قَالَ يَنْفُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ يبيِّن الله-تعالى- أن هذا الرجل بمجرد وصوله إليهم بدأ بنصحهم، وبدأ حديثه معهم بقوله: ﴿يَنْفُورُ﴾ ولم يقل لهم يأيها السفهاء، أو يأيها الجهال، مع أنهم أساءوا أدبهم مع رسل الله، بل بقوله: ﴿يَنْفُورُ﴾ تودداً، وتعطفاً، وليونةً حتى يحببهم إلى قلوبهم، وهذا الذي يجب أن يسير عليه الدعاة في تعاملهم مع العصاة، قوله-تعالى-: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين جاءوا لهدايتكم وإنقاذكم من الغواية؛ لأن هؤلاء الرسل دعوا إلى ما دعت إليه الرسل كلهم^(٣)، قال-تعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

قوله-تعالى-: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: اتبعوا هؤلاء الرسل الذين جاءوا بأمر ربكم إليكم، ليرشدوكم إلى الطريق الحق، فهم لا يبتغون أجراً ولا مغنماً، وإنهم لصادقون، وإلا فما الذي يحملهم لتحمل المشاق والإيذاء والاستهزاء، وهم لا يجنون من ذلك كسباً لولا أنهم مكلفون، والحال أنهم في أنفسهم ثابتون على الهدى، فهم يدعون إلى إله واحد، وعقيدة راسخة سليمة خالية من الخرافات^(٤).

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٣/١٢).

(2) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧/١٥) و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٧٠/٦) و(فتح القدير): الشوكاني: (١٥٧/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة يس): ابن عثيمين (٧٣).

(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٤/٦) و(التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٣/١٢).

وبدأ في حض قومه على الإيمان، واتباع الحق، عن طريق بيانه للأسباب التي حملته على الإيمان، ليستثير قلوبهم نحو الهداية، قال -تعالى-: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٣﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفِيدُونِ ﴾ (يس: ٢٢ - ٢٣).

يبين الله -تعالى- أن الرجل المؤمن استنكر على قومه ما هم فيه من غواية وضلال في عبادتهم لغير الله، فيقول لهم: وأي شيء يمنع أن أعبد الإله الذي خلقتني، فهذا أصل الفطر؛ لأن الفطر مجذوبة إلى الذي فطرها، فانحراف الفطر وضلالها إنما نتيجة مؤثر خارجي وليس من داخلها، فكيف لي أن أدع عبادة خالقي الذي خلقتني، وأعبد من دونه ما لا تنفع شفاعتهن إن أرادني الله بسوء، ولا تملك لي إنقاذاً، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي إلية تصيرون، وتردون^(١).

قوله -تعالى-: ﴿ إِنِّي إِذًا لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ٢٤)، أي: إن اتخذت هذه الآلهة شريكاً مع الله في العبادة، وهذا تعريضٌ بهم، لأكونن في ضلال واضح، وهو الخسران^(٢)، ثم ختم حديثه مع قومه في تحدي واضح بإعلان إيمانه بكل صراحة وقوة ﴿ إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّيكُمْ ﴾ الذي خلقكم ورزقكم، قوله -تعالى-: ﴿ فَاسْمَعُونَ ﴾ (يس: ٢٥) أي: واشهدوا لي بذلك عنده، وقال بعض المفسرين: أن الخطاب للرسول، فقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني أمنت بربكم وبرسالنكم^(٣).

فهذه النصائح القيّمة، والغالية من صاحب القلب المُفَعَّم بالإيمان، لم تجد آذاناً واعية، بل السياق يبين أنهم قتلوه، قال -تعالى-: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦ - ٢٧).

قال ابن كثير: "قال ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، وقال قتادة: جعلوا يرحمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أفعضوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله"^(٤)، فالسياق يوضح أن القوم لم يمهلوه أن قتلوه، وإن كان لم يذكر من ذلك شيئاً، ثم يسدل الستار على الدنيا وما فيها، وعلى قومه وما هم فيه من تكذيب، ويرفع مكانة هذا الرجل إلى منازل الشهداء^(٥)، قوله -تعالى-: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ أي: ادخل الجنة،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٠٦/٢٠) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٤/٦).

(2) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (١٥٧/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٧١/٦).

(4) تفسير القرآن العظيم (٥٧١/٦).

(5) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٥/١٢).

فدخلها، فلما عاينها قال: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (يس: ٢٦ - ٢٧)، أي: ياليت قومي يعلمون بمآلي وحالي فيؤمنوا بمثل إيماني، فيصيروا إلى مثل ما أنا فيه من النعيم، وما أعدّه الله لي من مغفرة، وبما جعلني في زمرة المكرّمين المقربين الشهداء، الذين تلحقهم كرامة الله -تعالى- (١).

قال القرطبي: "قلت: والظاهر من الآية أنه لما قُتل قيل له ادخل الجنة، قال قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق، أراد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)" (٢).

وقال الطاهر ابن عاشور: " والمعنى: أنه لم يُلْهه دخوله الجنة عن حال قومه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليعلموا فضيلة الإيمان فيؤمنوا وما تمنى هلاكهم ولا الشماتة بهم فكان متّسماً بكظم الغيظ وبالحم على أهل الجهل" (٣).

فهذا الرجل نصح قومه حياً وميتاً، فهو لا يحمل في قلبه إلا الخير والشفقة والرحمة لقومه العصاة، وهذا الذي يتوجب على الدعاة فعلة، أن يحملوا في قلوبهم همّ هداية الناس، حتى يُنجُوا أنفسهم من الغواية كما نجا هذا الرجل، ولم تنته قصته إلى هنا، بل قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يس: ٢٨ - ٢٩).

أي: وما أنزلنا على قومه بعد موته جنوداً من السماء؛ لأنهم لم يحتاجوا إلى ذلك، لحقارتهم، ولهوانهم على الله، قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٤) أي: وما صح وما استقام في حكمتنا أن ننزل عليهم جندا من السماء؛ لأنهم أحقر، وأهون من أن يفعل معهم ذلك (٤)، قوله -تعالى-: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ (٥) قال المفسرون: "أخذ جبريل بعضاضتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة؛ فإذا هم هامدون ميتون" (٥)، لا حراك لهم كأنهم لم يكونوا؛ جزاء فعلهم الشنيع مع رسل الله -تعالى- من خلال تكذيبهم المرسلين، وقتلهم للمصلحين الناصحين.

فهكذا كانت عاقبة المعاندين المكذبين الذين وقفوا في وجه الدعوات، فمثلهم كمثل غيرهم من الأمم المكذبة.

(1) انظر: (المرجع السابق): (٢٦/١٢).

(2) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٥).

(3) التحرير والتتوير (٢٧/١٢).

(4) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٦/١٢).

(5) معالم التنزيل: البغوي (١٦/٧).

قوله-تعالى-: ﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ (يس: ٣٠ - ٣١).

فالحسرة عبارة عن انفعال نفسي تلقائي على حال مؤسفة لا يملك الإنسان حيالها شيئاً، والله- عزَّوجلَّ- لا يتحسر على العباد، ولكنه يقرر أن حال هؤلاء العباد يستحق الحسرة، فهي حال مؤسفة، أُتيحت للعباد فرصة النجاة؛ ولكنهم أعرضوا، مع أن مصارع الظالمين ماثلة أمامهم، فلم ينتفعوا ولم يتعظوا، بل يسيئوا أدبهم مع رسل الله، الذين يرسلهم بين الفينة والأخرى لتذكير العباد^(١).

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

نموذج آخر للذين نجوا من الغواية يتمثل بفتية صَنَعَهُمُ الْإِيمَانَ، فجعل قلوبهم تتعالى على زخارف الدنيا الفانية، لتَقَرَّ بدينها من بين أظهر الوثنية وتنجوا من الغواية التي وقع قومهم فيها.

قال-تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنَ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿٤﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٥﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿٦﴾﴾ (الكهف: ٩ - ١٤).

وقد وردت قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم بسبب سؤال كفار مكة للنبي-ﷺ-، فقد روي أنهم أرسلوا رجلين منهم إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن صدق الرسول-ﷺ-، وما ورد في كتبهم، فلما ذهب الرجلان إلى يهود المدينة، قال لهم يهود: إن أردتم معرفة صدق محمد فاسألوه عن ثلاث أشياء، فإن أجابكم فهو صادق، اسألوه عن قصة القوم الذين ذهبوا في الدهر مذاهب عجيبة؟ وعن قصة الرجل الطواف الذي طاف الأرض؟ واسألوه عن الروح؟ فإن أصاب في ذلك كله فليس نبي وإن لم يجب في ذلك فليس نبياً وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوه عنها، فقال رسول الله فتأخر-ﷺ-: أخبركم غداً، فتوقف الوحي خمسة عشر يوماً، لم ينزل عليه الوحي، واغتم النبي-ﷺ- لئلا يتخذ المشركون تأخر إخبار الوحي له وسيلة لتكذيبه، والحقيقة عكس ذلك؛ لأنهم سيقولون أن محمداً وعدنا غداً أن يخبرنا ولم يصدق، والحقيقة أن تأخر الوحي دليل قطعي على صدقة؛ لأنه لو كان كاذباً لاختلق قصة من نسج خياله، ثم نزل الوحي على رسول الله-ﷺ- فأنزل

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٥/٦).

الله تعالى في شأن الفتية ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ إلى آخر القصة ونزل في الروح قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء: ٨٥).^(١)

وقد بدأ السياق بأسلوب استفهام تعجبي ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾. قال الرازي: " اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، سألوها عنها الرسول -ﷺ- على سبيل الامتحان، قال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرداً خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم، هذا هو الوجه في تقرير النظم، والله أعلم"^(٢).

قوله- تعالى-: ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ فالفتحة في الجبل إذا ضاقت تسمى غار، وإذا اتسعت تسمى كهفاً، وهم قد دخلوا كهفاً، ولذا نسبهم الله إليه، أما الرقيم فهو العلامة أو الكتابة أو الرسم على الشيء، ومعناه هنا: قيل هو اللوح الذي سجلت عليه أسماءهم، وقيل كتاب دونت فيه أسماءهم، وقيل اسم الجبل وقيل اسم القرية^(٣).

والراجح أنه اللوح الذي دونت فيه أسماءهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا مَرُومًا ﴾ (المطففين: ٢٠) أي: مكتوب. قوله- تعالى-: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ أي: هل حسبت يا محمد أن واقعتهم، وقصتهم عجيبة، مقارنة بقدرة الله؛ فإن في مخلوقاتنا من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله ما هو أعظم وأعجب من ذلك^(٤). ثم بيّن الله- عز وجل- ما حدث لهم، حيث حطوا رحالهم في الكهف، فقال- تعالى-: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف: ١٠).

قوله- تعالى-: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ أي: لجأوا إلى الكهف فراراً بدينهم، وخوفاً من الوقوع في الغواية كما وقع قومهم، والتي تتمثل في الشرك ونكران البعث والنشور، و ﴿ الْفِتْيَةُ ﴾ جمع فتى، وهو الشاب القوي صاحب العزيمة^(٥)، فقال هؤلاء الفتية: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أي: أعطنا من عندك رحمة،

(1) انظر: (أسباب النزول): الواحي (٢١٦/١) و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٤٩/٥) و (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الألوسي (٢١١/١١).

(2) مفاتيح الغيب (١٦١/١٠).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٦٢/١٠) و (فتح القدير): الشوكاني (٣٧١/٤).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٣٥/٥).

(5) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٢).

ويسر لنا أمرنا بعد تركنا لأهلنا، ومساكننا، وقومنا الماكثين على العقائد الفاسدة، والرشد: ضد الغي، وهو الالتهاء إلى الطريق المستقيم والثبات عليه.

وقد ذكرهم الله هنا بوصفهم فتية، مع أن الحديث ذكرهم في بداية القصة بأصحاب الكهف؛ ليدل على فتوتهم ورشدهم^(١)، وبذلهم وتضحيتهم، فقد تركوا أهلهم وأوطانهم من أجل سلامة عقيدتهم، والصغير قد يكون راشداً، وأن الشيخ الكبير قد يكون غير راشد؛ ولذلك لا بد أن يُعتنى بالصغار، وأن يُسمع لهم، فالصغير قد يُرى منه نُقى، إذ الأصل التشجيع وعدم الإهمال.

قوله -تعالى-: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَمَثَلِهِمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (الكهف: ١١-١٢) أي أنماهم نوماً ثقيلاً، وخص الأذن هنا دون البصر؛ ليكون نومهم ممتنعاً على غيرهم أن يوقظهم^(٢)، قال ابن عطية: "وأما تخصيص (الأذان) بالذكر؛ فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلمًا ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يُستحكم نوم إلا من تعطل السمع"^(٣)، وقد ضرب لنا الرسول الكريم فيمن ينام عن صلاة الفجر مثلاً، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دُكِرَ عند النبي -ﷺ- رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، (قال ذاك رَجُلٌ بِال شَيْطَانُ فِي أُذُنِيهِ)، أو قال: (في أذنه)^(٤).

قوله -تعالى-: ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ لم يبيّن الله تعالى هنا عدد السنين التي نامها الفتية، ووضّحها في آية أخرى من سياق قصتهم، في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ (الكهف: ٢٥)، قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ بَمَثَلِهِمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ أي: بإيقاظهم من نومهم، وسمى الله -تعالى- الاستيقاظ من النوم بعثاً؛ لأن النوم اخو الموت، قال -تعالى-: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢)^(٥).

قوله -تعالى-: ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ أي: ثم أيقظناهم من بعد نومهم الطويل لنرى أي الفريقين أدقُّ إحصاءاً للمدة التي ناموها في الكهف؟

قال الشنقيطي: "ولم يبين هنا شيئاً عن الحزبين المذكورين، وأكثر المفسرين: على أن احد الحزبين هم أصحاب الكهف، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٤٧٦/٨).

(2) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي (٢٠٧/٣).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٩٠/٤).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث (٣٢٧٠)، ص(٦٠٠).

(5) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٤).

الفتية، وقيل هما حزبان من أهل المدينة المذكورة، كان منهم مؤمنون وكافرون، وقيل: هما حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف، اختلفوا في مدة لبثهم، إلى غير ذلك من الأقوال^(١).

قوله-تعالى-: ﴿ تَحْنُ نَفْسُ عَلِيكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّمِمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف: ١٣).

بعد أن صور لنا القرآن الكريم مشهد أصحاب الكهف بصورة إجمالية، فهاهو يشرع في تفصيلها.

فقد ذكر الله-تعالى- لنا قصتهم هنا بالتفصيل، فذكر أنهم فتية من الشباب حديثي السن، قذف الله في قلوبهم الإيمان، وزادهم هدى، فدل تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشباب أقبل للدين والحق من الشيوخ، وهذا ما حدث مع النبي-ﷺ- في مكة؛ إذ كان أكثر المستجيبين لله-تعالى- ولرسوله شباباً، وأما الشيوخ من قريش، تترسوا حول عقيدتهم الفاسدة إلا قليلاً منهم، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتياناً، اعترفوا لله بالوحدانية، فزادهم هدى، وهذا من صميم العقيدة أن الله-تعالى- يزيد صاحب الإيمان إيماناً وثقى، بدليل قوله-تعالى-: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًى ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤)^(٢).

قال أبو السعود: " ﴿ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾ بأن ثبتناهم على الدين، وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه"^(٣).

قوله-تعالى-: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (الكهف: ١٤)، أي: ثبتناها وقويناها بالإيمان؛ لأن قومهم على ضدهم، ومخالفة التيار بحاجة إلى تثبيت من الرب الكريم^(٤)، لا سيما أنهم أحداث الأسنان، فهم قابلون للتأثير والتغيير؛ ولكن الله ربط على قلوبهم فثبتهم، وهذا دليل على أن المؤمن عند حدوث الفتن والابتلاءات بحاجة إلى تثبيت من الله، وإن كان قلبه مفعماً بالإيمان، والرباط على القلوب يجعلها ثابتة راسخة، مطمئنة إلى ما عرفت من الحق، قوله-تعالى-: ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ والقيام حركة تدل على العزم والثبات والهمة، قوله-تعالى-: ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهًا ﴾ (الكهف: ١٤).

(١) أضواء البيان (٢٠٨/٣).

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٤٠/٥).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٤٢/٤).

(٤) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٦).

اختلف المفسرون في هذا القيام على أقوال:

فقيل: إنهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أكبر القوم: إني لأجد في نفسي شيئاً، إن ربي ربّ السموات والأرض، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك نجد في أنفسنا، فقاموا جميعاً ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

وقيل: أنه كان لهم ملك جبار يقال له: دقيانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبتت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم من السقوط في الغواية، فقاموا بين يديه ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

وقال عطاء: إنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ أي: لن نعبد معبوداً آخر غير الله لا اشتراكاً ولا استقلالاً^(١).

والذي يراه الباحث أن هذه الأقوال جميعها محتملة؛ إذ لا تعارض بينها، فجميعها تتضمن معنى النهوض بالحق، وتحمل تبعاته.

قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات، وهي: (اللام) و (قد) و (القسم) الذي دلّت عليه اللام)، وقوله: ﴿إِذَا﴾ أي: لو دعونا إلهاً سواه ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: قولاً مائلاً وموغلاً بالكفر، وصدقوا، لو أنهم دعوا غير الله إلهاً لقالوا هذا القول المائل الموجل بالكفر والعياذ بالله^(٢).

قوله - تعالى -: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ بَيِّنٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الكهف: ١٥).

بعد أن أعلنوا توحيدهم الخالص لله، أعلنوا براءتهم من كل الاعتقادات الشركية الفاسدة؛ لأن طريق الاعتقاد الصحيح لا بد له من دليل قوي يستند إليه، وإلا فهو الكذب والافتراء على الله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فهؤلاء الفتية أثار الله بصيرتهم، فعرفوا الحق من الباطل، فبان لهم تباين الطريقتين، واختلاف المنهجين؛ إذ لا سبيل للالتقاء، ولا المشاركة، فقرررو الفرار بدينهم؛ لأنهم ليسوا رسل ولا أنبياء ليتحملوا أعباء ونتائج الدعوة والمواجهة، وإنما هم فتية تبين لهم الحق وسط ظلام من الكفر والشرك، وهم لا قبل لهم به حتى يصدقوا بالحق، فلا سبيل لهم إلا الفرار بالعقيدة، فاختروا الكهف على زخارف الدنيا الفانية^(٣).

(١) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٧٩/١٠) و (فتح القدير): الشوكاني (٣٧٣/٤).

(٢) تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف: ابن عثيمين (٢٨).

(٣) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥٥/٥).

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ (الكهف: ١٦)، أي: فارقتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، وفارقتموهم بأبدانكم ﴿فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي يرحمكم ويستركم من قومكم ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ أي ما أنتم فيه، أمرًا ترتفقون فيه، فحينئذ هربوا بدينهم إلى الكهف، فأووا إليه، وفقدهم الملك، فعمى الله أبصارهم عنهم، كما حدث مع النبي -ﷺ- وصاحبه الصديق حين لجأ إلى الغار وعمى الله المشركين عنهما، فلم يهتدوا إليهما.

فهؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم، وتجردوا من الدنيا الفانية، وانتقلوا من العيش الرغيد، إلى الكهف الخشن الشديد؛ لكن الكهف الضيق اتسع برحمة الله، فأصبح فسيح رحيباً، وسيعاً، تنتشر فيه الرحمة، لتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بلينها ورفقها، فهكذا الإيمان يفعل بأصحابه، إذ لا قيمة للماديات في ظل البعد عن الله، ولو أعطي الإنسان الدنيا بحذافيرها^(١).

ومن هنا يتبين لنا كيف نجى الله -تعالى- هؤلاء الفتية من الغواية بعد محاولات قومهم إيقاعهم فيها، ليظهر لكل عاقل أن صاحب الإيمان الصادق يضحى في سبيل دينه بالغالي والنفيس؛ لذلك استحق هؤلاء الفتية أن يربط الله -تعالى- على قلوبهم، وأن يزيدهم هدى، وأن يصبحوا نبراساً لكل الشباب إلى يوم القيامة.

المطلب السابع: صاحب الجنتين.

هذا النموذج ضربه الله -تعالى- لأصحاب الإيمان عندما يواجهون من يغتر بالمال والنعيم، في نسيان واضح للمُنعم المتفضل، فصاحب صاحب الجنتين لم يندع ولم يفتتن بما أعطى الله الرجل الكافر من النعم والذي تحدثنا عنه ضمن النماذج التي سقطت في الغواية، بل علم هذا الرجل علم اليقين أن عطاء الله للرجل الكافر إنما هو فتنة وابتلاء، كما في قوله -تعالى- على لسان سيدنا سليمان -ﷺ-: ﴿... هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)، فقابل صاحب المؤمن الرجل الكافر بكل ثبات وبكل قوة، في إشارة واضحة إلى تساوي القوتين، الحق والباطل، فلم ينزوي الحق ولم يختبيء، بل أظهر قوة اعتزازه وصلته بالله.

قال -تعالى-: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: ٣٧). لما اغتر الرجل الكافر بما أعطاه الله في الدنيا من نعيم وخيرات، وادعى أن هذا النعيم لن يفنى أبداً، وأن الساعة لن تقوم، ولئن قامت سيكون له أفضل منها، انبرى له صاحب المؤمن بكل قوة

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥٥/٥).

واعتراز بالدين لينكر عليه بطره وكبره، ليوجه إلى الأدب الواجب مع المنعم، وينذره عاقبة أمره، فلقد استشعر صاحب المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى^(١).

قوله-تعالى:- ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾

قال الزمخشري: " ﴿ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي: خلق أصلك؛ لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقًا له، ﴿ سَوَّكَ ﴾ أي: عدّلك وكمّلك إنسانًا ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال، جعله كافرًا بالله جاحدًا لأنعمه، لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول-ﷺ- كافرًا^(٢).

بعد أن بيّن صاحب المؤمن للرجل الكافر أصل خلقه، أعلن موقفه بكل وضوح وشجاعة وفخر واعتزاز، بقول الله على لسانه: ﴿ لَنِكَفًا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٣٨).

أي: إن كنت يا هذا تتكر خالقك الذي خلقك من تراب ثم سواك رجلاً؛ فإني لست بكافرٍ، بل معترف لله-تعالى- بالطاعة والعبادة، ولا أشرك معه أحدًا لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته^(٣).

ثم يرشده ويوجهه إلى ما كان الأولى أن يسلكه عند دخول جنته فقال: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (الكهف: ٣٩) أي: فهلاً حين دخلت حديقتك وبستانك، وأعجبت بما في داخلها من أشجار ثمار وزروع، قلت: هذا من فضل الله، إذ لولاه لما كان، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: قال المؤمن للكافر: إن كنت تغتر وتعتز عليّ بكثرة ما أعطاك الله^(٤).

قال الزجاج: " لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله، ثم لمّا علمه الإيمان وتفويض الأمور إلى الله سبحانه أجابه على افتخاره بالمال والنفر فقال: ﴿ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾"^(٥).

وفي هذه الآية الكريمة توجيهٌ لكل مؤمن صادق أن يكون مفتاحًا للخير، يحب الهداية لجميع الناس، وخاصة للعصاة منهم.

فها هو الرجل المؤمن يدل صاحبه على مفتاح السعادة والخير الذي يزيد من خير الدنيا زيادةً على ما أعطاه الله، فمفتاح زيادة الخير والنعم في الدنيا، أن تقول: ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾^(١).

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦٤/٥).

(2) الكشاف (٧٢٢/٢).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٥١٨/٨).

(4) انظر: (صفوة التفاسير): الصابوني (١٧٧/٢).

(5) فتح القدير: الشوكاني (٣٩٢/٤).

قوله-تعالى-: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا ۗ أَوْ يُصِيعَ مَآوُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۗ ﴾ (الكهف: ٤٠ - ٤١) أي: في الآخرة ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ۗ ﴾ أي: على جنتك التي ظننت أنها لن تفنى أبداً ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ۗ ﴾ قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، ومالك عن الزهري: أي عذاباً من السماء^(٢).

ثم يسدل الستار على جنتي الرجل الكافر لينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الخراب والدمار، ومن هيئة البطر والعجب إلى هيئة الندم، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَدًا ۗ ﴾ ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًّا ۗ ﴾ (الكهف: ٤٢ - ٤٣) فهذا ما توقعه الصاحب المؤمن لصاحبه الكافر الجاحد للمنعم والجاحد لنعمه، الذي سقط في الغواية وبنجوا هو منها لعلمه أن هذا المال إنما هو ابتلاء وفتنة من الله.

قال ابن كثير: " وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغترَّ بها، ولا يثق بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينية، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، وفيها أن من قَدَّم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله، عُدَّ به، وربما سُلِبَ منه؛ معاملة له بنقيض قصده، وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المُشفق، وأن مخالفته وبالٌ ودمارٌ على من ردَّ النصيحة الصحيحة، وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر، ونفذ الأمر الحتم، والله المستعان...^(٣).

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

وهذا النموذج يحدثنا عنه القرآن الكريم وتفصله لنا السنة النبوية لفئة من المؤمنين السابقين على الإسلام، قيل إنهم من النصارى الموحدين، ابتلوا بأعداء لهم طغاة، أجبروهم على تركهم لعقيدتهم، فأبوا وتمنعوا بعقيدتهم، فحفر لهم الطغاة الأخاديد في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وأنزلوهم فيها فماتوا حرقاً، على مرأى ومسمع من الجموع التي حشدوها لمشاهدة الجريمة^(٤)، قال الله-تعالى-: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨).

(1) نظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥٤١٣).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٥٩/٥).

(3) البداية والنهاية (٥٧٧/٢).

(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥٠٠/٧).

فهذه الفئة المؤمنة التي ذاق طعم الإيمان وحلاوته، لم تفرط في دينها، حتى وإن تعرضت لأبشع طريقة في القتل؛ لأنها علمت أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فنجت من الغواية وفازت بالسعادة.

قال الله -تعالى-: ﴿ قُلْ أَحْسَبُ الْأَحْدُوْدُ ۙ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوْدِ ۙ ٥ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُودٌ ۙ ٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُوْنَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ شُهُودٌ ۙ ٧ وَمَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ ۙ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۙ ٩ إِنَّ الَّذِيْنَ فَنَنُوْا الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوْا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيْقِ ۙ ١٠ ﴾ (البروج: ٤ - ١٠).

بيّن الله -تعالى- أن هؤلاء الظلمة الفاتنين ملعونون وخاسرون في الدنيا والآخرة، وسوف يكون مصيرهم نار جهنم والتحريق فيها إن لم يموتوا على توبة صادقة وندم شديد جراء تجرئهم على حفر الأخاديد وإشعال النيران فيها وإلقاء المؤمنين الموحدين، والفترة التي كان فيها هذا الحدث الجلل بين عيسى ومحمد عليهما السلام^(١).

وقد تعددت الروايات في الحديث عن نجاتهم من الغواية واختيارهم للسعادة بعد استشهادهم حرماً، والمعنى متقارب في كل الروايات، وقد اخترت رواية الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك، راهب، فقعده إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّاً بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبصر الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل؟! قال: أنا لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب، فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جئ بجليس الملك فقيل له:

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٢٧/١٩).

ارجع عن دينك، فأبي فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جئ بالغلام فقيل له: أرجع عن دينك، فأبي فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقتفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكأ بهم السفينة، فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقائلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه، في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنة برب الغلام! آمنة برب الغلام! آمنة برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرايت ما كنت، تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فحدث، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له أقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال، لها الغلام: يا أمة اصبري فإنك على الحق^(١).

وقوله-تعالى-: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ﴾ (البروج: ٤) "دعاء على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله- تعالى، وقيل: معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين، أي إنهم قُتلوا بالنار فصبروا، وقيل: هو إخبار عن أولئك الظالمين، فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين ألقوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود"^(٢).

وتبدأ الإشارة إلى الحادث بإعلان الغضب والنقمة على هؤلاء القوم لبشاعة ما اقترفوه من ذنب الذي يثير غضب الحليم، فاستحقوا الغضب واللعنة في الحالة التي كانوا عليها وهم يرتكبون تلك الجريمة، فالقرآن يصور ما اقترفوه وكأنه رأي العين ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ۗ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۗ﴾ (البروج: ٥-٧)، وهذا تعبير يصور موقف المجرمين وهم يوقدون النيران، ويلقون بالمؤمنين فيها واحد تلو الآخر، فهم يشاهدون عملية التعذيب، وفعل النار في الأجساد في لذة وسعار، وهذا دليل على أن القوم غلاظ القلوب، تمكن الكفر والباطل منهم وتجردوا من الإنسانية والرحمة، ودليل أيضاً على أن المؤمنين كانوا أشد صلابة في

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث (٣٠٠٥)، ص (١١٤٥).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٩٤/١٩).

عقيدتهم، وإصرارهم على إيمانهم الذي تعالى على العذابات والفتن، بل وانتصر على النار وعلى الحياة ذاتها^(١)، قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (البروج: ٨ - ٩)، أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد، الغالب الذي لا يُغلب، المحمود في كل حال، وهو مالك السموات والأرض والية الأمر كله، ومن كان بهذه الصفات فهو حقيقة بأن يؤمن به ويوحّد، والله شاهد بما فعلوا، وأشار بقوله العزيز: أي أن الله لو شاء لمنع الطغاة من اقتراف جريمتهم بل وإحراقهم بها، والحميد: إلى أن المعتبر عنده سبحانه بالعواقب، فهو وإن أمهل فهو لن يهمل، وأنه سيجازي المؤمنين، ويعاقب المجرمين^(٢)، وتختتم الآية بقوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (البروج: ٩)، ثم هو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود.. وهذه لمسة تطمئن قلوب المؤمنين، وتهدد العتاة المتجبرين، فالله كان شهيداً، وكفى بالله شهيداً^(٣)، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البروج: ١٠).

يبين تعالى أن عقوبة هؤلاء المجرمين بالنار أيضاً، فالجزاء من جنس العمل، لكن الفارق بين الحريقين أن حريق الدنيا يوقدها الخلق وحريق الآخرة قد أوقدها الخالق، كما أن حريق الدنيا لحظات وأن حريق الآخرة أبد الآباد^(٤). وهذا النموذج يضربه الله - تعالى - للمؤمنين ليكون لهم نبراساً لهم في حياتهم، ويصبروا على ما يلاقون من الأذى والمشقات، وليتأسوا بهذا الغلام وبمن آمن بدعوته، الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، فتعالوا على الغواية وعلى الفتن بل على الدنيا بأسرها، فهم كسحرة فرعون، الذين استعلى الإيمان في قلوبهم، بل لامست بشاشته شغاف قلوبهم، قال - تعالى -: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه: ٧٢).

وقد كان هذا النموذج درساً عملياً لأصحاب النبي - ﷺ - الذين صبروا على المحن والابتلاءات كعمار وأمه سمية وبلال وخبيب وخباب، وغيرهم، فهم علموا أن هذا هو درب الأنبياء والأصفياء، فالطريق إلى الجنة محفوف بالمخاطر والأشواك، لكن كل ذلك يزول مع أول غمسه في الجنة.

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١/٨) و (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبة الزحيلي (١٥٩/٣٠).

(2) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبة الزحيلي (١٥٩/٣٠).

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب (٢/٨).

(4) المرجع السابق: (٣/٨) " بتصرف".

الخلاصة:

لقد اقتضت حكمة الله -تعالى- أن يكون الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، فالباطل يُسَخَّرُ كل إمكانياته ووسائله في سبيل إيقاع المؤمنين في الغواية، وضمهم إليه ليزيد انتفاشاً وقوة؛ لكن أصحاب الحق وإن رأوا قوة الباطل وسحره لعيونهم، بكثرتهم وقوته، إلا أنهم علموا حقيقته، وزيفه، فلم تضرب أيديهم، ولم تزغ أبصارهم، فأثروا الانضمام إلى قوافل الناجين، وهذه نتيجة واضحة لاستقرار الإيمان في قلوبهم، واكتفى الباحث بذكر هذه النماذج، مع أن القرآن الكريم ملئٌ بغيرها، لتصبح نبزاً لكل السالكين لدرب الإيمان، فيتمتروا خلف إيمانهم ليحظوا بسعادة الدارين.

الفصل الرابع

نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها

. ويشتمل على مبحثين:-

المبحث الأول: نتائج الغواية

وفية ستة مطالب:-

- المطلب الأول: الكفر.
- المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .
- المطلب الثالث: الخسران والندم.
- المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.
- المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين .
- المطلب السادس: الهداية إلي السعير .

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

وفية ثمانية مطالب:-

- المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .
- المطلب الثاني: التوبة.
- المطلب الثالث: المداومة علي ذكر الله .
- المطلب الرابع: الاستغفار و التعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
- المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالي .
- المطلب السادس: الحياء والحشمة .
- المطلب السابع: الزواج .
- المطلب الثامن: التوكل على الله.
- المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.
- المطلب العاشر: الدعاء.

المبحث الأول: نتائج الغواية

وفية ستة مطالب:-

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .

المطلب الثالث: الخسران والندم.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين .

المطلب السادس: الهداية إلي السعير .

المطلب الأول: الكفر.

إن الشيطان يسعى من خلال إيقاع الناس في الغواية؛ بإضلالهم، وإيقاعهم في المعاصي والمنكرات، إلى الوصول بهم على النتيجة الحتمية المترتبة على غوايتهم وهي الكفر؛ لأن التمادي في الغواية والإصرار عليها، توصل الإنسان إلى الكفر، وهذا الذي يسعى إليه الشيطان عبر جميع أساليبه ووسائله، لأن هذه النتيجة يترتب عليها الهدف الأسمى الذي يسعى الشيطان لتحقيقه وهو دخول النار، وهذا ما بيّنه القرآن الكريم، قال - تعالى -:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦).

فهذه غايته ومقصوده من الغواية أن يوقع أتباعه في جهنم وبئس المصير^(١).

لذا فقد حذر سبحانه وتعالى عباده في العديد من مواضع القرآن الكريم من الوقوع في شرك الشيطان بل كشف

لنا خطته التي سعي من خلالها لإيقاع الناس في الغواية، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ يَنْبَغِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرْتِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا

الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧).

فوقوع الإنسان في الغواية، يحتم عليه الوصول إلى النتيجة التي يريدها الشيطان وهي الكفر

بالله - عز وجل -؛ فإذا تحقق هذا الهدف استراح الشيطان، وهذا ما حدث مع من سقط في الغواية وكيف أوصلهم

الشيطان إلى الكفر حتى إذا كفروا بالله -تعالى- تبرأ منهم الشيطان، وهذا ما بيّنه الله - عز وجل - في قوله: ﴿

كُتِبَ لِلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر: ١٦)

فسياق الآية الكريمة يتحدث عن المنافقين، فيقول الله -تعالى-، ومثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود بالنصرة

والممدد إن قُوتلوا، وبالخروج معهم إن أُخرجوا من ديارهم، كمثل الشيطان الذي غرَّ الإنسان، وزين له الغواية،

وسهل له الوقوع فيها، ووعد الإنسان بالنصرة عند الحاجة إليه، إذا أطاعه وكفر، فلما احتاج الإنسان إليه،

وطلب منه النصرة، تبرأ الشيطان منه، وخذله وتركه لمصيره، بل قال له: إني أخاف الله إن نصرتك أن يشركني

معك في العذاب^(٢).

وقد ذكر المفسرون أنَّ عابداً من بني إسرائيل تعبد الله -عز وجل- مدة طويلة من الزمن، وإن الشيطان قصده

يريد إغوائه، فعمد إلى امرأة فأجنتها، فقال لإخوتها، عليكم بهذا العابد؛ فإنه له القدرة على شفائها، فجاؤوا بها إليه

فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبتة فأتاها فحملت منه، فأتاه الشيطان، فقال له سيفتضح

أمرك فاقتلها، فقتلها، وجاء إخوتها فسألوا عنها، فأجابهم الراهب: أن شيطانها أخذها، أي ماتت، فما زال

(١) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (١/٦٦٤).

(٢) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٨/٢٣٢).

الشیطان بهم حتى دلهم على مكان قتلها، وجاءوا للراهب فما زالوا به حتى اعترف بجريمته، وعندما حانت ساعة قتله، تمثل له الشيطان بالناصح الأمين، ليخلصه مما هو فيه، فكان طلبه أن يسجد له سجدة واحدة، فلما سجد له قال إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين^(١)، فهذه القصة موجودة عند أكثر المفسرين، ليست من أسباب النزول وإنما على سبيل كيفية تبرؤ الشيطان من الإنسان عند كفره، فهذه الغاية التي يريد أن يصل إليها في الدنيا، فيتبرأ من الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد حدثنا القرآن عن الجدل الحاصل بين الشيطان والتمكنين في الغواية ممن استحقوا دخول النار، فيقولون للشيطان أنت أغويتنا وزينت لنا، فيقول لهم، كما بين -تعالى- على لسانه: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

وقد بين الباحث بعض النماذج للذين أوصلهم الشيطان بعد سقوطهم في الغواية إلى الكفر، أمثال ابن نوح -عليه السلام- وزوجته، وقوم لوط، والنمرود، وفرعون، وبلعام بن باعوراء وغيرهم.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .

وهذه نتيجة أخرى للغواية استحقها من خالف أوامر الله -تعالى- وتوجيهات أنبيائه عليهم السلام، فاليهود، والنصارى وغيرهم ممن كفروا بالله لم يصلوا إلى هذه النتيجة إلا عندما أغواهم الشيطان، فتجرئوا على الله تعالى، وعلى كتبه، وعلى أنبيائه ورسله، وقد بين الله -تعالى- غوايتهم في القرآن الكريم، قال -تعالى- في بيان تطاولهم على الذات الإلهية وتحايلهم على الله وعلى شريعته، فبغوايتهم هذه، وصلوا إلى نتيجة الغضب الإلهي واللعن والطرده من رحمة الله -عز وجل-، وقد سجل القرآن الكريم هذا الغضب واللعن في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١)، وقوله -تعالى-: ﴿... فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (البقرة: ٩٠)، وقوله -تعالى-: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٢)، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَهْلَ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(١) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢٩٧/٢٣) و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣٨/١٨) و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٧٥/٨).

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿ (الأعراف: ١٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨)

والغضب واللعن ليس خاصاً باليهود والنصارى فحسب، بل في كل من سار على ذات النهج، وقد رأينا كيف حل غضب الله-تعالى- بالأقوام السابقة الذين سقطوا في الغواية، فالغضب واللعن نتيجة من نتائج الغواية تنتظر كل من يخالف المنهج الذي رسمه لنا سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: الخسران والندم.

ومن النتائج المترتبة على الغواية حالة الندم التي تستولي على المعرض عن ذكر الله-تعالى-؛ لأن الله-تعالى- قبيض للمشركين قرناء سوء يلازمونهم طيلة حياتهم، ليزينوا لهم الغواية، قال- تعالى-:

﴿ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴾ (فصلت: ٢٥).

وقد اقتضت حكمة الله-تعالى- عندما يغفل قلب الإنسان عن الله، أن يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه، ويصبح له قرين سوء، يوسوس له، ويزين له الباطل، فقرناء السوء وظيفتهم أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله، قال-

تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

(الزخرف: ٣٦). بينما هم يحسبون أنهم مهتدون، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٦)، وهذا أسوأ ما يصنعه القرين بقرينه، أن يصدّه عن السبيل الواحدة الواضحة، ثم لا يدعه حتى يفيق ليتبين الحق من الضلال، وإنما يوهمه أنه سائر في الطريق الصحيحة الصائبة القاصدة، حتى يصطدم بالمصير الأليم، فإذا هو يرى نفسه في جهنم وبئس المصير^(١)، ثم يبين سبحانه وتعالى ما يكون بين هذا الإنسان

الكافر، وبين قرينه من الشياطين يوم القيامة، قال-تعالى-: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا بَنِيَّ إِنَّكُمْ لَعِنَاءٌ لِي بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (الزخرف: ٣٨)، وهذا تعبير عن حالة الندم التي يعيشها الإنسان الكافر عندما يظفر بمن أغواه وأوقعه في الضلال، فيقول له: أتمنى أن تكون المسافة بيني وبينك من البعد والمفارقة، كالمسافة بين المشرق والمغرب، فالمراد بالمشرقين: المشرق والمغرب، وقد عبّر عنهما بالمشرقين على سبيل التغليب لأحدهما على الآخر^(٢)، وقد ساق الله-تعالى- العديد من الآيات الدالة على تقييض الشياطين للكفار، لإغوائهم وإضلالهم، وقد

(١) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦/٣٥٥).

(٢) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (١٣/٨١).

بيّن الباحث العديد منها في الفصل الثاني، ضمن مبحث أساليب الشيطان مع الكافرين، ونسوق بعضها في هذا المطلب للتوضيح، قوله-تعالى:- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّادِقُونَ﴾ (البقرة: 177)، وقد بيّن الباحث أقوال المفسرون في معنى الأرز في الآية الكريمة في ذات الفصل الثاني، وقد بيّن -تعالى- قوله ﴿فَيَسَّ الْقَرْيَةَ﴾، وقوله-تعالى: ﴿وَقِيصًا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ (فصلت: ٢٥)، على أن قرناء الشياطين جديرين بالذم الشديد، قد صرّح بذلك في آية أخرى، قال-تعالى:- ﴿..... وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء: ٣٨).

قال الشنقيطي: " وقوله ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ بمعنى ﴿فَيَسَّ الْقَرْيَةَ﴾؛ لأن كلا من ساء وبئس فعل جامد لإنشاء الذم" (١). والخسران الذي يجنيه الشيطان واتباعه ممن سقط في الغواية قرّره الله-تعالى- في العديد من الآيات القرآنية، قال-تعالى:- ﴿..... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٩). فبيّن الله-تعالى- في الآية الكريمة أن من يتبع الشيطان ويواليه، ويسير خلفه في طريق الغواية، ويترك طريق الحق والهدى، فقد خسر خسراناً واضحاً بيّناً؛ لأن الشيطان لا يدعو الإنسان إلا ما يهلكه، ويخزيه في الدنيا والآخرة (٢).

قال السعدي: " وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياها؟! فصل له الشقاء الأبدى، وفاته النعيم السرمدي" (٣).

وقد ساق لنا القرآن الكريم العديد من الآيات التي تعبر عن حالة الندم التي يعيشها الكفار يوم القيامة جراء اتباعهم الشيطان وانغماسهم في الغواية، قال-تعالى:- ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩) ، وفي قوله-تعالى:- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠)، وفي قوله- تعالى:- ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفرقان: ٢٧ - ٢٩)، وفي قوله-تعالى:- ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ

(١) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٢٧/٧).
 (٢) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣١٦/٣).
 (٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٠٣/١).

أَنْ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦ - ٥٨﴾ (الزمر: ٥٦ - ٥٨)، وغيرها من الآيات التي تكشف لنا عن حالة الندم التي تنتاب هؤلاء الكفار نتيجة سقوطهم في الغواية.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

لقد أمر الله - عز وجل - المؤمنين أن يتخذوا الشيطان عدواً؛ لأن الشيطان يدعو أصحابه ليكونوا من أصحاب السعير، وهذا ما بيّنه الله - تعالى - في الآية الكريمة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦).

ومع هذا الأمر الإلهي إلا أن كثيراً من الناس غفلوا عن هذا الأمر واتخذوا الشيطان صديقاً ملازماً لهم في حياتهم؛ فأطاعوه في معصية الله، وأعانهم على الغواية، فاستحقوا العذاب الأليم؛ لأن هؤلاء لم ينجوا من وعيد الشيطان لبني آدم بالإغواء، بسبب تمكينهم للشيطان في أنفسهم، فلم يستجيبوا لنداء الحق - سبحانه وتعالى - الذي بيّن لعباده وسائل النجاة من الغواية، والتي تشكل مانعاً للإنسان من السقوط فيها، وقد بيّن الله - تعالى - لعباده أن اتباع الشيطان في الغواية يؤدي بهم لأن يكونوا من أصحاب السعير، وفي ذلك يقول - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، ولكنه سيقول لأتباعه بعد أن أسقطهم في الغواية، عندما يعاينون عقاب الله - تعالى -: ﴿..... إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَعَدَدُكُمْ فَانْخَلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّيْكُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ بِيَّ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

وهذه الآية تأكيد من الله - تعالى - للتحذير من اتباع الشيطان فيما يدعو إليه من الغواية، فبعدُ الشيطان اتباعه وعوداً كاذبة وباطلة، ويمنيهم بالأمان الكاذبة، حتى لا يفتروا عن طاعته، والحال أن الشيطان ما يعدهم إلا بالأمور الكاذبة الخادعة التي ظاهرها يغري وباطنها يردي إلى جهنم وبئس المصير^(١)، و القرآن الكريم يعجُّ بالعديد من الآيات التي تبين خسارة من يقع في غواية الشيطان في الآخرة.

(١) نظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣/٣١٧).

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين.

لقد وعد الله - عز وجل - كل من سار على درب إبليس في الغواية، وسار خلف شهواته ونزواته، مفضلاً الفانية على الباقية، أن يسوقهم مجتمعين مع شياطينهم الذين كانوا يغرونهم ويغووهم بالمعصية، ويزينوها لهم، وهذا ما بيّنه الله - تعالى - في قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٦٨). وفائدة القسم في الآية الكريمة أمران:

"أحدها: أن العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين.

الثاني: أن في إقسام الله - تعالى - باسمه مضافاً إلى الرسول رفعاً من شأنه، كما رفع من شأن السموات والأرض في قوله: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٣)^(١).

وحشر هؤلاء الكفار وشياطينهم في موقفين اثنين:

الموقف الأول: جمع في المحشر.

وهذا ما أكدته الآية الكريمة في قوله - تعالى - : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٦٨).

أي: أقسم الله - تعالى - بذاته الكريمة، أنه لا بد أن يُحشَرَ هؤلاء المجرمون الذين أنكروا الآخرة، وأنكروا البعث، وكفروا بالله - تعالى -، بأن يحشروا من قبورهم أحياء مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، فيقرن كل كافر مع شيطانه بسلسلة، ثم يكون إحضارهم حول جهنم، وهذا الإحضار يكون قبل ورودهم النار، بأن يحضرهم الله - تعالى - ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٦٨)، فيرسم الحق - سبحانه وتعالى - صورة حسية لحال هؤلاء المجرمين وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والذل والمهانة، في قوله - تعالى - : ﴿ جِثِيًّا ﴾؛ لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل المهان، وهذه صورته مفرغه، مرعبه، فعندما يتصور الإنسان جموع الناس الذين لا يحصيهم عدد وهم محشورين، ومحضرين حول جهنم، ينتظرون في كل لحظة أن يلقوا فيها وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع، وهذا ما بيّنه - تعالى - في قوله: ﴿ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِئَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجمعة: ٢٨)^(٢).

(١) مفاتيح الغيب: الرازي (٣٣١/١٠).

(٢) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٣١/١٠) و(فتح القدير): الشوكاني (٤٩٠/٣) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (١٠٤/٥) و(تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥٥٨٨) و(التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (١٤٥/١٦).

الموقف الثاني: جمع في جهنم.

وهذا الجمع بيّنته الآية الكريمة في قوله -تعالى-: ﴿ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۗ ﴾ (١٤) ﴿ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: ٩٤ - ٩٥).

قوله تعالى: ﴿ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۗ ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: "معناه جمعوا في النار.

الثاني: طرحوا فيها على وجوههم.

الثالث: نكسوا فيها على رؤوسهم.

الرابع: قلب بعضهم على بعض" (١).

وجميع هذه الأقوال قريبة من بعضها، إذ يصور الحق - سبحانه وتعالى - حال هؤلاء المجرمين وهم يلقوا في جهنم هم والذين أضلوهم، وجنود إبليس الذين زينوا لهم الشر والمعاصي، فلم يفلت منهم أحد، وقد جاء - سبحانه وتعالى - بلفظة الكبكة التي تدل على التكرير في المعنى، وكأنهم ينكبوا في جهنم مرةً بعد مرةً. يقول سيد قطب: " وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكربة الناشئ من الكبكة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاؤون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوين، هم ﴿ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ والجميع جنود إبليس، فهو تعميم شامل بعد تخصيص" (٢).

وهؤلاء ما استحقوا هذا العذاب إلا من أجل غوايتهم وأتباعهم للغاوين، فكانت نتيجة غوايتهم أن يحشروا مع من أغواهم، وقد قال الله -تعالى-: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْرَبُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل: ٨٩ - ٩٠).

المطلب السادس: الهداية إلى السعير.

لقد حذر الله -تعالى- عباده المؤمنين بل وجميع بني آدم من خطورة عداوة الشيطان للإنسان، وخطورة الهدف الذي يسعى الشيطان لتحقيقه من خلال عداوته لهم وذلك من خلال العديد من الآيات الكريمة، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦)، ينهانا الحق - سبحانه وتعالى - أن نغترّ بغرور الشيطان إيانا بالله -تعالى-، وأن ننزله من أنفسنا منزله العدو الماكر المخادع؛ لأنه يزين

(١) النكت والعيون: الماوردى (١٧٨/٤).

(٢) في ظلال القرآن (٣٥٥/٥).

المعصية في ثوب الطاعة، فاحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه، ولا تتولّوه، فالعدو لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل! فالشيطان لا يدعو إلى الخير ولا إلى النجاة ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فالعاقل لا يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير، فهذه لمسة وجدانية صادقة؛ لأن الإنسان حين يستشعر ويستحضر صورة المعركة بينه وبين الشيطان؛ فإنه يتحفز بكل قواه، أن يدفع غوايته وإغرائه، فيصبح متيقظاً فطناً لكل وسائل الإغراء التي يكيد الشيطان بها للإنسان، وهذه الحالة التي يريدها الله -تعالى- من الإنسان، حالة الاستعداد الدائم للمعركة الأبدية بين الإنسان والشيطان^(١)، فهو يدعو حزبه ومن أطاعه في دعوته وكفره، كما قال -تعالى-: ﴿ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.

قال ابن عاشور: " واللام في قوله: ﴿ لِيَكُونُوا ﴾ إما أن تكون لام العلة؛ فإن الشيطان قد يكون ساعياً لغاية إيقاع الأدميين في العذاب نكاية بهم، وهي علة للدعوة المخفية في خاطره الشيطاني وإن كان لا يجهر بها؛ لأن إخفاءها من جملة كيدِه وتزيينه، وإما أن تكون اللام لام العاقبة والصيرورة مثل ﴿ فَالْقَلْبَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ... ﴾ (القصص: ٨) ^(٢) .

قال ابن عطية: " لأنه لم يدعهم إلى السعير إنما اتفق أن صار أمرهم عن دعائه إلى ذلك"^(٣) .
ولولا موالاتهم للشيطان لما دعاهم إلى دخول النار، قال -تعالى-: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).
وابن كثير -رحمه الله- يلفت انتباهنا إلى نقطة مهمة؛ وهي أن الشيطان ليس له القدرة على التسلُّط على الناس من تلقاء نفسه، فلم يمكِّنه الله -تعالى- من ذلك إلا بسببهم ومن جرّاء موالاتهم له، وبذلك يقول -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا سُلِّطْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ١٠٠).

فيسلّطه الله -تعالى- عليهم بموالاتهم له وليس لاستقلاله بذلك، فليس إذن مجبرون، بل موالاتهم له هي المسؤوله عن تسلّطه عليهم، ومن ثم استطاع - لعنه الله- أن يجرّهم إلى جهنم^(٤).

قال الله -تعالى-: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج: ٤) .

^(١) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٣٩/٢٠) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (١٣٥/٦).

^(٢) التحرير والتتوير (٤٤٣/١١).

^(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٣٠/٤).

^(٤) تفسير القرآن العظيم (٦٠٢/٤).

أي: كتب الله علي هذا الشيطان، أن من سار على دربه وتابعه ووالاه فإنه ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: يضلّه عن طريق الحق والخير، ويهديه أي: للشر، والهدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، فإنه يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر، فالدلالة مطلقة، ونظير ذلك في قوله-تعالى-: ﴿... فَأَمْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصفات: ٢٣)، وقوله-تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّكَارِ وَيَوْمَ الثَّقَاتِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ (القصص: ٤١) (١).

وقوله-تعالى-: ﴿السَّعِيرِ﴾ "هي النار المتوهجة التي لا تخدم ولا تنطفئ" (٢) فهكذا تكون نتيجة الغواية واتباع الشيطان؛ فإنه يهدي أتباعه وحزبه ليكونوا من أصحاب النار، فهذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

الخلاصة:

لا شك أنّ سلوك السبل التي تؤدي إلى الغواية، واتباع الشيطان فيما يدعو إليه من الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، تمثل النهاية المؤلمة التي تنتظر كل من وقع فيها؛ لأن الشيطان لم يفتر البتة عن إغواء الناس بشتى الوسائل والأساليب بهدف إيقاعهم في الغواية، كما بيّن-تعالى-: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْدَنَ لِمَن صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تِيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٦ - ١٧).

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أُغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي) (٣).

ومن هنا فإن النهاية مؤلمة لكل من سلك سبيل الغواية؛ لأنه بذلك حقق مراد الشيطان في إهلاك الناس، ويشتدّ الألم عليه أكثر عندما يتبرأ الشيطان من أتباعه بعدما أسقطهم في الغواية، ومعاينتهم لعقاب الله-تعالى- أمام أعينهم، فيكشف حينها عن الحقيقة التي غابت عن كل من يركض خلف الشهوات والنزوات والشبهات في سبيل إرضاء الشيطان، كما قال-تعالى-: ﴿... إِرْكُ اللَّهِ وَعَدَاكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

(١) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥٩٧٤) و (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٢٦٢/٤).

(٢) تفسير الشعراوي: الشيخ الشعراوي (٥٩٧٤)

(٣) تم تخريجه ص(٨٣).

فلا بد لكل عاقل أن ينظر إلى هذه النتيجة المؤلمة التي تنتظر كل من يقع في الغواية ويسلك سبل الشيطان، وأن يتيقن أن الطريق الوحيد للنجاة هو طريق الله، كما بيّن تعالى:- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

وفية ثمانية مطالب:-

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .

المطلب الثاني: التوبة.

المطلب الثالث: المداومة علي ذكر الله .

المطلب الرابع: الاستغفار و التعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالى .

المطلب السادس: الحياء والحشمة .

المطلب السابع: الزواج .

المطلب الثامن: التوكل على الله.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

المطلب العاشر: الدعاء.

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

من رحمة الله -تعالى- بعبادة أن يسرَّ لهم سبل النجاة والوقاية من الغواية، والتي تتدرج تحت طريق الهداية، التي أمر الله -تعالى- عباده أن يسلكوها، وألا يتكبروا الطريق فيتركوها؛ لأن الشيطان توعدهم بإسقاطهم فيها، وهذه السبل تمثل طريق الخلاص والنجاة من غواية الشيطان، وقد بيّن الله -تعالى- في العديد من الآيات القرآنية توعداً إبليس لعباده بالإغواء، حتى ظن الظان أنه لن ينجو من غوايته أحد، قال -تعالى-: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ سِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦ - ١٧)، وقوله -تعالى-: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي لِأَزِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْأَغْوِيَنِيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩)، وقوله -تعالى-: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنِ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْسَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٣﴾ ﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ أَكْثَرِ جَزَاءِ مَوْفُورًا ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَعْلَجَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ بِمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٢ - ٦٤).

ومع هذا التهديد والوعيد من الشيطان للإنسان بالإغواء إلا أن الله -تعالى- كشف لعباده خطط الشيطان التي يسعى من خلالها لإسقاطه في الغواية، وبيّن سبل النجاة والوقاية التي هي بمثابة الحصن الحصين للمسلم من غواية الشيطان، والتي سيبينها الباحث في المطالب التالية.

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .

إن الله -تعالى- لا يقبل من العبادات إلا ما كان خالصاً، ولهدي النبي -ﷺ- موافقاً، فعليهما مدار القبول، فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وكما قال -تعالى-: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١١٠) ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة)^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -ﷺ-: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)^(٢) .

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الأشربة، باب: استحباب لعق الأصابع....، رقم الحديث (٢٠٣٣)، ص (٨٠٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد والرفائق، باب: من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء)، رقم الحديث (٢٩٨٥)، ص (١١٤١).

وقد بيّن - سبحانه وتعالى - أن الشيطان لا سبيل له على المخلصين، الذين أخلصوا لله عبادتهم، فلم يكن للشيطان ولا غيره نصيب فيها.

وقد عرّف العلماء الإخلاص بعدة تعريفات:

قال الكفويّ: "الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السرّ والقول"^(١) وقال المناويّ: "الإخلاص هو تخلص القلب من كلّ شوب يكدر صفاءه، فكلّ ما يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصاً، وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله"^(٢).

وقال الطحاوي: "والإخلاص: خلوص القلب من تأله ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته"^(٣).

فمن خلال أقوال العلماء يتبين للباحث أن الإخلاص هو عبارة عن تنقية الأعمال والأقوال والعبادات من كل ما يشوبها، بحيث تُبرأ عن كل ما دون الله تعالى.

وقد أمر الله -تعالى- عباده بإخلاص العبادة له وحده في العديد من الآيات، قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ..... قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١١ - ١٤)، وغيرها من الآيات.

قال الشوكاني: "وفى الآية دليل على وجوب النية، وإخلاصها من الشوائب؛ لأن الإخلاص من الأمور القلبية التي لا تكون إلا بأعمال القلب، وقد دلت السنة الصحيحة على أن ملاك الأمر في الأقوال والأفعال النية"^(٤)، كما في حديث: (إنما الأعمال بالنيات)^(٥).

لذلك؛ فإن العبد إذا حقق الإخلاص يقطع السبيل على الشيطان من أن يتسلط عليه، وقد استثنى هو بنفسه -لعه الله- المخلصين من غوايته، وأخرجهم من ضمن أهدافه؛ إذ لا سلطان له عليهم.

يقول -تعالى- مخبراً عما قاله إبليس -لعه الله-: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٣٩ - ٤٢)، وقال -تعالى-: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢ - ٨٣).

(١) الكلبيات (٦٤/١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٣/١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٣/١).

(٤) فتح القدير: (٤٤٨/٤).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -ﷺ-، رقم الحديث (١)، ص (١٣).

فقد بيّنت الآيات الكريمات أن المخلصين فقط، هم المستثنون من غواية الشيطان، وقُرأت (الْمُخْلِصِينَ) بالفتح، أي: "الذين أخلصتَهُم واستخلصتَهُم لعبادتك بتوفيقك وهدايتك"، وقُرئ (الْمُخْلِصِينَ) بالكسر، أي: "الذين أخلصوا لك العبادة"^(١).

ومن هنا فإن هذا الشرط الذي قرره إبليس - اللعين - قرره وهو يدرك أن لا سبيل إلى سواه، فهذه سُنَّةُ الله أن يستخلص من عباده من يخلصون له أنفسهم؛ لذلك كانت النتيجة في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤١ - ٤٢)، والاستثناء المذكور في الآية ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ استثناء مقطوع؛ لأن الغاوين ليسوا جزءاً من عباد الله المخلصين، كما أن الشيطان لا يغوي إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع، أما الذين أخلصوا لله أنفسهم، وجرّدوا له الوجدانية فهؤلاء ليس للشيطان عليهم سبيل^(٢).

قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (سبأ: ٢٠ - ٢١).

فالله - تعالى - لم يعط إبليس - لعنه الله - القدرة على إجبار الناس، وإغوائهم وإضلالهم، وإنما له القدرة على العباد الذين يرضون فكره، ويتابعونه محض إرادتهم المطلقة، وهذا مأخوذ من قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ١٠٠).

والسلطان الذي أعطيه الشيطان هو تسلطه عليهم بالإغواء، والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر أزا، ويستحوذ عليهم، كما بيّنا ذلك في أساليبه مع الكافرين^(٣).

وسلطانه على أوليائه ليس فيه حجة ولا برهان؛ إنما استجابوا له بمجرد أن دعاهم، فهم الذين أعانوه على أنفسهم ومكنوه منهم بموافقتهم ومتابعتهم إياه، لذلك استحقوا أن يجمعهم الله - تعالى - في النار^(٤)، كما في قوله - تعالى -:

﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْكَ مِنْهُمْ فَأْتِ الْيَوْمَ أُولَئِكَ بِمِثْلِ مَا جَاءَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ وَأَنْتَ كَانَتْ تَكْفُرُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَنْ كُنْتَ عَلَيْهِمْ غَافِلاً ﴾ (الأنعام: ٦٣).

لذلك فقد عصم الله أهل الإخلاص من غوايته وسلطانه عليهم، وتوكل الله برعايتهم.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (١٠٣/١٧) و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٨/١٠).

(٢) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤/٤٣٧).

(٣) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٨١/٧) و (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٨٢).

(٤) انظر: (عالم الجن والشياطين): عمر الأشقر (٢٦/١).

نسأل الله -تعالى- أن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا وأفعالنا وفي عبادتنا، وأن يجعل إخلاصنا حرزاً وحصناً لنا من الغواية.

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار.

من رحمة الله بعبادة أن يسر لهم باب التوبة من الغواية، والتحصن والوقاية منها بالاستغفار؛ لأنهما سبيلاً النجاة في الدنيا والآخرة، كما قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآيَاتِهِمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧). وقد أمر - سبحانه وتعالى - عباده الأخذ بالتوبة ولزوم الاستغفار؛ وسمى نفسه بالغفار والغفور وغافر الذنب، وأثنى على المستغفرين، ووعدهم بجزيل الثواب، فالتوبة والاستغفار هما الجدار الواقي للعبد من الغواية. والتوبة في الشرع: "هي ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعادة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة"^(١).

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تحث على التوبة والاستغفار، نذكر منها:

قوله -تعالى-: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ (غافر: ٣).

أي: غافر ذنوب المستغفرين، وقابل توبة التائبين، وراحم المنيبين، وهو شديد العقاب على من تجاوز حدوده، واستهان بأمره، وأصر على ذنبه، وهو صاحب التفضل على العباد، وصاحب الإنعام على الخليقة، إذ لا معبود بحق سواه ولا إله غيره، ولا شريك له، إليه يرجع الخلق لإحقاق الحق ومجازاة كل بما يستحق^(٢).

والله -تعالى- فتح لعباده باب التوبة، ليقطع الطريق على الشيطان في إغواء العباد، فكل من أذنب ذنباً ثم تاب إلى الله -تعالى- واستغفر، لن يقدر الشيطان على إغوائه؛ لأن التوبة والاستغفار صفتان من صفات عباد الله، وقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحجر: ٤٢)، وقد قال -ﷺ- في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي -ﷺ-، فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، عمل ما شئت فقد غفرت لك)^(٣).

(١) مفردات غريب القرآن: الر اغب الأصفهاني (٧٦/١).

(٢) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٧٣١/١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب....، رقم الحديث (٢٧٥٨)، ص (١٠٥٨).

لذلك كان التوجيه الإلهي للعباد بالمسارعة إلى التوبة والاستغفار في العديد من الآيات القرآنية، قال -تعالى-:

﴿ وَمَنْ يَمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١١٠)

والمعنى: أن من يعمل ذنباً وهو السوء، أو يظلم نفسه بإكسابها إياها ما تستحق من عقوبة، ثم يتوب إلى الله من تلك الأعمال، وعمل ما يحبه الله من الأعمال الصالحة والطاعات، وداوم على الاستغفار، يجد ربه سائراً عليه ذنبه؛ وذلك بصفحه له عن عقوبة جرمه^(١).

فالتوبة والاستغفار عبارة عن الحصن الذي يأوي إليه المسلم عندما تنزلق قدماه تجاه المعصية، فبهما يصل العبد إلى شاطئ النجاة، وهذا ما بيّنته الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية المطهرة.

قوله -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٥٣).

أي: والذين يقتربون السيئات بجميع أنواعها كبيرها و صغيرها، ثم يرجعوا إلى الله -تعالى- بالتوبة والاستغفار والإنابة، وإخلاص الإيمان؛ فإن الله -تعالى- من بعد تلك العظائم لغفور رحيم، سائر على ما كان منهم، وهذه الآية الكريمة تحمل في طياتها من البشائر والفرح للمذنبين ما الله به عليم، ليُعلم أن الذنوب وإن جُلت، وعظمت؛ فإن عفو الله وكرمه أعظم وأجل، شريطة التوبة والإنابة^(٢)، وهذا ما يهلك ويحزن إبليس، ويقطع عليه فرحته، وينغص عليه عيشته؛ لأن هدفه الأسمى هو إيقاع الناس في المعاصي والذنوب التي توصلهم إلى النار، فكيدته وغوايته تذهب أدرج الرياح بمجرد عودة العبد إلى ربه، وهذا ما بيّنته السنة المطهرة.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أُغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَعْفَرُونِي)^(٣).

وفي الحديث القدسي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً)^(٤).

فالتوبة والاستغفار باب لا يغلقه الله -عزَّ وجلَّ- في وجه أحد من الناس إلا في الحالتين الآتيتين.

أولهما: عند حشجة الروح في الحلق.

(١) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩٤/٩).

(٢) انظر: (الكشاف): الرازي (١٩٤/٢) و (مفاتيح الغيب): الرازي (٢٥٧/٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٤)، ص (٣٤٤/١٧)، صححه الألباني.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار...، رقم الحديث (٣٥٤٠)، ص (٨٠٤).

وهذا ما بيّنته السنة المطهرة، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)^(١).

ثانيهما: عند طلوع الشمس من المغرب.

وهذا بيّنه قوله -تعالى-: ﴿.....يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

قال ابن كثير: "أي: إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك؛ فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة حينئذ، لم تقبل منه توبته، أما قوله -تعالى-: ﴿.....أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...﴾ أي: ولا يقبل منها كسبُ عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك"^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوب مسيء اللّيل، حتَّى تطلع الشَّمس من مغربها)^(٣). وحتى تصبح التوبة حصناً للمؤمن من الغواية لا بد وأن تستكمل شروطها.

شروط التوبة:

قال النووي: "التوبة واجبة من كلِّ ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وربه لا تتعلّق بحق آدمي فلها شروط ثلاثة وهي:

- ١- أن يقلع عن المعصية.
 - ٢- أن يندم على فعلها.
 - ٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصحَّ توبته، ويزاد شرط رابع إذا كان الذنب متعلّقاً بحق آدمي، أن يبرأ من حق صاحبه"^(٤).
- فما أحوجنا إلى سلاح التوبة والاستغفار، فبالتوبة والاستغفار ننجي ونتقي أنفسنا من الغواية .

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعبادهن رقم الحديث (٣٥٣٧)، ص (٨٠٣)، قال الألباني حديث حسن.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٧٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم الحديث (٢٧٥٩)، ص (١٠٥٨).

(٤) رياض الصالحين (١/١٧).

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله.

لا شك أن المداومة على ذكر الله-تعالى- على كل حال مطردة للشيطان، ودفع لغوايته ووساوسه التي يسعى من خلالها إلى إغواء العباد، لذلك قال الله-تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

قال الطبري: " إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان- ما كان ذلك العارض- تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره، وقوله-تعالى-: ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ أي: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان" (١).

أما إذا غفل المسلم عن ذكر الله-تعالى- جثم الشيطان على قلبه، وألقى إليه الوسوس بأنواعها، والتي هي أصل الذنوب والمعاصي، فإذا ذكر الله العبد؛ فإن الشيطان ينخنس وينقبض، وهذا ما أشار إليه ابن كثير عند تفسيره لقوله-تعالى-: ﴿ أَلَوْسَاسِ الْخَنَازِيرِ ﴾ (الناس: ٤) أي: " أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس" (٢).

والشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله تعالى، والعبد الذي يحافظ على ذكر الله يحفظ نفسه من وساوس الشيطان، كما جاء في حديث النبي-ﷺ-: (كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى) (٣). فذكر الله-تعالى- مقمعه التي يجمع بها، كما يجمع المفسد والشريد بالمقامع التي تردعه، ولهذا يكون الشيطان المؤمن هزئلاً ضئيلاً من شدة ما يعذبه المؤمن، ويقمعه من ذكر الله وطاعته (٤). فالذي يداوم على ذكر الله-تعالى- لا يستطيع الشيطان أن يتسلط عليه؛ إنما يتسلط على الغافل البعيد عن الله، وهذا ما بيّنته الآية الكريمة في قوله-تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الناس: ١٤) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٦ - ٣٧) ومفهوم المخالفة من الآيات الكريمت أن الذي يذكر الله لا يقبض له هذا الشيطان؛ لأنه حصن نفسه بهذا الذكر، من أن يغويه ويصده عن سبيل الله. وقد جاءت السنة المطهرة زاخرة ومفصلة للأذكار التي تترد الشيطان، وتكون حرزاً لصاحبها من الغواية.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٣٧/١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٣٠/١٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الأدب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم الحديث (٢٨٦٣)، ص (٦٤٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٧٢٤)، (٣٥٦/١).

(٤) انظر: (بدائع الفوائد): ابن القيم (٧٩٢/٢).

فالسنة جعلت أذكاراً للصباح وأذكاراً للمساء، وذكراً عند الاستيقاظ من النوم، وآخر عند الأكل، وعند الشرب، وعند اللبس، وعند دخول البيت، وعند الخروج منه، وعند دخول الخلاء وعند الخروج منه، وعند الأذان وعند الإقامة، وغيرها، فلم تدع السنة وقتاً إلا وخصص بذكر.

ومن هنا فلا بد للعبد أن يحرز نفسه بذكر الله -عزَّوجلَّ-؛ لأن الشيطان لا يدخل عليه إلا من باب الغفلة، فإذا ذكر الله انخنس، وتصاغر وانقمع.

وقد بيّن النبي -ﷺ- أنّ الذاكر يعيش في معية الله -عزَّوجلَّ-، قال رسول الله -ﷺ-: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة^(١)، فإذا كان الله مع العبد الذاكر، فحتماً فإن الشيطان سينزوي ويتصاغر، ولن يكون له تأثير.

المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

إن الاستعاذة بالله -تعالى- هي أقوى وأمضي سلاح يتسلح به المؤمن ضد الشيطان وغوايته، فيها تحصل الاستعانة بالله -عزَّوجلَّ- على مقاومة هذا اللعين الذي لا يقدر على صده إلا خالقه.

والاستعاذة في اللغة: مصدر (عَوَّذَ) "عاذ به يَعوذُ عَوْذًا وَعِذَاذًا وَمَعَاذًا، أي: لاذ منه ولجأ إليه واعتصم"^(٢). والاستعاذة شرعاً: قال الطبري: الاستعاذة: هي "الاستجارة"^(٣)، وقال ابن كثير: الاستعاذة "هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر"^(٤)، وقال: "ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحتثي على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله -تعالى-"^(٥)

والاستعاذة بالله مطلب شرعي إذ أمر الله -تعالى- به، والنبي -ﷺ- في سننه؛ لأن الشيطان يرانا هو وقبيلُهُ من حيث لا نراهم، لذا شرع لنا أن نعتصم ونلوذ بمن يراه ولا نراه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: ما يُذكر في الذات والنعوت وأسامي الله، رقم الحديث (٧٤٠٥)، ص (١٣٣٨).

(٢) لسان العرب: ابن منظور (٤٩٨/٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١١١/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١١٤/١).

(٥) المرجع السابق (١١٤/١).

وقد حث الله -تعالى- رسوله -ﷺ-، وعباده على الاستعاذة من الشيطان في مواضع كثيرة من كتابه الكريم.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وقد كرر الله -تعالى- الاستعاذة في آية أخرى، في قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦)، وهذا دليل على أهمية الاستعاذة، ومدى حاجة العبد إلي الالتجاء بالله من الشيطان ومن غوايته، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْرِضُونَ سُلْطَانًا عَلَيْهِمْ لِنِيبٍ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِيَلْقِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (غافر: ٥٦).

يقول ابن القيم: " وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف وفصلت ، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ السميع البصير في سورة غافر؛ لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر" (١) .
فالقرآن والسنة يبيّنان لنا مدى أهمية التعوذ بالله من الشيطان؛ لأن العبد بالتعوذ يحصن نفسه من الشيطان ومن غوايته، وقد جاءت الاستعاذة بعدة صيغ وألفاظ وأوقات، وسيذكرها الباحث في نقاط.
أولها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم على وجه العموم.

قوله -تعالى-: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون: ٩٧ - ٩٨) .

هذا أمر للنبي -ﷺ- وأمته بأن يعتصموا بالله من الشياطين، ومن غوايتهم وخنقهم ومسهم، وأن يستعينوا به من أن تحضرهم الشياطين في أي أمر من أمورهم (٢)، ومن ذلك حضورهم الإنسان عند موته، قال ابن القيم: " الأظهر أن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصابتهم لابن آدم (٣) .
ثانيها: الاستعاذة بالله عند نزغات الشيطان.

وهذا ما بيّنته الآيات الكريمات، في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وقوله -تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦).

(١) بدائع الفرائد (٢ / ٧٦٥).

(٢) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩ / ٦٨) و (الكشاف): الزمخشري (٣ / ٢٠٢).

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم (١ / ٩٥).

وجاء التأكيد في هذه الآية ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن في الآية أمراً بالإحسان، وهذا لا يقدر عليه إلا الصابرون، وقد سبقت الآية الكريمة بعد إنكار الله-تعالى- على الذين شكوا في سمعه بقولهم وفعلهم، وعلمه بهم، فاحتاج الحال إلى مزيد توكيد.

أما في الآية الأولى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيها الأمر بالإعراض، وهذا أسهل على النفوس، فلم يؤكد^(١). وقد دلت السنة النبوية على أهمية التعوذ بالله، بأحاديث حث فيها النبي-ﷺ- على التحصين بالاستعاذة في مواضع عدة، ذكرها الإمام النووي، منها، عند الصلاة، وعند الوسوسة سواء في الصلاة أو في غيرها، والتعوذ بالله عند الغضب، وعند رؤية ما يكره في المنام، وعند دخول المسجد، ودخول الخلاء، وعند سماع نهيق الحمير، وعند الجماع، وقد كان النبي-ﷺ- يعوذ الحسن والحسين، وفي الصباح وفي المساء، وعند النوم، بل أمر النبي-ﷺ- بالاستعاذة الدائمة في كل وقت وحين من فتنة المحيى والممات^(٢)، وقد أشار الباحث إلى بعضها في أساليب الشيطان في الغواية.

ومن هنا فإن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في كل الأحوال والأوقات، تغلق باب إغواء الشيطان للمؤمن، وتجعل المؤمن في حصن يصعب على الشيطان اختراقه.

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالى.

إنَّ السجود سمة من سمات عباد الله الصالحين، الذين سموا بمقام العبودية لله-تعالى-، ولما كان السجود أبلغ صور العبودية لله -عزَّوجلَّ- التي يصل العبد من خلالها إلى مقامات القرب من الله-تعالى-، كان كثرة سجود العبد بالنسبة للشيطان مراغمةً ودحراً له؛ لأن الشيطان أمر بالسجود فأبى، كما قال-تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، وقوله-تعالى-: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠ - ٣١)، فإبليس رفض إطاعة أوامر الله-تعالى-؛ فاستحق اللعن والطرده من رحمة الله، كما قال-تعالى-: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الْبَرِّ الَّذِينَ... وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٤-٣٥-٤٣)؛ لذلك اشتد حنق الشيطان على عباد الله الذين أمروا بالسجود، فسجدوا لله طائعين، وقد امتدحهم الله-تعالى- وأثنى عليهم في كتابه الكريم، فقال-تعالى-

(١) انظر: (المصدر السابق) (٩٦/١).

(٢) انظر: (الأذكار): النووي (١٨/١).

: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩).

فقد مدح الله -تبارك وتعالى- في الآية الكريمة أصحاب النبي -ﷺ- ، فهم ليسوا بأشداء مطلقاً، ولا رحماء مطلقاً؛ وإنما شدتهم على أعدائهم ورحمتهم لإخوانهم، ولا تراهم إلا راكعين ساجدين، محافظين على صلاتهم، لا يبتغون ولا يرجون إلا القرب من الله -تعالى- ، والظفر برضاه، ووصفهم - سبحانه وتعالى- بكثرة السجود، فقال: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ أي علامتهم، وهي نور يرتسم على وجوههم يوم القيامة، وحسن سمت يعلوا وجوههم في الدنيا من كثرة سجودهم وطاعتهم - لله تعالى-، وقوله: ﴿ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ دليل على السجود أعلى درجات العبودية والإخلاص لله -تعالى-^(١)، فلا شك أن من اتصف بهذه الصفة؛ فإن الشيطان سيعجز عن إيقاعه في الغواية، وقد بين النبي -ﷺ- أن في السجود إرغاماً للشيطان، ومحاربة له، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَرَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي - أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ)^(٢)، بل إن سجدي السهو في الصلاة تذلان للشيطان إذلالاً وتجعله من الصاغرين، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشك، وبين على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم؛ فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماماً لأربع ترغيماً للشيطان^(٣) ، (وترغيماً للشيطان) أي: إغاطة له وإذلالاً. دلت أحاديث النبي -ﷺ- أن في كثرة السجود إذلالاً وإرغاماً للشيطان، ووقاية للعبد من الغواية، وقرباً من الله -تعالى-، بل سبباً رئيساً من أسباب دخول الجنة، وهذا ما بيته النبي -ﷺ- من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي -رضي الله عنه-، قال: كنت أبيت مع رسول الله -ﷺ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: (سَلْ)، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ (أَوْغَيْرَ ذَلِكَ)، قُلْتُ هُوَ ذَلِكَ، قَالَ: (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) ، وفي رواية أخرى (عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة)^(٤) .

(١) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٥٥/٥) و (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٨٧/١٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم الحديث (٨١)، ص (٥١) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث (٥٧١)، ص (٢٠٩) .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، رقم الحديث (٤٨٨-٤٨٩)، ص (١٨٤) .

ومن هنا فإن كثرة السجود تغيظ الشيطان، وتجعله يعيش في ذلٍ و صَغَارٍ كونه أَمِرٌ بالسجود فلم يسجد، فاستحق اللعن والطرده من رحمة الله-تعالى-، وكثرة السجود تقرب العبد من الله، وتجعله يسموا في أعلى مراتب العبودية، وعلى ذلك فإن كثرة السجود لله-تعالى- تمثل علاجاً ناجعاً للغواية، فالذي يديم السجود لله-تعالى- لن ينال الشيطان منه، ولن يقع في الغواية، نسأل الله أن يجعلنا من عباده الساجدين.

المطلب السادس: الحياء والحشمة.

إن من أعظم ما يكيد به الشيطان للإنسان، كشف العورات وذهاب الحياء والحشمة، الذي يجُرُّ إلى الوقوع في الفاحشة وفساد الأخلاق.

وقد عرّف المناوي الحياء بقوله: " الحياء انقباض النَّفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصاً، حيث يتعدّر عليها الفرار بالبدن، وقيل: هو الترقّي عن المساوىء خوف الدَمِّ، وقيل: هو انقباض النَّفس من شيء حذراً من الملام "(١) .

ولذلك فقد دأب الشيطان منذ اللحظة الأولى لطرده من الجنة، بالكيد لآدم-عليه السلام- وذريته بتزيين العُري، وخلع الستر، ولباس الحشمة، وهذا ما فعله الشيطان مع أهل الجاهلية، فقد كانت العرب في الجاهلية تطوف بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وما ذاك إلا بتزيين الشيطان لهم هذا الفعل، وإنكاره عليهم أن يطوفون محتشمين، بحجة كيف يطوفوا بالبيت بملابس عصوا الله فيها، وقد بيّن الباحث ذلك في أسباب الغواية(٢) .

لذلك فقد وجه الحق - سبحانه وتعالى- النداء لبني آدم محذراً لهم من كيد هذا العدو الذي فعل مع أبيهم ما فعل أن لا يفتنهم ويوقعهم في الغواية عن طريق التساهل في كشف العورات .

وامتن عليهم بلباسين يستتران عوراتهم كما قال-تعالى-: ﴿ يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِيْ سَوْءَ تِكْمِمْ وَرِشًا وَّلِبَاسَ النَّقْوَى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ اٰيَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَدْكَرُوْنَ ﴿٦١﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِكْمِمْ اِنَّهُ يَرِيَنَّكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاً لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٦٢﴾ (الأعراف: ٢٦ - ٢٧).

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (٣٠٢/١).

(٢) انظر: (خلال البحث، التبرج وكشف العورات): (٦١).

وقد بين سبحانه وتعالى - أن هناك تلازماً دائماً بين لباس العورات والزينة، وبين التقوى، فكلاهما لباس، فهذا يستر عورات القلب ويزينه، وذلك يستر عورات الجسم ويزينه، فهما متلازمان (١) .
ولذلك جاء التحذير الرباني للعباد من مكائد الشيطان وغوايته، لأن الشيطان سيعيد الكرة فيأمرهم بالعري وخلع الستر والحشمة، فهي سبب رئيس من أسباب الغواية التي تؤدي إلى فساد الدين والدنيا.
والله يُذكر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر، صيانة لإنسانيتهم من أن تتجرف إلى عرف البهائم! فالحياء والحشمة من سبل النجاة من الغواية التي أمرنا الله - عز وجل - بالأخذ بها في مواجهة كيد الشيطان وغوايته.

ومن هنا فقد كان النداء الإلهي، والتوجيهات النبوية للعباد بالستر، والحياء والحشمة، والحذر من كل مظاهر كشف العورات، لقطع الطريق على الشيطان؛ لأن التبرج وكشف العورات، ونزع الحياء، من أسلحة الشيطان التي تؤدي إلى الغواية والضلال المبين وهذا ما بيّنته الآية الكريمة: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾ (الأعراف: ٢٠) .

المطلب السابع: الزواج.

لقد سدّ الإسلام كل الأبواب التي تؤدي إلى الوقوع في الغواية، ويسرّ الأبواب والسبل التي تؤدي إلى العفة والطهارة ومنها الزواج الشرعي الذي شرعه الله - سبحانه وتعالى - للعباد حتى تستقرّ وتطمئن حياتهم، ولمّا كان كلّ من المرأة والرجل يميل ميلاً فطرياً للطرف الآخر، استغل الشيطان ما أودعه الله فيهما من الميل الفطري في سبيل إيقاعهما في الغواية.

والميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي؛ لأن الله - تعالى - جعل من خلاله امتداد الحياة على هذه الأرض، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان في الأرض، وقد جعل الله - تعالى - هذا الميل دائماً، يسكن ثم يعود، وإثارته في كل حين تؤدي به إلى الإفضاء المادي للحصول على الإشباع، فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة، وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة، فالنظرة تثير، والاختلاط بين الجنسين يثير، والمصافحة والملامسة بين الجنسين أيضاً تثير، والإخضاع بالقول يثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير (٢)؛ لذلك فقد سدّ الإسلام كل هذه الأبواب التي تؤدي إلى تلك الاستثارة، ولأن الشيطان لا يألوا جهداً وذريته في إغواء بني آدم بشتى الطرق، والوسائل وخاصةً في زماننا هذا الذي انتشرت فيه الرذيلة ومنافذاها من خلال

(١) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢١١/٣).

(٢) انظر: (في ظلال القرآن): (٢٧٦/٥).

المواقع الإباحية عبر الإنترنت، والقنوات المختلفة عبر التلفزيون وغيرها، ولما كانت النساء من أعظم الحوائل والوسائل التي يصل بها الشيطان إلى إفساد المجتمع وإيصاله إلى الرذيلة والانحراف، فقد سدَّ الله - عزَّ وجلَّ - تلك الطرق المؤدية إلى الغواية وأمر بالطريق الوحيد الذي يؤدي إلى الوقاية والنجاة منها، وهو الزواج الشرعي، فالإسلام لا يعتمد على العقوبات ابتداءً من أجل إنشاء مجتمع نظيف عفيف، بقدر ما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، فهو لا يحارب الدوافع الفطرية للإنسان، بل ينظمها، ويضمن لها الجو النظيف الطاهر .

فهو يقوم على تضيق فرص الغواية، وإبعاد كل عوامل الفتنة والرذيلة، وقطع الطريق على أسباب التهييج والإثارة، وإزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله المختلفة المشروعة والنظيفة^(١)؛ لذلك فقد شرع الإسلام الزواج، وحثَّ عليه، وجعله السبيل الشرعي الوحيد لإغلاق باب الغواية، قال -تعالى-: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢).

لقد بيَّن الإسلام أن الزواج هو الطريق الوحيد لمواجهة الميول الجنسية الفطرية، وهو الغاية النظيفة لتحقيق تلك الميول، وأمر بإزالة كل العقبات من طريق الزواج لتجرى الحياة على طبيعتها. ولا شك أن المال يعتبر عقبة كبيرة في طريق تحقيق العفاف، والإسلام نظام متكامل؛ لذلك يأمر الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى العفاف وتحصين النفوس^(٢).

قال -تعالى-: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾

لقد أمر الله -تعالى- في الآية الكريمة أولياء الأمور ومن يملكون المال، أن يساهموا في تزويج الشباب من كلا الجنسين، والأيامى: هم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، وقد خصَّ -سبحانه وتعالى- الصالحين في الآية بالذكر ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: لا تمتنعوا من تزويجهم بسبب فقرهم؛ لأن الفقر والغنى بيد الله -تعالى-، وقد وعدهم الله بالغنى؛ لأنهم طلبوا رضا الله -تعالى- والاعتصام من معاصيه^(٣).

ولذلك نجد في واقعنا كثيراً من الشباب يحجمون عن الزواج خوفاً من تكاليفه المرهقة، ولكن الله -تعالى- يلفت

انتباههم في الآية الكريمة ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(١) انظر: (في ظلال القرآن الكريم): سيد قطب (٢٧٩/٥).

(٢) انظر: (المرجع السابق): سيد قطب (٢٧٩/٥).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٤٢/١٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال -ﷺ-: (ثلاثة كلهم حق على الله عونه الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد التعفف)^(١).

وقد بين الله -تعالى- أن الزواج آية من آيات الله، قال -تعالى-: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

أي: ومن آياته الدالة على قدرته ورحمته بكم، أنه - سبحانه وتعالى- خلق لكم ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي من جنسكم في البشرية الإنسانية.

قوله -تعالى-: ﴿ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ بيان العلة التي خلقكم فيه على هذه الطريقة، أي: خلق لكم من نفس جنسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ويميل بعضكم إلى بعض؛ لأن الجنس يميل إلى جنسه، وكل نوع ينسجم ويألف مع نوعه، وجعل بينكم يا معشر الأزواج ﴿ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ أي محبة ورأفة، لم تكن بينكم قبل ذلك؛ وإنما حدثت لكم عن طريق الزواج الذي شرعه لكم، وقد وصفه الله -تبارك وتعالى- في قوله: ﴿ ...مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُمْ... ﴾ (البقرة: ١٨٧)^(٢).

قال ابن عباس في معنى قوله تعالى: ﴿ ...مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُمْ... ﴾ قال: "هن سكن لكم وأنتم سكن لهن"، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي^(٣).

وهذا السكن والمحبة والمودة التي بينها الله -تعالى- نتيجة الزواج، تمثل السور الواقية لكل الشباب والأزواج في مواجهة الفتن والمغريات والشهوات التي يعجُّ بها عالمنا، ولذلك كان التوجيه النبوي للشباب بالزواج؛ لأنه عنوان العفة والطهارة والوقاية من الفتن والشهوات، قال -ﷺ-: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)^(٤).

فالزواج يحفظ الشباب من الوقوع في الغواية، فيحفظ عليهم دينهم وصلاتهم، ويجعلهم عنواناً للعفة والطهارة، وقد وجه - سبحانه وتعالى- من لا يقدر على الزواج بالصبر والعفة، كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَلِاسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النور: ٣٣)، أي: ليسلك سبيل العفاف لنفسه، وليسع إليه؛ بأن يمنع المهيج سواءً بالنظر أو بغيره، ويسكن الغريزة بالصوم، أو يشغل نفسه بالعمل أو بما يفيد، وهذا ما

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: العتق، باب: المكاتب، رقم الحديث (٢٥١٨)، ص (٨٤١/٢)، حسنه الألباني.

(٢) روح المعاني: الألويسي (٣٠/٢١).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٩٢/٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيُصُمْ، رقم الحديث (٥٠٦٥)، ص (٩٥٥).

أشار إليه - ﷺ - في قوله: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ). وقوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، أي: بقدرتهم على النكاح، أو بإعانة مجتمعهم لهم، وقوله: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فدللت الآية على الاستعفاف وسيلة من وسائل الغنى؛ لأنه نشأ من إرادة التقوى والطهر، وهذا ما بيّنته الآية الكريمة في قوله - تعالى -: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢ - ٣) (١).

وأخيرا فإن الزواج ضرورة حتمية للإنسان، فهو خير واق من الوقوع في الغواية، لذلك رغب الإسلام وحثّ عليه؛ بحيث يجد كل من المرأة والرجل الراحة والطمأنينة والاستقرار عند الآخر، وفي اجتماعهما يجد كل منهما السكن القلبي والرحمة والمودة التي بيّنها الله - تعالى - في الآيات الكريمة، وقد ذكر العلماء مقاصد وأهداف الإسلام من الزواج:

- ١- "الولد، وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود به إبقاء النسل.
- ٢- كسر الشهوة، والمراد التّحصن من الشيطان، وكسر التّوقان ودفع غوائل الشهوة، والاستجابة لنداء الفطرة وتلبية الحاجة الغريزية على أسس مشروعة، بالإضافة إلى غضّ البصر وحفظ الفرج.
- ٣- إيجاد السكن النفسي، والمودة والرحمة، وترويح للنفس وإيناسها بالمجالسة والنظر ونحوهما إراحة وتقوية لها على العبادة.
- ٤- في الزواج تفرغ القلب عن تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة ولو تكفل المرء بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته، ولم يتفرغ للعلم والعمل، والمرأة الصالحة عون على الدين بهذه الطّريق.
- ٥- مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل، والصبر على أخلاقهنّ والسعي في إصلاحهنّ وإرشادهنّ إلى طريق الدين، ورعايتهنّ، وهذه كلّها أعمال عظيمة الفضل لما فيها من الرعاية والولاية، والأهل والولد رعيّة، وفضل الرّعاية عظيم، ولا يحترز منها إلا من خاف القصور عن القيام بحقّها.
- ٦- اعتبار كل من الزوجين لباساً وستراً للآخر، قال - تعالى -: ﴿... مَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ...﴾ (البقرة: ١٨٧) (٢).

نسأل الله - تعالى - أن يبسر لشبابنا سبيل العفة والزواج وأن يحفظهم من الفتن والشهوات.

(١) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٣٢٦).
 (٢) إحياء علوم الدين: الغزالي (٢٧/٢)، و الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية: صالح آل منصور (٧٣/١).

المطلب الثامن: التوكل على الله.

إنَّ التوكل على الله-تعالى- عبادة الصادقين وسبيل المخلصين، وقد أمر الله به نبيه-ﷺ- وأنبياءه من قبله، فقال-تعالى-: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٣)، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ ﴾ (الشعراء: ٢١٧)، وأمر به المؤمنين، فقال-تعالى-: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم: ١١)، وقوله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التغابن: ١٣).

قال ابن القيم: " التوكل هو الاعتماد على الله في جميع الأمور مع الأخذ بالأسباب المشروعة"^(١). وقال ابن رجب: " صدق اعتماد القلب على الله- عزَّ وجلَّ- في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، ووكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرب ولا ينفع سواه"^(٢) ولذلك قال ابن كثير في تفسيره لقوله-تعالى-: ﴿... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢). أي: " لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان"^(٣).

فالمؤمنون المتوكلون على ربهم ليس للشيطان سلطان عليهم، وهذا ما بيَّنه الله-تعالى- في قوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٩ - ١٠٠).

ففي هذه الآية الكريمة نفى الله-تعالى- سلطان الشيطان على أهل الإيمان والتوكل، وأثبتته لمن تولى الشيطان والمشركين، فليس للشيطان طريق يتسلط به على المؤمنين المتوكلين، فقوله-تعالى-: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر مثل الشرك، بل إنما سلطانه على الذين يتولونه ويطيعونه فيما يدعوهم إليه، فهؤلاء يدخلون تحت ولايته، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: بالله مشركون^(٤).

(١) مدارج السالكين (١٣٦/٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٤٣٦/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٢/٤).

(٤) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٩٦/٣).

وهذا ما بيّنه -ﷺ- في قوله: (من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال: كُفيت ووفيت وتتحى عنه الشيطان)^(١).
ولذلك فإن التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مكائد الشيطان وغوايته.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

والمقصود بالتربية الإيمانية: " ربط الولد منذ تعقله بأصول الدين، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء، ومبادئ الشريعة هي: كل ما يتصل بالمنهج الرباني، وتعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وتشريع، وأنظمة، وأحكام"^(٢).

وقد خلق الله -عز وجل- الإنسان بتكوين يشمل أربعة جوانب رئيسة وهي: العقل والقلب والنفس والجسد، وقد خلقها الله -تعالى- في الإنسان منذ نزوله من بطن أمه غير مكتملة، ومحدودة الإمكانيات، وأودع الله فيها خاصية النماء والتأثر بالمحيط الخارجي، كما قال -تعالى-: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

وهذه الجوانب الأربعة تحتاج إلى تعهد دائم وإمداد يترك فيها الأثر الدائم في اتجاه تحقيق الهدف من وجود الإنسان على الأرض وهو تحقيق العبودية الصحيحة لله -تعالى-، ولكي يظهر الأثر الإيجابي لكل هذه الجوانب كان من الضروري سلوك طريق التربية الإيمانية المتكاملة^(٣).

والتربية الإيمانية المتكاملة التي تقوم على منهج الله -تعالى- وهو القرآن والسنة منذ بداية التنشئة، لها الدور الكبير في تحصين العبد من الغواية؛ لأن الاهتمام بتنمية البذور الإيمانية في الإنسان منذ طفولته لها الدور الأكبر في التأثير على حياته مستقبلاً، ولا شك أن هذا الدور مناط بالوالدين بالدرجة الأولى، وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تركز على التربية الإيمانية ومسؤولية المربين تجاه أولادهم، وبخاصة الآباء والأمهات؛ لأن هذه المسؤوليات ليس يوماً أو شهراً أو سنة؛ وإنما تشمل فترة زمنية طويلة، تبدأ من عند الولادة إلى أن يصبح الإنسان مكلفاً.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته، رقم الحديث

(٣٤٢٦)، ص (٧٧٩) قال الألباني حديث حسن.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله علوان (١/١١٧).

(٣) انظر: (نظرات في التربية الإيمانية): مجدي الهلالي (٤/١).

فمن ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦)، وقوله -تعالى-: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا مِّنْ نَّرْزُقِكَ وَالْعَقِيبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢).

وقد قال -ﷺ-: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةَ جَمْعًا، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً) (١).

يقول الغزالي: "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له... وصيانتها بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق" (٢).

ولذلك فإن الصبي إذا أهمل في تربيته الإيمانية المستمدة من الكتاب والسنة منذ نعومة أظفاره؛ فإنها ستعكس على سلوكه مستقبلاً، فالصبي الذي لم يتلق تربية صالحة منذ الأساس؛ فإنه في الغالب عندما يكبر ويشب يقع في المحرمات والموبقات غالباً.

ولذلك كان التوجيه النبوي لأولياء الأمور أن يكونوا عند مسؤولياتهم في متابعة نشئهم؛ لأنهم تحت رعايتهم، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ رَوْحِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (٣).

والتربية الإيمانية المتكاملة تقوم على مجموعة من الأسس والأصول التي يجب أن تزرع في العبد منذ نعومة أظفاره:

أولاً: زرع التوحيد الخالص والطاعة المطلقة لله -عز وجل-.

لقد اعتنى الإسلام بتربية النشء على التوحيد الخالص منذ الصغر، وهذا ما بيّنه نبيُّ الله إبراهيم -عليه السلام- في وصيته لابنيه قبيل وفاته، حيث قال الله -تعالى-: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢)، وما بيّنه النبي -ﷺ- للأمة في تعليم ابن عباس في صغره وزرع

(١) تم تخريجه، انظر: ص (٧٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٧٣/٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث (٨٩٣)، ص (١٦٨).

التوحيد الخالص في قلبه، وقد كان يومها صغيراً، فعن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: كنت خلف رسول الله-ﷺ- يوماً، فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) (١).

ثانياً: تربية النفس على العفاف والخشية والصدق.

إنَّ تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على العفاف والخشية والصدق والخصال الطيبة العظيمة للإسلام، تورثهم حسن الخلق، وتعودهم على إلف الطاعات، وكراهية المعاصي والسيئات، لذلك يقول -تعالى-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠ - ٤١).

ثالثاً: حسن المعاملة وحسن الخلق مع جميع الخلق.

لقد حث الإسلام على حسن تأديب الأبناء منذ صغرهم بآداب الإسلام وتعودهم على حسن المعاملة وحسن الخلق؛ لأنه الهدف الأول لدعوة النبي-ﷺ- وهو إتمام البنیان. .

رابعاً: زرع روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم وأحوالهم.

وهذا لا يكون إلا بتعود الولد على أن الله-تعالى- يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعينه في ذلك تعلم الإخلاص لله رب العالمين في كل عمل يسبقه نية؛ لأنه بذلك يحقق العبودية الخالصة لله-تعالى-، ويكون ممن شملهم قوله-تعالى-: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة: ٥) (٢).

لذلك فإن المسلم إذا تهيأت له التربية الإيمانية المتكاملة التي تضمن معاني التقوى والمراقبة والخوف والرجاء؛ فإنه ينشأ بلا شك على الإيمان الراسخ، والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة التي تجعله نقياً لا تستهويه الماديات ولا الشهوات، مثل سيدنا يوسف -عليه السلام- فتجعله مُحَصَّنًا من الغواية، وهذه الطريقة من أنجع الطرق لتحصين أبنائنا من الانحراف والغواية.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: القيامة والرقائق...، باب: باب، رقم الحديث (٢٤٩٨)، ص (٥٦٣).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله علوان (١١٧/١) بتصرف.

المطلب العاشر: الدعاء.

لا شك أن الدعاء والتضرع إلى الله-تعالى- من العبد؛ بأن يقيه من كيد الشيطان وغوايته، وأن يعينه على الطاعة والعبادة، من أنجع الأساليب التي تقي العبد من تلك الغواية، فالذي خلق الشيطان هو الله-تعالى-، فعندما يستجد العبد ويلجأ إلى الله بالتضرع والدعاء ليصرف مخلوقه عنه؛ فإن الله-تعالى- قريب مجيب الدعاء.

وقد عرّف المناوي الدعاء بقوله: " هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار "(١).

لذلك فقد أمر الله-عزّوجلّ- عباده أن يدعوه، قال-تعالى-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقوله-تعالى-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)، فالله-سبحانه وتعالى- يأمر عباده المؤمنين أن يكثرُوا من التضرع إليه بالدعاء، فقوله-تعالى-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أمرٌ من الله لعباده المؤمنين أن يكثرُوا من التضرع والدعاء، والتقرب إليه-سبحانه وتعالى- بالطاعات؛ فإنه يستجيب دعائهم ولا يخيب رجاءهم(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (يَنْزِلُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ مِنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ)(٣).

ولكن استجابة الدعاء من الله-تعالى- لا تتم إلا بشروط بينها العلماء:

أولها: "الإخلاص لقوله-تعالى-: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (غافر: ١٤).

الثاني: المتابعة لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال-تعالى-: ﴿ وَأَتَّبِعُوا لِمَا كَفَرْتُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

الثالث: الثقة بالله واليقين بالإجابة، ومما يزيد ثقة المسلم بربه - تعالى - أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات، والبركات عند الله - تعالى -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)(٤).

(١) التوقيف على مهمات التعريف (١٦٦).

(٢) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣٠٤/١٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم الحديث (١١٤٥)، ص (٢١٣).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات باب: ما جاء في فضل الدعاء، رقم الحديث (٣٤٧٩)، ص (٧٩٠).

الرابع: حضور القلب، والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، قال - تعالى -:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ، فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعَةً ﴾ (الأنبياء: ٩٠) .

الخامس: العزم والجزم، والجد في الدعاء، عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني؛ فإن الله لا مستكره له) (١) (٢) ومن هنا ينبغي الفطنة إلى أهمية الدعاء للمسلم، إذ به يكشف الله الغمة، ويزيل النقمة، وبقي العبد من غواية الشيطان وكيده، وينجيه من الكربات والمحن.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إليه وإلى داره، دار السلام والنعيم المقيم، وأن ينفعنا به وعبادته المؤمنين، وأن يوفقنا لما يحبُّ ويرضى، ويختم لنا بخيرٍ في عافية، فإنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

الخلاصة:

إن من يعرف سبل النجاة والوقاية من الغواية، لا يمكن إلا أن يكون مؤمناً حقاً، يتجنب كل ما يؤدي إلى السقوط في الغواية، فالمسلم الحق لا يمكن أن يغفل عن هذه السبل، ولا يعتبرها أمراً هامشياً في حياته الدنيوية؛ وإنما يحفظ نفسه ودينه بها مما يخدشه أو يضر به، فالأخذ بتلك السبل يترتب عليها فوز العبد في الدار الآخرة أو هلاكه.

لذلك يقول ابن القيم: " المرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان، وكلاهما مذكور في القرآن، ومرض القلوب ينقسم إلى قسمين، مرض شبهه وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما مذكور في القرآن، وهذا الذي يجب أن ننتبه إليه....." (٣)

ومن هنا فإن منهج الإسلام يقوم على تقوية الإنسان بإيمانه وإسلامه ويقينه بالله - تعالى - وهذه السبل تمثل السياج الآمن الذي يُبقي المسلم في حصن حصين ووقاية من الشيطان وغوايته.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم في الدعاء ولا يقل إن شئت، رقم الحديث (٢٦٧٨)، ص (١٠٣٤)، صححه الألباني.

(٢) مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ: خالد الربيعي (٩).

(٣) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١٨/١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الكريم المَنَّان المتفضّل، الذي بفضلِهِ وتوفيقِهِ أتممتُ هذا البحث المتواضع، والذي أتمنّى أن يتقبّله منّي، وأن يجعل فيه خيراً عميماً لكل من يقرؤه، ويجعله ذخراً لي في آخرتي، وعلماً يُنتفع به بعد مماتي، فأنتفع به إذا ما انقطعت عني سُبُل العمل والعبادة والاستغفار، وأصلي وأسلم على رسول الله وصحبه ومن والاه ومن اتبَع سنّته واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو التالي:

١- وردت الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم في واحدٍ وعشرين موضعاً في السور المكية، وجاءت في باب التحذير من اتباع إغواء الشيطان بعد أن عزم على إغواء بني آدم بكل الطرق والوسائل، وموضعاً واحداً في السور المدنية ليتناغم مع الأجواء الإيمانية السائدة.

٢- إنّ الغواية لها ميادينها المختلفة وصورها المتنوعة، سواء في أصول الدين أو فروعِهِ، وأن الشيطان هو المحرك الرئيس لها.

٣- إنّ الشيطان ترصدَ لبني آدم منذ مبدأ خلقهم، فهو يسعى إلى إغوائهم بشتى الطرق والأساليب، بهدف إضلالهم، من خلال إفساده لعبادتهم، فينبغي على المسلم أن يحذر من تلك الغواية وصورها المتعددة، وأن يلتزم بالكتاب والسنة فهما المصدر الوحيد للنجاة من تلك الغواية.

٤- إنّ للغواية أسباباً كثيرة متعددة ومتنوعة، ففوق الإنسان بإحدى تلك الأسباب تسهل على الشيطان مهمته.

٥- يستخدم الشيطان في إغوائه لبني آدم مجموعته أساليب مع الكافرين، فهو يغويهم، ويضلهم ضلالاً مبيهاً؛ لأن هؤلاء الكافرين رضوا بأن يكونوا أتباعاً للشيطان، فهو يوجههم حيث شاء، وقد جعل الله له سلطاناً عليهم.

٦- يستخدم الشيطان أساليب أخرى مع المؤمنين، لكن كل حسب إيمانه وحسب نوعية من يواجهونه، ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن فضح لهم أساليبه المختلفة، وكيف يغوي الإنسان من خلالها.

٧- اعتراف الشيطان بضعفه وقلة حيلته أمام المخلصين المتوكلين الملتجئين إلى الله-تعالى- من العباد .

٨- هذه الدنيا دار اختبار وابتلاء، يمتحن الله فيها خلقه، ووجود الشيطان فيها فتنة لهم واختبار، ليتبين خبيثهم من طيبهم.

٩- البشر قسماً، منهم الذين استجابوا لله-تعالى-، وهؤلاء هم الذين نجوا من الغواية ومن الوقوع فيها، ومنهم الذين استجابوا للشيطان، وهؤلاء هم الذين سقطوا في الغواية.

١٠- إن القرآن الكريم ساق لنا نماذج للمُهَلَكِينَ الذين سقطوا في الغواية نتيجة كفرهم وطغيانهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق، وقد ضربها الله-تعالى- لنا، لتكون علامات على طريق المؤمن ليكون يقظاً فطناً، فلا تخدعه الدنيا ببريقها وزينتها، وليعلم الهدف الذي من أجله وجد في هذه الدنيا.

١١- ذكر القرآن الكريم نماذج لمن استعلى الإيمان في قلوبهم، فلم يهزمهم الشيطان، ولم تغريهم الدنيا، ولم تسحرهم قوة الباطل، لتكون هذه النماذج نبراساً لكل السالكين على درب الإيمان، ليتمرسوا خلف إيمانهم وليفوزوا بسعادة الدارين.

١٢- استمرار عداوة الشيطان للإنسان ما دامت روحه في جسده، فيجب الحذر منه ومن غوايته، وذلك بالتسلح الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة.

١٣- يهدف الشيطان من غوايته للعباد إضلالهم وكفرهم، ليستحقوا اللعن والطرده من رحمة الله، كما حدث معه، فحينها يخسرون الدنيا والآخرة، ويكونوا بجواره في جهنم والعياذ بالله.

١٤- إنَّ إخلاص العبادة لله-تعالى- والتقرب إليه بأنواع العبادات المختلفة، يكون حاجزاً متيناً يمنع اقتراب الشيطان ويحصن النفس من تسلل الغواية إليها.

١٥- إنَّ البعد عن الله-تعالى- بعدد عن الحماية والتحصين من الشيطان.

أما عن التوصيات:

والباحث يوصي بما يلي:

- ١- الحرص على تحصين النفس من الوقوع في الغواية وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة.
- ٢- عدم الاستهانة بالمعاصي والذنوب؛ لأنها السبيل الذي يُستدرج العبد من خلاله إلى الغواية.
- ٣- أوصي الدعاة والمربين أن يجتهدوا فيكشفوا للمسلمين أساليب الشيطان التي يسعى من خلالها إلى إغواء الناس، وإيقاعهم في الباطل.
- ٤- أوصي المربين بنشر وشرح نماذج الذين سقطوا في الغواية والذين نجوا منها لتكون إشارات على الطريق حتى لا يقع الناس في الغواية.
- ٥- الحرص على تربية الأبناء منذ نعومه أظفارهم على تعاليم الإسلام من خلال تربية إيمانية متكاملة؛ لأن هذه التربية تحصنهم من الغواية ومن تسلط الشيطان عليهم.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

هذا وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتقبل مِنِّي هذا العمل، فما كان صواباً فهو من الله، وما كان من خطأ فهو مِنِّي ومن الشيطان والله منه براء، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا .. ﴾	البقرة	٣٤	٢٢٦
٢.	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا ... ﴾		٣٦	١٠٣
٣.	﴿ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ .. ﴾		٥٤	١٥٦
٤.	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا .. ﴾		٦١	١٩٩
٥.	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ .. ﴾		٦٥-٦٦	١٥٣
٦.	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ .. ﴾		٧٩	١٠٧-٢٠
٧.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .. ﴾		٨٩	١٠٧
٨.	﴿ فَبَاءُوا بَعْضٌ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْكَافِرِينَ .. ﴾		٩٠	٢٠٩
٩.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .. ﴾		١٠١	٢٠
١٠.	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ .. ﴾		١٣٢	٢٢٦
١١.	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾		١٦٥	٦٢
١٢.	﴿ يَتَّيِّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾		١٦٨	٥٠
١٣.	﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ .. ﴾		١٦٩	٥٠
١٤.	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يٰأُولِيَ الْأَلْبَابِ ... ﴾		١٧٩	٤٤
١٥.	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾		١٨٦	٢٢٧
١٦.	﴿ فَأَلْتَنَ بَشِيرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ .. ﴾		١٨٧	٢٦
١٧.	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ .. ﴾		١٩٥	٢٦
١٨.	﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رَضَ فِيهِنَّ ... ﴾		١٩٧	٢٦
١٩.	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ .. ﴾		٢٥٦	١٢-١١
٢٠.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ .. ﴾		٢٥٨	١٣٦
٢١.	﴿ الشَّيْطَانُ يَمْدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ .. ﴾		٢٦٨	٢٥

الفهارس العامة

٤٢	٢٧٥	البقرة	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾	.٢٢
٤٣	٢٧٥		﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾	.٢٣
٤٢	٢٧٩-٢٧٨		﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	.٢٤
١٤٨	٢٨٣		﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	.٢٥
١١٧-٦١	١٤	آل عمران	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾	.٢٦
٥٣	٢٨		﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾	.٢٧
٢٢	٣١		﴿ قُلْ لِنُكُنْتُمْ فُجُورًا اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ﴾	.٢٨
١٠٠	٣٦		﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَدُرَيْتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾	.٢٩
١٠١	٣٦		﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا ﴾	.٣٠
٧١	١٠٤		﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ ﴾	.٣١
٧٢-٦٩	١١٠		﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ﴾	.٣٢
١٩٩	١١٢		﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَحْبِلُ ﴾	.٣٣
١٠٤	١٥٥		﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾	.٣٤
١٨٤	١٦٩		﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	.٣٥
١٧٢-١١٤	١٧٣		﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا ﴾	.٣٦
١٠٧	١٧٥		﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾	.٣٧
١١٤-١١٣	١٧٥		﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	.٣٨
١٠٩	١٧٨		﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾	.٣٩
١٢٦	١٧٩		﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْرِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾	.٤٠
١٥٨-٢٦	١٨٠		﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ ﴾	.٤١
٢١٧	١٨١		﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﴾	.٤٢

الفهارس العامة

١١٠	١٨٧		﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾	.٤٣
٤٥-٤٠	٢	النساء	﴿ وَأَنفُوا أَلْبَنَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيٰثَ ﴾	.٤٤
٣٩	٣		﴿ وَإِن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبِنَىٰ فَانكِحُوا ﴾	.٤٥
٥٩	٥		﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ ﴾	.٤٦
٤٣	٧		﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ... ﴾	.٤٧
٤٥	٩		﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ... ﴾	.٤٨
٤٥	١٠		﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ﴾	.٤٩
٤٣	١١		﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ ﴾	.٥٠
٢٠١	٣٨		﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطٰنُ لَهُ قَرِيْبًا فَسَاءَ قَرِيْبًا ﴾	.٥١
١٥٠	٤٧		﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ... ﴾	.٥٢
١٠٥	٦٠		﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامِنُوا ﴾	.٥٣
١٦٣	٧٦		﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾	.٥٤
١٤٦	٧٧		﴿ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾	.٥٥
١١١	١١٠		﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ﴾	.٥٦
٢٤	١١٦		﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيدًا ﴾	.٥٧
٤٦	١٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوٰمِينَ بِالْقِسْطِ ... ﴾	.٥٨	
٢١٨	١٥٥	﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيٰتِ ﴾	.٥٩	
٤٤	٨	المائدة	﴿ أَعِدُّوا لَهُ أَوْ قَرَبٌ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	.٦٠
١١٨	١٣		﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا ﴾	.٦١
٢١٧	١٧		﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ ﴾	.٦٢
٢١٨	١٨		﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرٰتُ نَحْنُ أَبْنَاؤُا ﴾	.٦٣

الفهارس العامة

٥٩	٤٨	المائدة	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾	.٦٤
٥٢	٥١		﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ ... ﴾	.٦٥
١٥٢	٦٠		﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾	.٦٦
-٧٢-٧٠	٧٩-٧٨		﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ﴾	.٦٧
١٩٩	٩١		﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ ... ﴾	.٦٨
١١٢-١١١	٩١		﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ وَالطَّيْبُ ﴾	.٦٩
٣١	٢١	الأنعام	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ ﴾	.٧٠
١١٩-١١٨	٤٣		﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	.٧١
٨٦	٧١		﴿ كَأَنزِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ ﴾	.٧٢
٢٤	٨٨		﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	.٧٣
١١٩-٤٩	١١٢-١١١		﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِينَ ﴾	.٧٤
١٤	١٢٥		﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ﴾	.٧٥
١١٩	١٣٧		﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِمَّنْ ﴾	.٧٦
٥١	١٤٢		﴿ وَمِمَّنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كَلُوا .. ﴾	.٧٧
٢٠٦-٤٥	١٥٣-١٥٢		﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	.٧٨
١٣٧-١١٣	١٥٨		﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَانَهَا ... ﴾	.٧٩
١٣٩	١٥٩		﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴾	.٨٠
٣٥	١٣	الأعراف	﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ ﴾	.٨١
-١٣-٧	١٧-١٦		﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾	.٨٢
٢٠٨-٨٦			﴿ ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾	

١١٦-٦٧	٢٠	الأعراف	﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ ... ﴾	٨٣.
٦٧	٢٢		﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا مِنْ ... ﴾	٨٤.
-٨٣-٦٩	٢٧-٢٦		﴿ يَبْقَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ ... ﴾	٨٥.
٢٠٥-٨٧	٣٠		﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ... ﴾	٨٦.
٦٨	٣١		﴿ يَبْقَىٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾	٨٧.
٨٨	٣١		﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ... ﴾	٨٨.
٥٧	٥١		﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ... ﴾	٨٩.
٥٨	٦٤-٦٣		﴿ أَوْعَيْبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ... ﴾	٩٠.
١٢٩	٨٣		﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ... ﴾	٩١.
٧٨	٩٧		﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ... ﴾	٩٢.
١٥٢	٩٩		﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ ... ﴾	٩٣.
١٤١	١٠٢		﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا ... ﴾	٩٤.
١٨١	١٠٨-١٠٧		﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ... ﴾	٩٥.
١٧١	١١٢-١١١		﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ... ﴾	٩٦.
١٧٢-١٧٤	١١٦-١١٥	﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ ... ﴾	٩٧.	
١٧٥	١١٩-١١٧	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا ... ﴾	٩٨.	
١٧٥	١٢٢-١١٩	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ... ﴾	٩٩.	
١٧٧	١٢٧	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ... ﴾	١٠٠.	
١٧٧	١٢٩	﴿ قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ ... ﴾	١٠١.	
١٨١	١٣٠	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصٍ ... ﴾	١٠٢.	
١٨٢	١٣٢	﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا ... ﴾	١٠٣.	
١٨١	١٣٣	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ... ﴾	١٠٤.	
		الأعراف		

١٨٢	١٣٥-١٣٤	الأعراف	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى آدَعْ .. ﴾	.١٠٥	
١٧١	١٤٣		﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ... ﴾	.١٠٦	
٧	١٤٦		﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .. ﴾	.١٠٧	
١٩٩	١٥٢		﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَهْلَ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ ... ﴾	.١٠٨	
١١٢	١٥٣		﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ... ﴾	.١٠٩	
٦٩	١٥٧		﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... ﴾	.١١٠	
٢٢٨	١٥٨		﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .. ﴾	.١١١	
١٤٨	١٦٣		﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ... ﴾	.١١٢	
١٤٨	١٦٤		﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ ... ﴾	.١١٣	
١٤٩	١٦٥		﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَلْنَا الَّذِينَ ... ﴾	.١١٤	
١٥٧	١٦٨		﴿ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ ... ﴾	.١١٥	
-٦١-٧ ١٥١	١٧٦-١٧٥		الأعراف	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ .. ﴾	.١١٦
١٢٢	١٧٩		﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ ... ﴾	.١١٧	
١٩	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُّوهُ ... ﴾	.١١٨		
١٠٩	١٨٢	﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ ... ﴾	.١١٩		
١١٠-١٠٩	١٨٣	﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِيَّائِي كَيْدِي مَتِينٌ .. ﴾	.١٢٠		
-١٠٠ ٢٢٨-٢٢٥	٢٠٠	﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ... ﴾	.١٢١		
٢٣٣-١٦٤	٢٠١	﴿ إِنَّكَ الْذَّيْبُ أَنْتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ ... ﴾	.١٢٢		
١٣-٧	٢٠٢	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّفْيِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾	.١٢٣		
٢٢٤	٢		﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .. ﴾	.١٢٤	

الفهارس العامة

٣٣-٣٢	٢٧	الأنفال	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴾	.١٢٥
١٥٥	٣٠		﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ... ﴾	.١٢٦
١١٩	٤٨		﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا ... ﴾	.١٢٧
٨٥	٥٥		﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	.١٢٨
٦٢	٢٤	التوبة	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَءَبْنَاؤُكُمْ ... ﴾	.١٢٩
٢١٧	٣٠		﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾	.١٣٠
١٩	٣١		﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ... ﴾	.١٣١
١٥٨-٢٦	٣٤	التوبة	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ كَثِيرًا مِنْ ... ﴾	.١٣٢
٧٠-٥٢	٦٧		﴿ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ... ﴾	.١٣٣
٧١	٧١		﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ... ﴾	.١٣٤
٧١	١١٢		﴿ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ ... ﴾	.١٣٥
١٥٨	٢٢	يونس	﴿ وَظَلَمْنَا لَهُمْ أَجِيظٌ بِهِمْ ... ﴾	.١٣٦
١٦٠	٢٣		﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾	.١٣٧
١١٧	٢٤		﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	.١٣٨
١٣٩	٧٥		﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾	.١٣٩
١٨١	٧٩		﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوِينِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ... ﴾	.١٤٠
١٣٩	٨٣		﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ ... ﴾	.١٤١
١٤١	٨٨		﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ... ﴾	.١٤٢
٥٧	١٧		﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ... ﴾	.١٤٣
٩	٣٤		﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ... ﴾	.١٤٤

الفهارس العامة

١٢٧	٣٧	هود	﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي ... ﴾	.١٤٥
١٣٠-١٢٨	٤٠		﴿ حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَذَلَّلْنَا بِمَرَاتِنَا ... ﴾	.١٤٦
١٢٨	٤١		﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّدَتُمَا عَنْهَا وَمُرْسِيَّتَا ... ﴾	.١٤٧
١٢٨	٤٣-٤٢		﴿ وَيَمْحِجْ يَمْحِرِي بِهِمْ فِي مَوَاجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى ... ﴾	.١٤٨
١٣٢	٦٩		﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا ... ﴾	.١٤٩
١٣٢-١٣١	٧٦-٧٤		﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ... ﴾	.١٥٠
١٣٣	٧٧		﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ ... ﴾	.١٥١
١٣٤	٧٨		﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا ... ﴾	.١٥٢
١٣٤	٨١		﴿ يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ ... ﴾	.١٥٣
١٣٥-١٣٢	٨٣-٨٢		﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ... ﴾	.١٥٤
٤١	٨٥		﴿ وَيَتَقَرَّبُ أُولُوا الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ... ﴾	.١٥٥
١٨٠	٩١		﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ... ﴾	.١٥٦
١٥٠	١١٦		﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ... ﴾	.١٥٧
١٠٨	١٨	يوسف	﴿ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ... ﴾	.١٥٨
١٦١	٢١		﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ بِهِ ... ﴾	.١٥٩
١٦٠	٢٤-٢٢		﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ ... ﴾	.١٦٠
١٦٣-١٠٨	٥٣		﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ... ﴾	.١٦١
١٠٩-١٠٦	٨٣		﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ... ﴾	.١٦٢
١٠١	١٠٠		﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَانِ لَوِيلُ رُءُوبِي مِنْ قَبْلُ قَدْ ... ﴾	.١٦٣
١٦٠	١١١		﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ... ﴾	.١٦٤
٧٧	١١		﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ... ﴾	.١٦٥

٩٧	٢٨	الرعد	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾	.١٦٦
١٥٥-١٤٣	٧	إبراهيم	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾	.١٦٧
٢٢٣	١١		﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	.١٦٨
٢٠٤	١٣		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ ﴾	.١٦٩
-١٠٩	٢٢		﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾	.١٧٠
-١٢١				
-١٩٩				
٢٠٦-٢٠٢				
٢٢٩	٣١-٣٠	الحجر	﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	.١٧١
٢٢٩-١١٨	٣٥-٣٤		﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَأْتَاكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ	.١٧٢
-١٣-٥	٣٩		﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ	.١٧٣
-٣١-١٢				
-١٢٢				
٢٢٠-١١٩				
-٩-٦-٣	٤٢-٣٩		﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ	.١٧٤
-١٢-١١				
-١١٧-٣٠				
-٢٠٨-				
-٢١٠				
٢٣٠-٢١٧				
١٣٤	٦٦	الحجر	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ	.١٧٥
١٣٣	٧٢-٦٧		﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّ	.١٧٦
١٣٢	٧٥-٧٤		﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا	.١٧٧

الفهارس العامة

٥	٨٢		﴿ قَالَ فِعْرَ رَبِّكَ لَا غَوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	.١٧٨
٢٠	٩٩		﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	.١٧٩
-٢١-١٦	٣٦	النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ... ﴾	.١٨٠
٦٩				
١٢١	٦٣		﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أُمْرًا مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ ... ﴾	.١٨١
٢٢٥	٧٨		﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا ... ﴾	.١٨٢
١٤٦	٨٤		﴿ ثُمَّ لَا يُوَدِّتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ ... ﴾	.١٨٣
٣٠	٩٠		﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ... ﴾	.١٨٤
١٦٠	٩٦		﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾	.١٨٥
-١٢١-٩٠	١٠٠-٩٩		﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	.١٨٦
-١٢٣				
-٢٢١				
-٢٣٦				
-٢٤٣				
٢٥١-٢١٥				
٣٠	١٠٥		﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾	.١٨٧
٢٠٤	١٠٦		﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ... ﴾	.١٨٨
١٤٨	١٢٤		﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا ... ﴾	.١٨٩
٣٥	٢٣		﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ ... ﴾	.١٩٠
٣٩	٣٢		﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ ... ﴾	.١٩١
٤٤	٣٤		﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ ﴾	.١٩٢
٢١٧	٤٠		﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنْ ... ﴾	.١٩٣

الفهارس العامة

١٠٢	٥٣	الإسراء	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ ﴿١٩٤﴾	.١٩٤
-١١٨-٨٥ ٢١٠-٢٠٨	٦٣-٦٢		﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن ﴿١٩٥﴾ أَخَّرْتَنِي ﴾	.١٩٥
١٠٩-٩٢	٦٤		﴿ وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ... ﴿١٩٦﴾	.١٩٦
٩٠-٨٩	٦٥		﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿١٩٧﴾	.١٩٧
١٨٥	٨٥		﴿ وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ... ﴿١٩٨﴾	.١٩٨
١٨١	١٠١		﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى قِسْعَ آيَاتِنَا بَيْنَتِ فِسْقَلٍ ... ﴿١٩٩﴾	.١٩٩
-١٨٥ -١٨٦ -١٨٧ ١٩٩-١٨٨	١٤-٩	الكهف	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا ﴿٢٠٠﴾ مِنَ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴿٢﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ ... ﴿٣﴾	.٢٠٠
١٨٨	١٥		﴿ هَتُولَاءِ قومَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ... ﴿٤﴾	.٢٠١
١٨٨	١٦		﴿ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا ... ﴿٥﴾	.٢٠٢
٢٠١	١٧		﴿ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ... ﴿٦﴾	.٢٠٣
٢٠٢	١٨		﴿ وَنَحْسَبُهُمْ أَقْبَاطًا وَهُمْ رَفُودٌ وَنَقَلِبُهُمْ ... ﴿٧﴾	.٢٠٤
١٩٧	١٩		﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ ... ﴿٨﴾	.٢٠٥
-١٨٠ ٢٠٤-٢٠٣	٢٠		﴿ إِنَّمَنْ إِنْ يظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ ... ﴿٩﴾	.٢٠٦
٢٠٤	٢١		﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدٌ ... ﴿١٠﴾	.٢٠٧
٢٠٥	٢٢		﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ ﴿١١﴾	.٢٠٨
٢٠٦	٢٤-٢٣		﴿ وَلَا نَقُولُ لِنَشَأِءِ إِيَّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ... ﴿١٢﴾	.٢٠٩
٢٠٩-١٨٧	٢٥	﴿ وَلِيُثَبِّتُ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ... ﴿١٣﴾	.٢١٠	

الفهارس العامة

١٥٣	٣٣-٣٢	الكهف	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾	.٢١١
١٥٣	٣٦-٣٥		﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ ﴾	.٢١٢
١٩٠	٣٧		﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي .. ﴾	.٢١٣
١٩١	٣٨		﴿ لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	.٢١٤
١٩١	٣٩		﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ﴾	.٢١٥
١٩١	٤١-٤٠		﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾	.٢١٦
-١٥٤ ١٩١-١٥٩	٤٣-٤٢		﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلُبُ كَفْتِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ ﴾	.٢١٧
١٥٥	٤٤	الكهف	﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا .. ﴾	.٢١٨
١٥٣	٤٦		﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	.٢١٩
٢٠١	٤٩		﴿ وَوَضِعَ الْكُتُبِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا .. ﴾	.٢٢٠
٢٠٨	١١٠		﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا ﴾	.٢٢١
١٨٠	٤٦		﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهِتِي بِنَابِرِهِمْ ﴾	.٢٢٢
-١١-١٠ -١٣-١٢ ٢٤	٥٩		مريم	﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾
٢٠	٦٦	﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أَخْرِجُ ﴾		.٢٢٤
-٢٠٢-٩٠ ٢٠٣	٦٨	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ ﴾		.٢٢٥
٢١٩-٨٩	٨٣	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾		.٢٢٦
١٨٠	٢٣-١٧		﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ .. ﴾	.٢٢٧
١٦٥-١٦٤	٣٩-٣٧		﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا ... ﴾	.٢٢٨

الفهارس العامة

١٧٢	٥٩-٥٦	طه	﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ... ﴾	.٢٢٩
١٧١	٦٠		﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾	.٢٣٠
١٨١	٦٤		﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ ... ﴾	.٢٣١
١٧٤	٦٦-٦٥		﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ ... ﴾	.٢٣٢
١٧٤	٦٦		﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآلُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخِيَلٍ ﴾	.٢٣٣
١٧٥	٦٨-٦٧		﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾	.٢٣٤
١٧٦	٧١		﴿ قَالَ ءَأَمْنَتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفٌ ... ﴾	.٢٣٥
١٩٥-١٧٦	٧٣-٧٢		﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾	.٢٣٦
١٠٨	٩٦		﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ ... ﴾	.٢٣٧
٥٧	١٠٠		﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾	.٢٣٨
١١٩	١٢٠		﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ ءَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ ﴾	.٢٣٩
-١٠-٥-٤	١٢١		﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَوَفَا . ﴾	.٢٤٠
١١				
٥٨-٥٤	١٢٤		طه	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ... ﴾
٢٢٥	١٣٢	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾		.٢٤٢
١٥٧	٢٥	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا ﴾	.٢٤٣
١٧٥	٣٥		﴿ وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً يُتْرَجَعُونَ ﴾	.٢٤٤
٢٢٨	٩٠		﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾	.٢٤٥
-١٠٥	٤-٣		﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	.٢٤٦
٢٠٥-١٣٧				
٢٦	٢٥		﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَاهِرْ تُوذُقُهُ مِن ﴾	.٢٤٧

الفهارس العامة

٢٤٣	٣١	الحج	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	.٢٤٨
٢	٤٢		﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ ... ﴾	.٢٤٩
١٤١	٤٨		﴿ وَكَأَنِّ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ... ﴾	.٢٥٠
١١	٦٧		﴿ فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ ... ﴾	.٢٥١
٢٥	٤		﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوْةِ فَعِلُوْنَ ﴾	.٢٥٢
١٣٩	٤٦-٤٥		﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا ... ﴾	.٢٥٣
١٠٩	٥٥	المؤمنون	﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُؤْتُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ مَّوْتِنٍ ﴾	.٢٥٤
٢٢٨-٩٧	٩٨-٩٧		﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ... ﴾	.٢٥٥
٢٠١	١٠٠-٩٩		﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . ﴾	.٢٥٦
٤٦	٢		﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهَا رَافَةٌ فِي دِيْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ ... ﴾	.٢٥٧
٤٨-٣٠	٢١		﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... ﴾	.٢٥٨
-٦٧-٦٥	٣١-٣٠	النور	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَبَعْضُهُمْ قُرُوْجُهُمْ ... ﴾	.٢٥٩
-١٦٤-٧١				
٢٢١	٣٢		﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَىٰ مِنَ الْوَالِدِيْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ ... ﴾	.٢٦٠
٢٣٤-٤٠	٣٣	النور	﴿ وَلَيْسَتَعْفِيْفُ الَّذِينَ لَا يُحْدُوْنَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمْ . ﴾	.٢٦١
-٥٦-٢٣	٦٣		﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ . ﴾	.٢٦٢
٦٧				
٢٠١	٢٩-٢٧		﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي ... ﴾	.٢٦٣
١٣٣	٤٠		﴿ وَلَقَدْ أَنْوَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ . ﴾	.٢٦٤
١٧	٥٥	الفرقان	﴿ وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا ... ﴾	.٢٦٥

٥٥	٥		﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُجْتَمِعًا إِلَّا ﴾	.٢٦٦
١٨٢-١٤١	٢٩	الشعراء	﴿ قَالَ لَيْنٍ أَخَذَتْ إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ ﴾	.٢٦٧
١٨٢	٣٤-٣٠		﴿ قَالَ أَوْلُو حِجَّتِكَ بِشَىءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتٍ ... ﴾	.٢٦٨
١٧١	٤٢-٤١		﴿ أَيْنَ لَنَا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِغِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ ... ﴾	.٢٦٩
١٧٤	٤٤		﴿ فَالْقَوَا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ . ﴾	.٢٧٠
١٨٣	٤٥		﴿ فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ .. ﴾	.٢٧١
١٧٥	٤٨-٤٦		﴿ فَالْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا مَا مَنَا ﴾	.٢٧٢
١٧٦	٤٩		﴿ قَالَ مَا مَنَّتُمْ لَهُمْ فَبَلَّ أَنْ أَعِزَّنَا لَهُمْ إِنَّهُمْ كَاسِرُكُمْ ﴾	.٢٧٣
١٧٦	٥١-٥٠	الشعراء	﴿ قَالُوا لَا صَبِيرًا لَنَا إِنْ رَبَّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنْ نَطْمَعُ ﴾	.٢٧٤
١٣٠	٨٩-٨٨		﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى ﴾	.٢٧٥
١١-١٠	٩١-٩٠		﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ ﴾	.٢٧٦
٢٠٣-١٠	٩٥-٩٤		﴿ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَحُنُودًا يُبَاسِ ... ﴾	.٢٧٧
١٨٢	١١٦		﴿ قَالُوا لَيْنٍ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لِتَكُونَ مِنْ ﴾	.٢٧٨
١٣١	١٦٦-١٦٥		﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَدْرُونَ مَا .. ﴾	.٢٧٩
١٣١	١٦٧		﴿ قَالُوا لَيْنٍ لَمْ تَنْتَهَ بِلُوطٍ لِتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ . ﴾	.٢٨٠
١٣٣	١٧٥-١٧٢		﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ .. ﴾	.٢٨١
١٣٠	٢١٤		﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	.٢٨٢
٢٣٦	٢١٧		﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾	.٢٨٣
١٠	٢٤٤		﴿ وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ ﴾	.٢٨٤
١١٧	٤		﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ	.٢٨٥
٥٦	١٤		﴿ وَحَمَلُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	.٢٨٦

الفهارس العامة

١١٩	٢٤	النمل	﴿ وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾	.٢٨٧
١٩٠-١٥٧	٤٠		﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ ﴾	.٢٨٨
١٣١	٥٤		﴿ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِيهِ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾	.٢٨٩
٢٠٤	٩٠-٨٩		﴿ مِن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ يَنفِرُونَ يَوْمَئِذٍ ﴾	.٢٩٠
-١٣٩	٤	القصص	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا ... ﴾	.٢٩١
١٤٢-١٤٠				
١٦٥	٧		﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ . ﴾	.٢٩٢
٢١٥-١٦٥	٨		﴿ فَأَلْقَطَتْهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا . ﴾	.٢٩٣
١٦٦-١٦٤	٩		﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾	.٢٩٤
١٦٥	١٠		﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا إِنْ كَادَتْ .. ﴾	.٢٩٥
١٦٧	١٣-١٢		﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ ﴾	.٢٩٦
١٠	١٨		﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي ﴾	.٢٩٧
-١٤٠-١٨	٣٨		﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ ﴾	.٢٩٨
١٦٦				
١٣٩	٣٩		﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا فِي الْأَرْضِ بِكْفِيرٍ ... ﴾	.٢٩٩
٢٠٥	٤١		﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ ... ﴾	.٣٠٠
١٠	٦٣		﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ﴾	.٣٠١
١٤٢	٧٧-٧٦		﴿ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ .. ﴾	.٣٠٢
١٤٥-١٤٤	٧٨		﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ؕ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ . ﴾	.٣٠٣
١٤٦	٧٩		﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ؕ قَالَ الَّذِينَ ﴾	.٣٠٤
١٤٨	٨٠		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابٌ .. ﴾	.٣٠٥
١٤٦-١٠	٨٢-٨١		﴿ فَسَفَفْنَا بِهِ بَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ ﴾	.٣٠٦

الفهارس العامة

٦٠	٨٣		﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ .. ﴾	.٣٠٧
١٣٠	٣٠-٢٨	العنكبوت	﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ ﴾	.٣٠٨
١٣٢	٣٢-٣١		﴿ قَالَ إِنَّك فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾	.٣٠٩
١٣٢	٣٣		﴿ وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ ﴾	.٣١٠
١١٩	٣٨		﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن ﴾	.٣١١
٥٣	٤٥		﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾	.٣١٢
٢٢١	٢١	الروم	﴿ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	.٣١٣
٧٢-١٦	٣٠		﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي ﴾	.٣١٤
٥٥-٥٤	٢٢	السجدة	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ ﴾	.٣١٥
٢١٠-٩٠	٢١-٢٠	سبأ	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا ﴾	.٣١٦
-١١٠-٣٢	٦	فاطر	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْهُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا ﴾	.٣١٧
٢٠٢-١٩٨				
٧٧	٣٢		﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	.٣١٨
١٧٢	٤٣		﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾	.٣١٩
-١٧٨	١٩-١٣		﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ﴾	.٣٢٠
١٨١-١٨٠				
١٨١	٢١-٢٠		﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ ﴾	.٣٢١
١٨٣	٢٣-٢٢		﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	.٣٢٢

الفهارس العامة

١٩٢	٢٤	يس	﴿ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	.٣٢٣
١٨٣	٢٧-٢٦		﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾	.٣٢٤
١٨٤	٢٩-٢٨		﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	.٣٢٥
١٨٤	٣١-٣٠		﴿ يَحْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا هَاسِتِينَ ﴾	.٣٢٦
١٤	٦٢		﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفَكِيرًا ﴾	.٣٢٧
١٠٦	٢٢	الصفات	﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾	.٣٢٨
١٠	٣٢		﴿ فَأَعْوَيْتَكُمْ إِذَا كُنَّا غَافِينَ ﴾	.٣٢٩
١٤	٥٦		﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرِيدِينَ ﴾	.٣٣٠
١٢٧	٧٦-٧٥		﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَجَعَلْنَاهُ نَافِلًا ﴾	.٣٣١
٥٩	٣٢	ص	﴿ فَسَأَلَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي أَوْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	.٣٣٢
-٩٢-٩	٨٣-٨٢		﴿ قَالَ فِعْرَتُكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	.٣٣٣
-١٢١				
-١٦٠				
-٢٠٩				
٢٢٣	٣	الأحزاب	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	.٣٣٤
٦٤	٣٠		﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الَّذِينَ خَلَقُوا ﴾	.٣٣٥
٣٢	٧٢		﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَخَذْنَ كُلَّهَا خَوْفًا وَبُخْلًا ﴾	.٣٣٦
١٨	٣	الزمر	﴿ وَالذِّبْرِ الْأَعْتَابِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّى سَازِجًا ﴾	.٣٣٧
٢٠٩	١٤-١١		﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	.٣٣٨
١١٤	٣٨-٣٦		﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبْرِ الْأَعْتَابِ ﴾	.٣٣٩

١٨٧	٤٢		﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي ﴾	.٣٤٠
٥٦	٤٥		﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ ﴾	.٣٤١
١٤٥	٥٠-٤٩		﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتَهُ نِعْمَةٌ ﴾	.٣٤٢
٢٠١	٥٨-٥٦		﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنَبِ ﴾	.٣٤٣
٢٤	٦٥		﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	.٣٤٤
٢١١	٣		﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي ﴾	.٣٤٥
٢٢٨	١٤		﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ ﴾	.٣٤٦
١٧	٢١		﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ ﴾	.٣٤٧
-١٦٨ ١٦٩-١٦٨	٢٨		﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ ﴾	.٣٤٨
-١٦٩ ١٧٩-١٧٠	٢٩	غافر	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا ﴾	.٣٤٩
١٧٦-١٧٠	٣٣-٣٠		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورُ إِبْرَاهِيمُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ ﴾	.٣٥٠
١٧٠	٣٧-٣٦		﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ ﴾	.٣٥١
١٧٦-١٧٠	٤٠-٣٨		﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ ﴾	.٣٥٢
١٧٠	٤٢-٤١		﴿ وَيَنْقُورُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴾	.٣٥٣
١٧٦-١٦٧	٤٤		﴿ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي ﴾	.٣٥٤
١٧١	٤٥		﴿ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سِنَّاتٍ مِمَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِقَالَ ﴾	.٣٥٥
٥٨	٥١		﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ ﴾	.٣٥٦
٢٢٧	٥٦		﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ ﴾	.٣٥٧
٢٢٩	٦٠		﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ ﴾	.٣٥٨

الفهارس العامة

٢٠٠-١١٩	٢٥	فصلت	﴿ وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾	.٣٥٩
١٠١-٦٩	٣٤-٣٣		﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ ﴾	.٣٦٠
-١٠٠-٩٨ ٢١٦	٣٦		﴿ وَإِنَّمَا يَزْنَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾	.٣٦١
١٥٤-١٤٥	٥٠-٤٩		﴿ لَا يَسْعَمُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾	.٣٦٢
١٦	١٣	الشورى	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي ﴾	.٣٦٣
٢٣	٢١		﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾	.٣٦٤
٦٦	٢٢	الزخرف	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا ﴾	.٣٦٥
٧٤	٢٣		﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا ﴾	.٣٦٦
-٨٨-٥٨ -٩٧-٨٩ -٢٠٠ ٢٢٨-٢٢٦	٣٧-٣٦		﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ ﴿٣٦﴾ لَهُمْ قُرْآنٌ لَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ ﴾	.٣٦٧
٢٠٠	٣٨		﴿ حَقٌّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَدَّبَّرْتِ بِصَافِيٍّ وَبَيْنَكَ بَعْدَ ﴾	.٣٦٨
١٤١-١٨	٥١	الزخرف	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ ﴾	.٣٦٩
١٨	٥٢		﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾	.٣٧٠
١٤٤-١٤٢	٥٦-٥٤		﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ ﴾	.٣٧١
١٤٤	٢٩-٢٥	الدخان	﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٥﴾ وَرُوعِ ﴾	.٣٧٢
٧٥	٢٣	الجاثية	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ ﴾	.٣٧٣
٢٠٣	٢٨		﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴾	.٣٧٤

الفهارس العامة

١٣٨	٣٧-٣٦		﴿ فَبِأَلْحَمْدِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ ﴾	.٣٧٥
٢١٧	٢٩	الفتح	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾	.٣٧٦
٢١١	١٧	محمد	﴿ وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾	.٣٧٧
٤٤	٢٢		﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	.٣٧٨
-١٠٦	٢٥		﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدًى ﴾	.٣٧٩
١٠٩-١٠٨			﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ﴾	.٣٨٠
٢٥	٣٦		﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَلٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تَوَمَّنُوا ﴾	.٣٨١
١١٩	٧	الحجرات	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ أَتَىٰ مَنْ وَرَيْتَهُ فِي ﴾	.٣٨٢
٣٦	١٢		﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ ﴾	.٣٨٣
١٤	٢٧	ق	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ ﴾	.٣٨٤
٢٠٣	٢٣	الذاريات	﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا ﴾	.٣٨٥
١٣٢	٣٧-٣١		﴿ قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا ﴾	.٣٨٦
٢١	٥٦		﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	.٣٨٧
-١١-٦-٣ ١٣	٢	النجم	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	.٣٨٨
١٣٥	٣٤	القمر	﴿ إِلَّا آتَاكَ لُطُفٌ يُغْنِيهِمْ بِسَعْرِ ﴾	.٣٨٩

الفهارس العامة

١٣٤	٣٩-٣٧		﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾	.٣٩٠
٨٧-٨٦	١٩	المجادلة	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾	.٣٩١
١٣٨	٢٠		﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾	.٣٩٢
٦٣	٩	الحشر	﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴾	.٣٩٣
١٩٨	١٦		﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا ﴾	.٣٩٤
٥٣	١	المتحنة	﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾	.٣٩٥
-٦٠-٥٨	٩	المنافقون	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهِكُمْ ءَأْمَالُكُمْ وَلَا ﴾ ﴿ أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	.٣٩٦
٢٠	٧	التغابن	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُرْءِ ﴾	.٣٩٧
٢٢٣	١٣		﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ﴾	.٣٩٨
١٧٢	٣-٢	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ ﴾	.٣٩٩
٢٢٥	٦	التحريم	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ﴾	.٤٠٠
١٢٩	١٠		﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ءَأَمْرَاتِ نُوْحٍ ﴾	.٤٠١
١٦٧-١٦٤	١١		﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَأَمْرَاتِ ﴾	.٤٠٢
٢٨	٤		﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	.٤٠٣

الفهارس العامة

١٥٦	٣٣-١٧	القلم	﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَمْصَبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾	.٤٠٤
١٤٢	٤٥-٤٤		﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	.٤٠٥
٦٥	٣١-٢٥	الحاقة	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَزَأْتُ كِتَابِيهٗ ﴾	.٤٠٦
١٢٧	٢٧-٢٦	نوح	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾	.٤٠٧
٥٨	١٧	الجن	﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا ﴾	.٤٠٨
١٤	٤٥-٤٢	المدثر	﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَرُكَ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴾	.٤٠٩
٥٦	٥١-٤٩		﴿ فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾	.٤١٠
٦٢-٦٠	٢٠	القيامة	﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾	.٤١١
١١٨	٢	الإنسان	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾	.٤١٢
١٤١-١٨	٢٤-٢٣	النازعات	﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾	.٤١٣
١٤٢	٢٦-٢٥		﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ﴾	.٤١٤
٢٢١-٦٤	٤١-٣٧		﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ﴾	.٤١٥
٤١	٦-١	المطففين	﴿ وَيَلِلُّ الْمُطْفَفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾	.٤١٦
١٨٦	٢٠		﴿ كَتَبَتْ مَرْفُومٌ ﴾	.٤١٧
-١٩١	١٠-٤	البروج	﴿ قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْضُدَ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ ﴾	.٤١٨

الفهارس العامة

١٩٥-١٩٣			عَلَيْهَا قُومُوا ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	
٢٨	١٥-١٤	الأعلى	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾	.٤١٩
١٤٢-١٤٠	١٤-١٠	الفجر	﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ	.٤٢٠
٦٢-٥٩	٢٠		﴿وَتُجَيَّبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾	.٤٢١
٦٣	٢١		﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾	.٤٢٢
٣	١٠	البلد	﴿وَهَدَيْتُهُ التَّجْدِينَ﴾	.٤٢٣
٢٨	١٠-٩	الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّهَا﴾	.٤٢٤
٣	١٠-٥	الليل	﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾	.٤٢٥
١٥٥	٧-٦	العلق	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَىٰ﴾	.٤٢٦
٢٢٧	٥	البينة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	.٤٢٧
٥٩	٨	العاديات	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	.٤٢٨
٢٩	٣-١	العصر	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾	.٤٢٩

الفهارس العامة

٢٥	٧-٤	الماعون	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ	.٤٣٠
٢١٤-١٠٢	٤	الناس	﴿ مِنْ شَرِّ أَلْوَسَائِىِ الْخَنَازِىِ ﴾	.٤٣١
٩٤	٦		﴿ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ ﴾	.٤٣٢

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
٤٦	أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال.....	.١
٦٣	اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح.....	.٢
٢٤٠	ادعوا الله وأنتم واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من.....	.٣
٢٤٠	إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل اللهم إن.....	.٤
٢٣٠	إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى.....	.٥
٢٣٠	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي.....	.٦
٢٤٢	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من.....	.٧
٢٢٣	أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال.....	.٨
١٥٠	أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان...	.٩
٤٥	أكل ولدك نحلته مثله؟ فقال لا، فقال رسول الله -ﷺ-: (فأرجعه)....	.١٠
٥٤	ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، ..	.١١
٣٦	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال.....	.١٢
٨٣	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا.....	.١٣
٢٢٤	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا.....	.١٤
٢١٦	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا.....	.١٥
١١٤	إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ. فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ..	.١٦
١٥٥	إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر.....	.١٧
٦٧	إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف.....	.١٨
٩٨	إن الشيطان إذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته.....	.١٩
١١٣	إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةٍ.....	.٢٠
٩٣	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.....	.٢١
٢١٩	إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى.....	.٢٢
٣٢	إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل.....	.٢٣

الفهارس العامة

١٢٦	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض،.....	٢٤.
١٥٢	إن الله -عز وجل- لم يهلك قوماً، أو يعذب قوماً، فيجعل.....	٢٥.
٢٢٤	إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب.....	٢٦.
٢٢٤	إن الله يقبل توبة العبد مالم.....	٢٧.
٢٢	أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة،.....	٢٨.
١٩٨	إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب،.....	٢٩.
١٥٦	إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع.....	٣٠.
١١٨	إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة.....	٣١.
٦٢	إِنَّا لَا نُؤَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ.....	٣٢.
٦٢	إِنكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُونَ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ...	٣٣.
٢٢٣	إنما الأعمال بالنيات.....	٣٤.
١١٣	إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ.....	٣٥.
٣	أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مِنْ.....	٣٦.
٢٢	بُني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً.....	٣٧.
١٤٩	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جَمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ ..	٣٨.
٧٤	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأبي قلب أشربها...	٣٩.
٢٣٣	ثلاثة كلهم حق علة الله عونه الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي.....	٤٠.
١٦٦	ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من.....	٤١.
٩٥	جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا.....	٤٢.
١٧٥	خط رسول الله ﷺ - في الأرض أربعة خطوط، (قال: أتدرون.....	٤٣.
٩٨	ذاك شيطان يقال له خنزب.....	٤٤.
٦٧	صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر...	٤٥.
٢٣٠	فَقَالَ لِي: (سَلْ)، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ (.....	٤٦.
١٥٢	فَقَدَّتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرِي مَا فَعَلَتْ وَلَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ أَلَا تَرَوْنَهَا	٤٧.
٦٥	فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم.....	٤٨.
٢٢٤	قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل.....	٤٩.

الفهارس العامة

٢١٩	قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني.....	.٥٠
١٩٨	قال ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أدنيه.....	.٥١
١٣٨	قَالَ يَوْمًا: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟): قَالُوا اللَّهُ.....	.٥٢
٥٧	قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ...)	.٥٣
٣٧	قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك ..	.٥٤
٢٨	كان رسول الله خلقه القرآن.....	.٥٥
٢٠٢	كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني....	.٥٦
٧٦ - ٧٨ - ٧٩	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ.....	.٥٧
٢٣٨	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ.....	.٥٨
٢٣٨	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ.....	.٥٩
٩٧	كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فأحرز.....	.٦٠
٢٢٦	كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره.....	.٦١
١٦٩	كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٍ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ.....	.٦٢
٧٥	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ..	.٦٣
١٨٩	لا طيرة، وخيرها الفأل.....	.٦٤
١٠٢	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى.....	.٦٥
٦٩	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا...	.٦٦
٢٠٥	لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم.....	.٦٧
٩٦	مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً.....	.٦٨
١٥٥	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.....	.٦٩
٦٣	ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال..	.٧٠
٨٨	ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا.....	.٧١
٢٨	ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق.....	.٧٢
١٦	ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه....	.٧٣
١٠٠	ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه....	.٧٤

الفهارس العامة

١١٧	ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان.....	.٧٥
١١٨	ما نقصت صدقه من مال.....	.٧٦
١٦٣	من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً.....	.٧٧
٢٧	من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته.....	.٧٨
٦٢	مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ....	.٧٩
٧٢	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم....	.٨٠
٢٣٧	من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا.....	.٨١
٥٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.....	.٨٢
٧٧	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين.....	.٨٣
٦٢	يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ..	.٨٤
٢٣٩	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ.....	.٨٥
١٣٠	يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب،...	.٨٦
٢٣٤	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتِطَاعَ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ.....	.٨٧
١٢٧	يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض.....	.٨٨
٩٨	يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له.....	.٨٩
٧٩	يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام.....	.٩٠
١٣٥	يغفر الله للوط، إن كان يأوي إلى ركن شديد.....	.٩١
٢٢٦	يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا.....	.٩٢
٢٤٠	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا.....	.٩٣
٩٨	يوشك الناس يتساءلون بينهم، حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق.....	.٩٤

فهرس الأعلام المترجم لها

رقم الصفحة	اسم العلم	م
٤٩	أبو إسحق إبراهيم بن محمد السُّرِّي الرَّجَّاج	.١
٥	أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي	.٢
٤	أحمد بن فسارس بن زكريا القزويني الرازي	.٣
٣٥	أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي	.٤
٤	إسماعيل بن حماد الجوهري	.٥
٥٠	إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي	.٦
٥٧	الحارث بن عوف (أبو واقد الليثي)	.٧
٥	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني	.٨
٤	دريد بن الصمة الجشمي البكري	.٩
١١٣	سُلَيْمان بن صُرْد بن أبي الجون	.١٠
٣٤	شمس الدين أبو عبدالله بن قايماز المعروف بالذهبي	.١١
٥٠	الضَّحَّاك بن مزاحم البلخي	.١٢
٤٩	عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المعروف بالليث بن سعد	.١٣
٨٧	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات	.١٤
١٧١	قتادة بن دُعامة بن قَتادة السُّدُوسِي أبو الخطَّاب البصري	.١٥
٦	محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي	.١٦
٥	محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير	.١٧
٣٦	نفيح بن الحارث الملقب بأبي بكرة	.١٨
٤٩	يحيى بن زياد بن عبدالله الأسيدي الفرَّاء	.١٩
٤٩	يعقوب بن إسحق أبو يوسف بن السكيت	.٢٠

فهرس المصادر والمراجع

- ١- أحكام النكاح والزفاف- الشيخ مصطفى العدوي- ط١/٢٠٠٠م- دار ابن رجب.
- ٢- إحياء علوم الدين- محمد بن حمد الغزالي أبو حامد- دار المعرفة/ بيروت.
- ٣- أخلاق العلماء- محمد بن الحسين بن عبدالله الأجرّي- ط١/١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م- دار القلم/ دمشق.
- ٤- أدب المفتي والمستفتي- عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي المعروف بابن الصلاح- ط١/١٤٠٧هـ- مكتبة العلوم والحكم/ بيروت.
- ٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- تفسير أبي السعود- ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م- دار الفكر/ بيروت.
- ٦- أسباب النزول- للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي- ط١/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م- دار الحديث/ القاهرة.
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب- ابن عبد البر- ط١/١٤١٢هـ- دار الجيل.
- ٨- الأسرة تحت رعاية الإسلام- عطية صقر- ط١/١٤١١هـ، ١٩٩٠م- الدار المصرية للكتاب.
- ٩- أصول الدعوة- عبد الكريم زيدان- ط١/١٤٣١هـ، ٢٠١٠م- مؤسسة الرسالة.
- ١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي- ط١/١٤٢٥هـ- مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة.
- ١١- الأعلام- خير الدين بن محمود بن فارس الزر كلي الدمشقي- ط١٥- دار العلم للملايين.
- ١٢- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان- ابن القيم الجوزية- ط٢/١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م- دار المعرفة/ بيروت.
- ١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف- البيضاوي- دار الفكر/ بيروت.
- ١٤- إيجاز البيان عن معاني القرآن- محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي- ١٤١٥هـ- دار الغرب الإسلامي/ بيروت.
- ١٥- الإيمان- للدكتور محمد نعيم ياسين- دار عمر بن الخطاب/ الإسكندرية.
- ١٦- بحر العلوم- أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي- دار الفكر/ بيروت.
- ١٧- بدائع الفوائد- لابن القيم الجوزية- دار عالم الفوائد.

- ١٨- بصائر ذوي التمييز- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي-المكتبة العلمية / بيروت.
- ١٩- بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا- عبد العزيز بن باز-ط١/١٤١٧هـ، ١٩٩٦م- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ٢٠- التحرير والتنوير- للشيخ محمد الطاهر بن عاشور-ط١/١٩٩٧م- دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ٢١- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري- دار الكتب العلمية/ بيروت.
- ٢٢- تربية الأولاد في الإسلام- عبدالله علوان-ط٣٢/١٤١٩هـ، ١٩٩٩م-دار السلام/ القاهرة.
- ٢٣- التعريفات- علي بن محمد بن علي الجرجاني-ط١/١٤٠٥هـ-دار الكتاب العربي/ بيروت.
- ٢٤- تفسير الشعراوي- محمد متولي الشعراوي- أخبار اليوم قطاع الثقافة القاهرة.
- ٢٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)-محمد رشيد بن علي رضا-١٩٩٠م-الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٦- تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- ط٢/١٤٢٠هـ، ١٩٩١م- دار طيبة للنشر.
- ٢٧- تفسير القرآن الكريم- محمد بن صالح العثيمين- ط١/١٤٢٣هـ-دار ابن الجوزي/ الدمام.
- ٢٨- تفسير المراغي- الشيخ أحمد مصطفى المراغي-دار الفكر/ بيروت.
- ٢٩- تفسير المشكل من غريب القرآن- مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد-ط١/١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م- دار النور الإسلامي.
- ٣٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- الدكتور وهبه بن مصطفى الزحيلي- ط٢/١٤١٨هـ- دار الفكر المعاصر.
- ٣١- التفسير الوسيط- للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي-ط١/١٤٢٢هـ- دار الفكر/ دمشق.
- ٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم- محمد سيد طنطاوي-ط٣/١٤٠٧هـ، ١٩٧٨م.
- ٣٣- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان- حسن بن محمد النيسابوري-ط١/١٤١٦هـ، ١٩٩٦م-دار الكتب العلمية/بيروت.
- ٣٤- تفسير غريب القرآن- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة- تحقيق السيد أحمد صقر-دار الكتب العلمية.

- ٣٥- تلبيس إبليس- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠١م-دار الفكر.
- ٣٦- تهذيب اللغة- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي-٢٠٠١م-دار إحياء التراث العربي/بيروت.
- ٣٧- التوقيف على مهام التعاريف- محمد عبد الرؤوف المناوي-ط١/١٤١٠هـ-دار الفكر/بيروت.
- ٣٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن السعدي-ط١/١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م-مؤسسة الرسالة.
- ٣٩- جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير بن يزيد الطبري-ط١/١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م-مؤسسة الرسالة- تحقيق أحمد شاكر.
- ٤٠- جامع العلوم والحكم- أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي-ط١/١٤١٧هـ، ١٩٩٧م-مؤسسة الرسالة/بيروت.
- ٤١- الجامع لأحكام القرآن- محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي-ط٢/١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م-دار الكتب المصرية/القاهرة.
- ٤٢- جمهرة اللغة- ابن دريد- ط١/٩٨٧م-دار العلم للملايين.
- ٤٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي- ابن القيم الجوزية- ط١/١٤١٨هـ، ١٩٩٧م-دار المعرفة.
- ٤٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- أبو زيد الثعالبي- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/بيروت.
- ٤٥- خطر التبرج والاختلاط- عبد الباقي رمضان- ط٩/١٩٩٧م-مؤسسة الرسالة/بيروت.
- ٤٦- خلق المسلم- محمد الغزالي-ط٢/١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م-دار القلم/دمشق.
- ٤٧- دائرة معارف القرن العشرين- محمد فريد وجدي- ط٣/١٩٧١م- دار المعرفة/بيروت.
- ٤٨- درة تعارض العقل والنقل- أحمد بن علي عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني أبو العباس- ط١/١٣٩١هـ-دار الكنوز الأدبية/الرياض.
- ٤٩- ذم المال والجاه - الحافظ ابن رجب الحنبلي-دار القاسم.
- ٥٠- ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة- ابن قدامه المقدسي- دار الكتب العلمية/بيروت.

- ٥١- ذيل تذكرة الحفاظ- أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي-ط١/١٤١٩هـ-
١٩٩٨م- دار الكتب العلمية.
- ٥٢- رسالة المسجد في الإسلام- عبد العزيز محمد الميلم-ط١/١٤٠٧هـ.
- ٥٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- أبي الفضل شهاب الدين السيد
محمود الألوسي البغدادي- دار الفكر/ بيروت-لبنان.
- ٥٤- زاد المسير- ابن الجوزي-ط٣/١٤٠٤هـ- المكتب الإسلامي.
- ٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن القيم الجوزية-ط١/١٤١٥هـ، ١٩٩٤م- مؤسسة
الرسالة/ بيروت.
- ٥٦- الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية - صالح آل
منصور-ط١/١٤٢٨هـ -دار ابن الجوزي.
- ٥٧- الزواج عن اقرار الكبائر- ابن حجر الهيتمي-ط١/١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م- المكتبة
العصرية.
- ٥٨- سنن أبو داود- لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني-مكتبة المعارف للنشر/ الرياض.
- ٥٩- سنن الترمذي- لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي- ط١-بتحقيق الألباني -مكتبة دار
المعارف/ الرياض.
- ٦٠- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها- محمد هيشور-ط١/١٩٩٦م- المعهد العالمي
للحفظ الإسلامي/ القاهرة.
- ٦١- الصحاح- لإسماعيل بن حماد الجوهري- ط٤/١٩٩٠م- دار العلم للملايين/ بيروت.
- ٦٢- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري-ط٢/١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م- دار
الكتب العلمية/ بيروت.
- ٦٣- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري-ط٢/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م- دار الكتب
العلمية/ بيروت.
- ٦٤- طبقات السَّابِين- ليكر أبو زيد- ط١/١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م- دار الرشد/ الرياض.
- ٦٥- عالم الجن والشياطين- عمر سليمان الأشقر-ط١١/١٤١٩هـ، ١٩٩٩م- دار النفائس.
- ٦٦- العبودية- ابن تيمية- ط٧/١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م- المكتب الإسلامي/ بيروت.
- ٦٧- عقيدة التوحيد- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان-ط١/١٤٢٠هـ-دار العاصمة/الرياض.
- ٦٨- العقيدة الطحاوية- أبو جعفر الطحاوي-ط٤/١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م-المكتب الإسلامي.

- ٦٩- العين - لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي - دار ومكتبة الهلال.
- ٧٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني - دار المعرفة/ بيروت.
- ٧١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - ط١/١٤١٣هـ، ١٩٩٢م - دار الفكر/ بيروت.
- ٧٢- فقه السنة - السيد سابق - ط١/٢٠/١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - دار الفتح للإعلام العربي/ القاهرة.
- ٧٣- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية - نعمة الله النخجواني - ط١/١٩٩٩م - دار ركابي.
- ٧٤- الفوائد - ابن القيم الجوزية - ط١/١٤٢٢هـ - دار ابن رجب.
- ٧٥- في ظلال القرآن - سيد قطب إبراهيم - ط٢ - دار الشروق/ القاهرة.
- ٧٦- قاعدة في المحبة - أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني أبو العباس - مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة.
- ٧٧- القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة/ بيروت.
- ٧٨- قصص الأنبياء - للإمام عماد الدين أبي الفداء بن كثير - دار إحياء الكتب العربية.
- ٧٩- الكبائر - محمد بن عثمان الذهبي - مكتبة الحياة/ بيروت.
- ٨٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - الزمخشري - دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- ٨١- الكليات - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - ط١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م - مؤسسة الرسالة/ بيروت.
- ٨٢- لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخانز - ط١/١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م - دار الفكر/ بيروت.
- ٨٣- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري - ط١ - دار صادر/ بيروت.
- ٨٤- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ط٣/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م - مكتبة المعارف.
- ٨٥- مجموع الفتاوى - لتقي الدين أبو العباس بن تيمية الحرّاني - ط٣/١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م - دار الوفاء.
- ٨٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - ط١/١٤١٣هـ، ١٩٩٣م - دار الكتب العلمية/ بيروت.

- ٨٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم الجوزية - ط٢/١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م - دار الكتاب العربي / بيروت.
- ٨٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات - ط١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م - دار الكلم الطيب.
- ٨٩- المرأة في شتى العصور - محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب - ط١/١٩٧٩م - المطبعة المصرية/ القاهرة.
- ٩٠- مسند الإمام أحمد - للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - ط١/١٤٢٠هـ، ١٩٩٧م - مؤسسة قرطبة/ القاهرة.
- ٩١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - المكتبة العلمية/ بيروت.
- ٩٢- معالم التنزيل - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - ط٤/١٤١٧هـ، ١٩٩٧م - دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٩٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن - الحسين بن مسعود بن محمد البغوي - ط١/١٤٢٠هـ - دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- ٩٤- المعاملات في الإسلام - عبد الستار سعيد - ط٤/١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م - رابطة العالم الإسلامي.
- ٩٥- معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - ط٣/١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م - دار عالم الكتب.
- ٩٦- معاني القرآن وإعرابه - للزجاج - تحقيق عبد الجليل عبه شلبي - ط١/١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م - عالم الكتب.
- ٩٧- معجم الفروق اللغوية - لأبي هلال العسكري - تحقيق محمد إبراهيم سليم - دار العلوم والثقافة/ القاهرة.
- ٩٨- معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م - دار الفكر.
- ٩٩- مفاتيح الغيب - محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري الملقب بالفخر الرازي - ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م - دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٠٠- مفردات غريب القرآن - الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني - دار القلم/ دمشق.

- ١٠١- المفردات في غريب القرآن للراغب- أبو القاسم الحسين بن محمد- ط١- دار المعرفة/ بيروت.
- ١٠٢- مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ- خالد الربيعي- ط١/١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م- دار القاسم.
- ١٠٣- مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني- ط١/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م- دار السلام/ القاهرة.
- ١٠٤- منهاج السنة النبوية- ابن تيمية- ط١/١٤٠٦هـ- مؤسسة قرطبة.
- ١٠٥- منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق و عبادات ومعاملات- أبو بكر جابر الجزائري- ط٦/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م- مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة.
- ١٠٦- منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع- للدكتور محمد يوسف- ط٢/٢٠٠٤م- دار السلام/ القاهرة.
- ١٠٧- الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية- الشيخ محماس بن عبد الله محمد الجلود- دار الجبهة/ الرياض.
- ١٠٨- موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم- محمد علي التهانوي- ط١/١٩٩٦م.
- ١٠٩- نظم الدرر في تناسب الآي والسور- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي- ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م- دار الكتب العلمية/ بيروت.
- ١١٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- ط٢/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م- دار الكتب العلمية/ بيروت.
- ١١١- النكت والعيون- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري- دار الكتب العلمية/ بيروت. لباب التأويل في معاني التنزيل- أبو الحسن علي بن محمد الخازن- ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م- دار الفكر/ بيروت .
- ١١٢- النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير- دار المكتبة العلمية/ بيروت.
- ١١٣- نواقض الإسلام: محمد بن عبد الوهاب- ط٣/١٤٢٢هـ- دار ابن الجوزي.
- ١١٤- الوابل الصيب من الكلم الطيب- أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الملقب ابن القيم- ط١/١٤٠٥هـ- دار الكتاب العربي/ بيروت.
- ١١٥- وفيات الأعيان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان- ط١/١٩٩٧م- دار صادر/ بيروت.

رابعاً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
ج	المقدمة
الفصل التمهيدي: مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها	
المبحث الأول: مفهوم الغواية	
٤	المطلب الأول: الغواية لغة
٥	المطلب الثاني: الغواية اصطلاحاً
٦	المطلب الثالث: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية
المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم	
٩	المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم
١٣	المطلب الثاني: الغواية ونظائرها في القرآن الكريم
الفصل الأول: ميادين الغواية وأسبابها في القرآن الكريم	
المبحث الأول: ميادين الغواية في القرآن الكريم	
١٦	المطلب الأول: الغواية في العقائد
٢١	المطلب الثاني: الغواية في العبادات
٢٨	المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق
٣٧	المطلب الرابع: الغواية في المعاملات
المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم	
٤٩	المطلب الأول : اتباع خطوات الشيطان
٥٢	المطلب الثاني: موالاتة اليهود والنصارى
٥٤	المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله -تعالى-
٦٠	المطلب الرابع: الحرص على المال والشرف
٦٦	المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات
٧٢	المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفهارس العامة

٧٥	المطلب السابع: انتكاس الفطرة.....
٧٩	المطلب: الثامن: غياب لوعي الديني في المجتمعات.....
الفصل الثاني: الشيطان وأساليبه في الغواية	
المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين	
٨٥	المطلب الأول: الإحتتاك
٨٧	المطلب الثاني: الاستحواذ.....
٨٩	المطلب الثالث: الأزر.....
المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين	
٩٢	المطلب الأول: الوسوسة.....
١٠٠	المطلب الثاني: النزغ.....
١٠٣	المطلب الثالث: استنزلال الشيطان لهم.....
١٠٤	المطلب الرابع: الإضلال.....
١٠٧	المطلب الخامس: التسويل.....
١١٠	المطلب السادس: الإملاء.....
١١٢	المطلب السابع: الإيقاع بين المؤمنين.....
١١٥	المطلب الثامن: التخويف.....
١١٩	المطلب التاسع: التزيين
الفصل الثالث: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية والناجين منها	
المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية	
١٢٧	المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.....
١٢٩	المطلب الثاني: امرأتا نوح ولوط عليهما السلام.....
١٣١	المطلب الثالث: قوم لوط.....
١٣٧	المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.....
١٤٠	المطلب الخامس: فرعون.....
١٤٤	المطلب السادس: قارون.....
١٥٠	المطلب السابع: أصحاب السبت.....

الفهارس العامة

١٥٤	المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.....
١٥٧	المطلب التاسع: صاحب الجنتين في سورة الكهف
١٦٠	المطلب العاشر: أصحاب الجنة في سورة القلم.....
المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية	
١٦٥	المطلب الأول: يوسف عليه السلام
١٦٩	المطلب الثاني: امرأة فرعون.....
١٧٦	المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.....
١٨٠	المطلب الرابع: سحرة فرعون
١٨٦	المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين.....
١٩٤	المطلب السادس: أصحاب الكهف.....
١٩٩	المطلب السابع: صاحب الجنتين.....
٢٠٢	المطلب الثامن: أصحاب الأخدود
الفصل الرابع: نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها	
المبحث الأول: نتائج الغواية	
٢٠٨	المطلب الأول: الكفر.....
٢٠٩	المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم.....
٢١٠	المطلب الثالث: الخسران والندم
٢١٢	المطلب الرابع: عذاب الأليم في الآخرة.
٢١٣	المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين.....
٢١٤	المطلب السادس: الهداية إلى السعير.....
المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية	
٢١٩	المطلب الأول: إخلاص العبادة لله-تعالى-.....
٢٢٢	المطلب الثاني: التوبة والاستغفار.....
٢٢٥	المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله.....
٢٢٧	المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.....
٢٢٩	المطلب الخامس: كثرة السجود لله-تعالى-

الفهارس العامة

٢٣١	المطلب السادس: الحياء والحشمة.....
٢٣٢	المطلب السابع: الزواج.....
٢٣٦	المطلب الثامن: التوكل على الله
٢٣٧	المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة
٢٤٠	المطلب العاشر: الدعاء.....
٢٤٢	الخاتمة والتوصيات
الفهارس	
٢٤٥	فهرس الآيات القرآنية.. ..
٢٦٩	فهرس الأحاديث النبوية
٢٧٣	فهرس الأعلام.....
٢٧٤	المصادر والمراجع
٢٨١	فهرس الموضوعات.....

ملخص البحث

رسالة ماجستير بعنوان

(الغواية في ضوء القرآن الكريم.....دراسة موضوعية)

هذه الرسالة العلمية تتحدث عن الغواية في ضوء القرآن الكريم، وموضوع الرسالة جدير بالبحث والدراسة، خاصة وأنَّ شبح الغواية يخيم على العالم الإسلامي، سواءً في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق، بسبب بعد الكثير من الناس عن تعاليم دينهم.

وقد اعتمد الباحث في بحثه لهذا الموضوع على المنهج الاستقرائي، حيث قام الباحث بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الغواية سواءً بمعناها اللفظي أو بمفهومها الشمولي، فاشتملت على مجموعة من الآيات، ومجموعة من الأحاديث النبوية.

وتتكون هذه الرسالة العلمية من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أما التمهيد فقد تحدث فيه الباحث عن معنى الغواية في اللغة والاصطلاح، وبين العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للغواية.

واحتوى الفصل الأول على مبحثين، تحدث المبحث الأول عن ميادين الغواية، وتحدث المبحث الثاني عن أبرز أسباب الغواية في القرآن الكريم، وذلك من خلال حصر أبرز الأسباب التي تؤدي إلى الغواية، وأما الفصل الثاني، فقد تحدث عن الشيطان وأبرز أساليبه في الغواية، وقد تحدث الباحث في المبحث الأول عن أساليب الشيطان مع الكافرين، وتحدث في المبحث الثاني عن أساليبه مع المؤمنين، وأما الفصل الثالث، فقد احتوى على مبحثين اشتملا نماذج قرآنية لمن سقطوا في الغواية، ولمن نجوا منها، وأما الفصل الرابع، فيشتمل أيضاً على مبحثين، المبحث الأول: يُمثل نتائج الغواية وما يترتب عليها في الدنيا والآخرة، والمبحث الثاني فيمثل سبل النجاة والوقاية من الغواية، وهذه السبل هي: إخلاص العبادة لله-تعالى-، والتوبة والاستغفار، والمداومة على ذكر الله، والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكثرة السجود، والحياء والحشمة، والزواج، والتوكل، والتربية الإيمانية المتكاملة، واللجوء - إلى الله تعالى - بالدعاء.

وقد ختم الباحث بحثه بخاتمة اشتملت على مجموعة من النتائج والتوصيات، وقد اشتمل هذا البحث على مجموعة من الفهارس وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، كما اشتمل هذا البحث على ملخصٍ للرسالة باللغة العربية، وملخص باللغة الإنجليزية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

Summary of Master's thesis in English

Master's thesis entitled
(Seduction in Quran.. objective study)

This scientific research talks about the seduction in the holy Quran this major object is worthy of research and study, especially since the seduction is around the Islamic world, in both of their doctrines worship, transactions or in ethics, because most of people are away from their religion.

The researcher adopted in consideration of this matter to the inductive approach, collected the Quran verses related to seduction, in its verbal or global contained a set of verses, and hadith.

This research divided into: introduction, 4 chapters and a conclusion.

Introduction explain the meaning of seduction in the language and terminology, and the relationship between linguistic meaning and terminology of the seduction.

First chapter contains two sections, the first about the places of seduction, while the second focuses on the main reasons of seduction in the holy Quran.

The second chapter is about the devil and his methods of seduction, with unbelievers in the first section and with believers in the second.

The third Chapter contains two sections, about examples from Quran for whom those who failed in seduction and who survived.

The forth Chapter contains two sections, the first represents the results of seduction and its consequents in this world and the Hereafter, and the second section represents the means of survival and prevention of seduction.

Conclusion includes a set of results and recommendations, beside indexes: index of Quran verses, hadith, characters, sources, references, and subjects, finally a summary in Arabic, and another in English.

May Allah guide us to His right straight Path.